جلاء القلوب من الأصداء الغينية

ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية

تأليف

محمد بن جعفر الكتاني
رحمة الله عليه

تحقيق

باحثي المركز الإسلامي

بمسجد الدكتور

حسن عباس زكي

إشراف الأستاذ الدكتور

علي جمعة محمد

المجلد الثالث

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نهتدي ونستعين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم صلِ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

اللهم صل على سيدنا محمد ﷺ صلاة ترفع عن دعائنا كل حجاب وتفتح لنا من إجابتك كل الأبواب صلاة ننال بها كل خير وتيسير وتخلصنا بها من كل ضيق وتعسير صلاة تحفظنا بها في اليقظة والمنام وتنجينا بها اللهم من نوائب الدهر ومتاعب الأيام.

أما بعد

فهذا العمل الصالح الطيب " **جلاء القلوب من الأصداء الغينية ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية** " للشيخ محمد بن جعفر الكتاني رحمة الله عليه. من الأعمال التي ألفت حباً واتباعاً لمنهج سيد الخلق ﷺ الذي قال الله تبارك وتعالى عنه ﷺ ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ** ﴾ [الفتح :٢٩].

وقال عنه ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة :١٢٨]

وقال تعالى ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب :٢١].

وقال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء :١٠٧].

هذا حديث القرآن عن رسول الله ﷺ الذي عليه أنزل ليكون معجزة دائمة ، روي أن رسول الله ﷺ آتاه رجل من أهل البادية فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال ويلك وما أعددت لها قال ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله قال أنك مع من أحببت.[١]

فاللهم إنَّا نشهدك أنَّا نحبه ونسألك أن تجمعنا معه دنيا وآخرة. وأن تجعل حبه ينير قلوبنا وعقولنا وأجسادنا.

يقول سيدنا حسان بن ثابت:

وَأَحسَنُ مِنكَ لَم تَرَ قَطُّ عَيني ... وَأَجمَلُ مِنكَ لَم تَلِدِ النِساءُ
خُلِقتَ مُبَرَّءً مِن كُلِّ عَيبٍ ... كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَما تَشاءُ

فأسأل الله العظيم أن ينفع بهذا الكتاب كل من يقرأه أو ينظر فيه، أو يقتنيه، وأن يغفر لمؤلفه، وكاتبه ومحققه، ومن خرج أحاديثه، ومن أنفق عليه، ومن عمل على إخراجه إلى النور وأن يتقبله الله تبارك وتعالى محبة واتباعاً لسيد الأولين والآخرين لصاحب المقام المحمود وصاحب اللواء المعقود لواء الحمد يوم الدين لأول شافع ومشفع سيدنا محمد ﷺ . آمين.

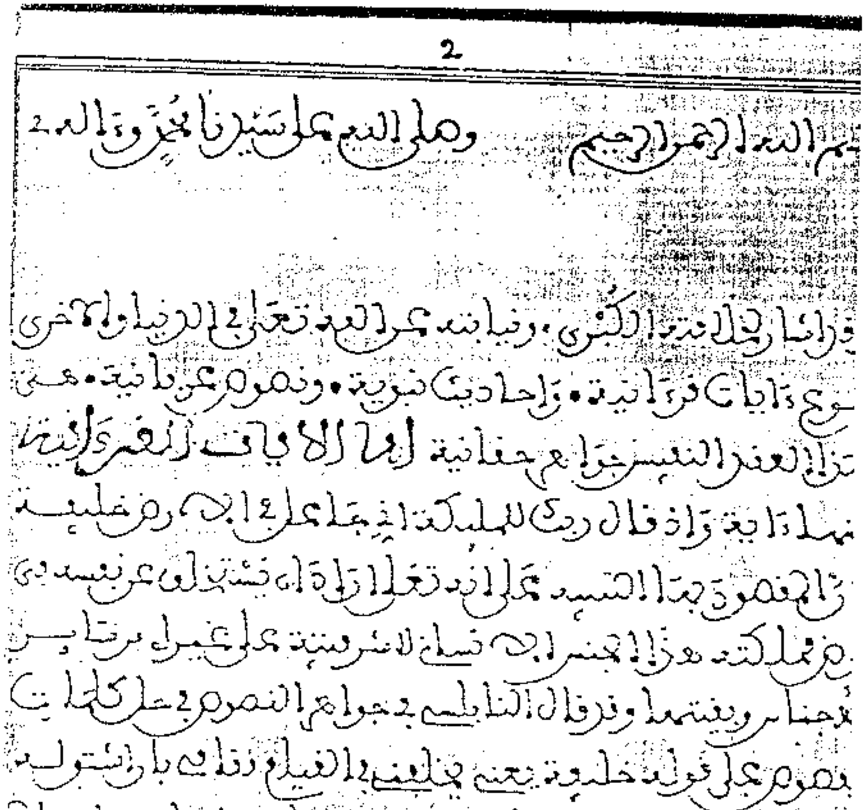
مركز الدكتور / حسن عباس زكي

"محمد الخامس" محمد باغوش

٢٩ ربيع الأول ١٤٢٥هـ، ١٩ مايو ٢٠٠٤م

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٢/٥، رقم ٥٨١٥)، ومسلم (٢٠٣٢/٤، رقم ٢٦٣٩).

الصفحة الأولى من المخطوطة [المجلد الثالث]


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا مُحمَّد وآله [٢]

الخلافة الكبرى والنيابة عن الله

وقد أشار لخلافته الكبرى ونيابته عن الله تعالى فى الدنيا والأخرى مجموع آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، ونصوص عرفانية، هى لهذا العقد النفيس جواهر حقانية.

أما الآيات القرآنية:

فمنها آية ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة: ٣٠] لأن المقصود بها التنبيه على أنه تعالى أراد أن يستخلف عن نفسه فى أرض مملكته هذا الجنس الإنسانى لأشرفيته على غيره من سائر الأجناس وبقيتها، وقد قال النابلسى فى " جواهر النصوص فى حل كلمات الفصوص " على قوله ﴿ **خَلِيفَةً** ﴾ يعنى يخلفنى فى القيام مقامى بأن أشتق له ذاتاً من ذاتى ووصفات من صفاتى وأسماء من أسمائى وأفعالا من أفعالى وأحكاما من أحكامى اشتقاق محاكاة معدوم لموجود. انتهى.

والمراد بالخليفة فيها آدم عليه السلام فمن بعده من بنيه الخلفاء عن الله فى الظاهر والباطن أو فى الباطن فقط إلى سيدنا محمد ﷺ الذى هو الخليفة الأصلى والمقصود بالذات من هذه الخلافة إلى من بعده من خلفائه المحمديين إلى آخر خليفة فى الدنيا وهو سيدنا عيسى عليه السلام بدليل ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ** ﴾ [ص: ٢٦] وقوله ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي**

﴿ الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور:٥٥] وما ذكروه فى أسمائه ﷺ من أن منها... [٤] أبي هريرة أنا سيد الناس يوم القيامة.(١)

وحديث الحاكم والبيهقى فى كتاب " الرؤية " عن عبادة بن الصامت: أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحد إلا وهو تحت لوائى يوم القيامة ينتظر الفرج. الحديث.(٢)

وفى رواية عزاها فى الجمع للطبرانى فى "الكبير" عنه: والذى نفسى بيده إنى لسيد، وما من الناس أحد إلا وهو تحت لوائى يوم القيامة ينتظر الفرج... الحديث.

وحديث مسلم فى المناقب، وأبي داود فى السنة عن أبى هريرة: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأنا أول من ينشق عنه القبر وأنا أول شافع وأول مشفع.(٣)

وحديث أحمد، والترمذى فى المناقب وقال حسن صحيح، وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، ما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر.(٤)

وحديث الدارمى، والترمذى مختصراً وقال غريب عن أنس مرفوعاً:« أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا قائدهم إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مُبَشِّرُهُمْ إذا أَيِسُوا ».(٥)

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٤٥/٤، رقم ٤٤٣٥)، ومسلم (١٨٤/١، رقم ١٩٤).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٨٣/١)وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨٢/٤، رقم ٢٢٧٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢/٣)، والترمذي (٥٨٧/٥)وقال حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه الدارمي (٣٩/١)، والترمذي (٥٨٥/٥).

وفى رواية: أيسوا الكرامة، والمفاتيح يومئذ بيدى، ولِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِى وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّى يطوف على ألف خادم كأنهم بيض مكنون أولؤلؤ منثور.

وحديث الطبرانى فى " الكبير " عن عبد الله بن سلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأول شافع ومشفع لواء الحمد بيدى يوم القيامة تحتى آدم فمن دونه.

وحديث الديلمى عن ابن عباس: وأنا سيد الأولين [ﷺ] والآخرين من النبيين ولا فخر.

وحديث البيهقى فى " فضائل الصحابة " والحاكم فى " المستدرك " وصححه وتعقب: أنا سيد العالمين.

وحديث الدارمى، بسند رجاله ثقات والبخارى، فى " تاريخه " والطبرانى، فى " الأوسط " والبيهقى، وأبى نعيم عن جابر، وابن عساكر فى " تاريخه " عن أبى هريرة: أنا قائد المرسلين ولا فخر. الحديث.(١)

وحديث أبى الحسن القطان فى " المطولات " وابن عساكر قال فى " الجمع ": وسنده حسن عن حذيفة: ولد آدم كلهم تحت لوائى يوم القيامة وأنا أول من يفتح له باب الجنة.

وحديث أحمد، والترمذى، وابن ماجه، والحاكم فى " المستدرك " والبيهقى، وابن أبى شيبة بسند صحيح عن أبى بن كعب: إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر.(٢)

---

(١) أخرجه الدارمي(١/٤٠)، والطبراني في الأوسط (٦١/١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٧/٧)، وابن ماجة (١٤٤٣/٢)، والترمذي (٥٨٦/٥) وقال حديث حسن صحيح، والحاكم (٨٨/٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وحديث الطبراني في " الكبير " والضياء عن جابر، والحاكم وصححه وتعقب عن عائشة، والدارقطني في " الأفراد " عن ابن عباس: إذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد معي وكنت إمام المرسلين وصاحب شفاعتهم.(١)

وحديث سعيد بن منصور وسمويه والضياء المقدسي عن جابر: أنا سيد النبيين ولا فخر.

وحديث ابن النجار عن أم كرز: أنا سيد المرسلين إذا بعثوا وسابقهم إذا وردوا ومبشرهم إذا أيسوا وإمامهم إذا سجدوا وأقربهم مجلسا إذا اجتمعوا أتكلم فيصدقني وأشفع فيشفعني وأسأل فيعطيني.

وحديث الطبراني والبيهقي في " الدلائل " وعياض في " الشفا " عن ابن عباس: وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر.(٢)

وحديث الترمذي وقال حسن غريب والدارمي وأبي نعيم عنه أيضاً: وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر.(٣)

وحديث الحاكم في "المستدرك" [٦] وابن عساكر عن عبادة بن الصامت: إني لسيد الناس يوم القيامة ولا فخر ولا رياء، وما من الناس من أحد إلا وهو تحت لوائي يوم القيامة الحديث.(٤)

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٨٣/١) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه الهيثمي في زوائده (٢٨٤/٨) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عروة بن مروان قيل فيه ليس بالقوي وبقية رجاله وثقوا، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٨٤/٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٥٦/٣).

(٣) أخرجه الدارمي (٣٩/١)، والترمذي (٥٨٧/٥) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه الهيثمي في زوائده (٣٧٦/١٠)وقال رواه الطبراني وإسحق بن يحيى لم يدرك عبادة وبقية رجاله ثقات.

وحديث الديلمى عن جابر: أنا أشرف الناس حسبا ولا فخر وأكرم الناس قدرا ولا فخر الحديث.[1]

وحديث الطبرانى فى " الكبير " وابن النجار فى " تاريخه " عن عمر: إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتى. [2]

وحديث ابن أبى حاتم فى " تفسيره " وأبى نعيم فى " الدلائل " من طرق عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة وابن سعد عن قتادة مرسلاً: كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث.

وفى رواية: أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثا.

وحديث أحمد، والبخارى فى " تاريخه الكبير " وأبى نعيم والبغوى وابن السكن وابن سعد والطبرانى والحاكم وصححه، والبيهقى عن ميسرة الفجر، والبزار والطبرانى وأبى نعيم من طريق الشعبى عن ابن عباس، وابن سعد عن عبد الله بن أبى الجدعاء التميمى أوالكنانى: كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد.

وحديث الترمذى وقال حسن صحيح غريب والحاكم والبيهقى وأبى نعيم عن أبى هريرة قال: قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.[3]

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس (٤٥/١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦٣/٣).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٦٥/٢)، والترمذي (٥٨٥/٥) وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا هذا الوجه وفي الباب عن ميسرة الفجر.

وحديث أحمد، وابن حبان والحاكم والبيهقى والطبرانى والبزار وأبى نعيم عن العرباض بن سارية: إنى عبد الله وخاتم النبيين.(1)

– وفى لفظ عند الله فى أم الكتاب لخاتم النبيين – وإن آدم لمجندل فى طينته. الحديث.(2)

وحديث أحمد، وأبى يعلى عن جابر وأبى نعيم عن عمر بن الخطاب: والذى نفس محمد(3) بيده لو أن موسى كان حياً – زاد فى رواية اليوم – ما وسعه – أى ما جاز له – إلا أن يتبعنى.(4)

وحديث [٧] أحمد، وأبى داود وابن حبان فى " صحيحه " والبيهقى فى " شعب الإيمان " عن جابر " أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى.(5)

وحديث أحمد، أيضاً والبزار عنه: والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنى.(6)

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٢٧)، والحاكم في مستدركه (٢/٤٥٣) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١/١٦٨).

(٣) فى نسخة نفسى.

(٤) أخرجه أحمد (٤/٢٤)، والدارمي (١/١٢٦)، والهيثمى في زوائده (١/١٧٤) وقال رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/٢٠٠).

(٦) أخرجه أحمد (٣/٣٣٨)، والهيثمي في زوائده (١/١٧٤)وقال رواه البزار وعند أحمد بعضه وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف اتهم بالكذب.

وحديث الدارمى عنه أيضاً: والذى نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيا وأدرك نبوتى لاتبعنى.[١]

وحديث ابن مردويه عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: لما قرب الله موسى إلى طور سيناء نجيا قال أى رب هل أحد أكرم عليك منى قربتنى نجيا وكلمتنى تكليما؟ قال: نعم محمد أكرم على منك. الحديث.[٢]

وحديث النسائى عنه أيضاً: أنه عليه السلام صعد المنبر وقال: أيها الناس أى أهل الأرض تعلمون أكرم على الله عز وجل؟ فقالوا: أنت. الحديث. أخرجه فى القسامة.[٣]

وحديث مسلم عن أبى هريرة وحذيفة وحديثه معا فى الشفاعة: وفيه قول إبراهيم عليه السلام إنما كنت خليلا من وراء وراء أى من وراء مرتبة الحبيب التى هى المرتبة الحائلة بين الرب وجميع الخلق.[٤]

وحديث الحاكم فى " تاريخه " عن أبى بن كعب والذى نفسى بيده إن إبراهيم ليرغب فى شفاعتى.[٥]

وحديث مسلم عن أبى بن كعب: إن الله تعالى قال له عليه السلام فى مسألة ترديده فى قراءة القرآن على حرف وعلى حرفين وعلى سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها قال فقلت: اللهم اغفر لأمتى اللهم اغفر لأمتى، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم [٨] حتى إبراهيم عليه السلام.[٦]

(١) أخرجه الدارمي (١/١٢٦).
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/٢٧١).
(٣) أخرجه النسائي (٤/٢٢٧).
(٤) أخرجه مسلم (١/١٨٧).
(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٧/٣٣٠).
(٦) أخرجه مسلم (١/٥٦١، رقم ٨٢٠).

إلى غيرها من الأحاديث الواردة فى هذا الباب كالأحاديث الواردة بأن عيسى عليه السلام إذا نــزل فى آخر الزمان يحكم بشريعته ويكون على دينه وملته والواردة فى تمنى غير واحد من المرسلين أن يكون من أمته وأتباعه المختصين به وزمرته فإنها كلها تؤذن بأنه نبى الأنبياء ورسول الرسل وسيدهم وإمامهم وزعيمهم وأخصهم وأقربهم وأعرفهم بالله وأعلمهم به وأولاهم بالكرامة وأحقهم بالفخامة والزعامة فيكون باسم الخلافة أولى وأحق ولكل كرامة من الله لخلقه أسرع وأسبق والخلفاء قبله وبعده نوابون عنه وتابعون له ولهذا لم يبعث إلى الخلق عامة إلا هو خاصة ﷺ ومما يؤذن بذلك أيضاً ما ذكره غير واحد من المحققين من أن السجود الواقع لآدم عليه السلام من الملائكة إنما كان من أجل ما أكرم به فى صورته الآدمية من الظهور بالسمة المحمدية وفى الفتوحات المكية سجود الملائكة لآدم إنما كان لأجل الصورة لا لأن علمهم الأسماء انتهى.

وهو محتمل لأن يريد به الصورة الإلهية أو المحمدية أو هما معاً وفى " الطبقات الشعرانية " فى ترجمة أبى المواهب الشاذلى أنه كان يقول كان سجود الملائكة لآدم عليه السلام إشارة لتواضع الصغير للكبير وإظهارا للكرامة بظهور صورته بسمة محمد ﷺ وذلك أن رأس آدم ميم ويديه حاء وسرته ميم ورجليه دال وكذا كان يكتب فى الخط القديم انظر تمامه وذكر آخرون أنه إنما كان من أجل ما كان [٩] فى جبهته وجبينه من نور سيدنا محمد ﷺ ويرحم الله القائل:

يا بنى الزهراء لا لاقيتم ... أبد الآباد سوء من أحد
سركم لاح بمعنى آدم ... فلذا كل إليه قد سجد

وفى " الفتوحات المكية " فى الباب العاشر بعد ما ذكر فيها أنه ثبت له ﷺ السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر وأن الذين تقدموا على زمن ظهوره كانوا فى العالم نوابه من آدم إلى آخر الرسل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام لو كان موجودا بجسمه من لدن آدم إلى زمن وجوده لكان جميع بنى آدم تحت حكم شريعته إلى يوم

القيامة حساً وإنه الملك والسيد على جميع بنى آدم وإن جميع من تقدمه كان ملكاً له وتبعا والحاكمون فيه نواب عنه وإن هذا إذا كان الملك عبارة عن الأناسى خاصة فإن نظرنا إلى سيادته ﷺ على جميع ما سوى الحق كان ملكه وسيادته على جميع الخلق ما نصه: فالإنسان آخر موجود من أجناس العالم فإنه ما ثم إلا ستة أجناس، وكل جنس تحته أنواع، وتحت الأنواع أنواع، فالجنس الأول الملك، والثانى الجان، والثالث المعدن، والرابع النبات، والخامس الحيوان، ولما انتهى الملك وتمهد واستوى كان الجنس السادس جنس الإنسان، وهو الخليفة على هذه المملكة وإنما وجد أخيراً (١) ليكون إماما بالفعل حقيقة لا بالصلاحية والقوة فعندما أوجد عينه لم يوجده إلا واليا سلطانا ملحوظا ثم جعل له نوابا حين [١٠] تأخرت نشأة جسده فأول نائب كان له وخليفة آدم عليه السلام ثم ولده واتصل النسل وعين فى كل زمان خلفاء إلى أن وصل زمن نشأة الجسم الطاهر المحمدى ﷺ فظهر مثل الشمس الباهرة فاندرج كل نور فى نوره الساطع وغاب كل حكم فى حكمه وانقادت جميع الشرائع إليه وظهرت سيادته التى كانت باطنة فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم. انتهى المراد منه.

وقد تقدم قبل هذا تمام كلامه فى هذا المرام انتهى.

لواء الحمد

وفى الفتوحات المكية فى الباب الثالث والسبعين فى الجواب عن السؤال السادس والسبعين من أسئلة الحكيم الترمذى وهو ما لواء الحمد بعد أن ذكر أنه حمد الحمد وهو أتم المحامد وأسناها وأعلاها مرتبة وإنه سمى لواء لأنه يلتوى على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد وإنه لا يكون إلا بالأسماء وآدم عليه السلام عالم بجميعها كلها فى المقام الثانى من مقامه ﷺ ما نصه: فكان قد تقدم لمحمد ﷺ علمه بجوامع الكلم والأسماء كلها

(١) فى نسخة آخرا.

من الكلم ولم تكن فى الظاهر لمحمد ﷺ عينا فيظهر بالأسماء لأنه صاحبها فظهر ذلك فى أول موجود من البشر وهو آدم عليه السلام فكان هو صاحب اللواء فى الملائكة بحكم النيابة عن محمد ﷺ لأنه تقدم عليه بوجوده الطينى فمتى ظهر محمد ﷺ كان أحق بولايته ولوائه فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه ﷺ وقد كانت الملائكة تحت ذلك [١١] اللواء فى زمن آدم فهم فى الآخرة تحته فتظهر فى هذه المرتبة خلافة رسول الله ﷺ على الجميع انتهى.

تضمن الشريعة المحمدية لجميع الشرائع

وفيها أيضاً فى الباب المذكور فى الجواب عن السؤال الرابع والخمسين ومائة من أسئلة الحكيم المذكور ما نصه: وكان محمد ﷺ قد أوتى جوامع الكلم بشرعة تضمن جميع الشرائع وكان نبياً وآدم لم يخلق فمنه تفرعت الشرائع لجميع الأنبياء عليهم السلام هم أرساله ونوابه فى الأرض لغيبة جسمه ولو كان جسمه موجودا لما كان لأحد شرع معه وهو قوله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَنــزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ [المائدة:٤٤] ونحن المسلمون وعلماؤنا الأنبياء ونحكم على أهل كل شريعة بشريعتهم فإنها شريعة نبينا إذ هو المقرر لها وشرعه أصلها وأرسل إلى الناس كافة ولم يكن ذلك لغيره والناس من آدم إلى آخر إنسان وكانت فيهم الشرائع فهى شرائع محمد ﷺ بأيدى نوابه فإنه المبعوث إلى الناس كافة فجميع الرسل نوابه بلا شك فلما ظهر بنفسه لم يبق حكم إلا له ولا حاكم إلا رجع إليه واقتضت مرتبته أن تختص بأمر عند ظهور عينه فى الدنيا لم يعطه أحد من نوابه ولابد أن يكون ذلك الأمر من العظم بحيث إنه يتضمن جميع ما تفرق فى نوابه وزيادة انتهى المراد منها.

وفيها أيضاً: فى الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة فى معرفة منــزلته ﷺ مع بعض العالم ما نصه: واعلم أن الله تعالى لما جعل منــزل محمد ﷺ [١٢] السيادة فكان سيداً ومن سواه سوقة علمنا أنه لا يقاوم فإن السوقة لا تقاوم ملوكها فله منــزل خاص

وللسوقة منـزل ولما أعطى ﷺ هذه المنـزلة وآدم بين الماء والطين علمنا أنه الممد لكل إنسان كامل مبعوث بناموس إلهى أو حكمى وأول ما ظهر من ذلك فى آدم حيث جعله خليفة عن محمد ﷺ فأمده بالأسماء كلها من مقام جوامع الكلم التى هى لمحمد ﷺ فظهر بعلم الأسماء كلها على من اعترض على الله فى وجوده ورجح نفسه عليه ثم توالت الخلائف فى الأرض إلى أن وصل زمن وجود صورة جسمه لإظهار حكم منـزلته باجتماع نشأتيه فلما برز ﷺ كان كالشمس اندرج فى نوره كل نور فأقر من شرائعه التى وجه بها نوابه ما أقر ونسخ منها ما نسخ انتهى المراد منها بلفظها فى الكل.

وفى شرح " سلم العلوم فى المنطق " للعارف بالله أبى العباس محمد عبد العلى اللكنوى الشهير ببحر العلوم ما نصه: واعلم أن الله سبحانه قبل وجود الإنسان فى النشأة العنصرية كان هو بنفسه يتصرف فى العالم يبقيه وكل واحد من أجزاء العالم فظهر الاسم وكل اسم يطلب ظهور نفسه دون غيره فكل موجود ضد لآخر يستدعى عدمه وإنما يبقى كل بإبقاء الله سبحانه فلما خلق الله الإنسان الجامع لجميع الأسماء وحقائق العالم وسائر الأشياء بالنسبة إليه كالقوى جعله خليفة يتصرف فى العالم بإيصال فيضه على حسب استعداد كل وإعطاء العطايا ويبقى العالم [١٣] وليس المراد أن الجاعل والمفضى الإنسان فإنه كفر بل المراد أن المفضى والجاعل والمعطى هو الله والإنسان وسيلة فيه فجعله الله ختما على خزائن العالم والخليفة المتصرف حقيقة سيدنا وسيد الأولين والآخرين محمد مقدم الأنبياء والأولياء صلوات الله وسلامه عليه وآله وأصحابه وأزواجه وأتباعه أجمعين وقبل مجيئه فى عالم العناصر كان سائر الأنبياء صلوات الله عليهم نوابا له عليه وآله الصلاة والسلام فى زمنهم وإذا بعث هو استنار بنوره العالم وبعد وفاته الأقطاب نواب له بهم يحفظ العالم وإذا انتقل الإنسان الكامل بأن يموت خاتم الولاية المطلقة تنشق السماء وتقوم الساعة وتنتقل العمارة إلى الدار الآخرة فهذه عقائد حقة عليها الأولياء الكرام انتهى منه بلفظه.

وفى كتاب الجيلى للباب التاسع والخمسين وخمسمائة من "الفتوحات المكية" فى آخره ما نصه: واعلم أن الخلفاء على أقسام خلفاء الله على ما هو له يقومون بصفاته عنه وخلفاء الله على ما هو منه يقومون به فى خلقه وخلفاء لخلفاء الله فى كل القسمين فالخلافة المحضة فيما هو لله لمحمد ﷺ والأنبياء والأولياء الكمل نوابه فهم خلفاء خليفته ﷺ انتهى منه بلفظه.

تنبيه

ذكر غير واحد ممن شرح الصلاة المشيشية لدى قوله فيها وتنـــزلت علوم آدم وممن شرح همزية الإمام البوصيرى لدى قوله:

لك ذات العلوم ٠٠٠البيت.

ومن غيرهم أن الله [١٤] تعالى أطلع سيدنا آدم عليه السلام على الأسماء كلها تفصيلاً وعلى مسمياها بطريق الإجمال فأعجز بذلك الملائكة وأطلع نبيه سيدنا محمداً ﷺ على كل من الأسماء والمسميات تفصيلاً فأعجز بذلك الأولين والآخرين آدم وغيره يريدون بهذا الكلام كما صرح به بعضهم أن سيدنا آدم كان له بالنسبة للأشياء التى عرضت عليه علم المفاهيم فقط وسيدنا محمد ﷺ كان له علم الحقائق وفى ضمنه علم المفاهيم فكانت معرفته ﷺ للمسميات من الوجه الأخص والأعم ومعرفة آدم لها من الوجه الأعم خاصة وذلك أن الموجودات لها حقائق ولها مفهومات ولها حدود حقيقية بالاعتبار الأول وحدود إسمية بالاعتبار الثانى والمفهوم هو ما يفهم من الاسم فى الجملة وهو للموجود والمعدوم والحقيقة ماهية الشىء على سبيل التفصيل ولا تكون إلا للموجود وعلم المفاهيم هو الذى يقتضيه إطلاق الألفاظ وبتوقف عليه تطبيق الأسماء ولا يتوقف ذلك على علم الحقائق وهذا الكلام مخالف لما عليه أرباب القلوب من أن آدم عليه السلام أطلعه الله على الأسماء العالية والأسماء العالية عندهم تفيد حقائق الأشياء وتفاصيلها فيكون سيدنا آدم قد أعطى أيضاً علم الحقائق وعليه فاختصاصه ﷺ عنه وعن غيره من أولاده من الأنبياء وغيرهم ممن [١٥] أطلعه الله على الحقائق

بالتمكن فيها التمكن الذى ليس لغيره وبتنـــزلها فيه قبل وجودهم وبتلقيه إياها بلا واسطة أحد بخلافهم فإنهم إنما تلقوها بواسطته ﷺ إذ لا غنى لمخلوق عنها، فافهم.

ومنها قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ [آل عمران:٨١] الآية فإنه تعالى أخبر فى هذه الآية أنه أخذ الميثاق وهو عهد مؤكد باليمين من النبيين كلهم من لدن آدم إليه ﷺ وأممهم تبع لهم لأن العهد على المتبوع عهد على التابع لا سيما وفى قراءة ابن مسعود وأبى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] فيؤخذ من مجموع القراءتين أن العهد على جميع الأنبياء وعلى أممهم وذلك ثم فى عالم الأنوار والحقائق فى عالم الأرواح ثم فى عالم الذر ثم فى عالم الأشباح أنهم إذا جاءهم رسول مصدق لما معهم وهو سيدنا محمد ﷺ على ما قاله وذهب إليه جماعة من الصحابة والتابعين وقطع به الأجلاء من العلماء والصوفية ويؤيده أن اسم الرسول والنبى إذا أطلقا فى القرآن أوالسنة فإنما ينصرفان له وتنكيره وتنوينه للتعظيم ليؤمنن به ولينصرنه وأخبر تعالى أنهم أقروا بذلك وقبلوا عهده عليه وشهدوا به على أنفسهم وشهد الله عليهم وحكم بأن من رجع عن ذلك كان من الفاسقين الناكثين للعهد الخارجين عن أمر الله وحكمه وعليه فلو ظهر سيدنا محمد ﷺ فى زمن أى نبى من الأنبياء لبطل شرع ذلك النبى وكان هو وأمته من أتباعه ﷺ لإيجاب الله عليهم اتباعه [١٦] والإيمان به ونصرته وقد علم سبحانه وتعالى أنه لا يظهر فى زمانهم لأنه سبق فى علمه أنه خاتم النبيين والمرسلين ولكنه أراد تعريفهم بفضله وجلالة قدره وعلو شأنه عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وواسطتهم وممدهم والمقدم على جميعهم وأن سائرهم من رعاياه وجنوده وأتباعه ورسلهم نواب عنه وخلفاء عن حضرته وجنابه لكونه المظهر التام والمجلى الكامل العام والحجاب الأرفع والمقام الأجل الأجمع الذى نال المقر الأكمل والمحل الأحمى الأجمل وصاحب البرزخية الكبرى التى هى شهود الذات المعبر عنه بالآية الكبرى فللأنبياء وورثتهم قاب قوسين وخص هو أو أدنى فما عرف أحد الله كمعرفته ولا أحبه وأحب له كمحبته ولا وحده كتوحيده ولا حمده كحمده

ومجده كتمجيده فكان له التفرد فى كل مقام ومنه الفيض والمدد للخاص والعام ولله در سيدى سالم شيخان العلوى إذ يقول فى همزيته:

لـــــك ذات العلـــــوم والأسمـــــاء يـــــا نبـــــياً نوابـــــه الأنبـــــياء

وفى " الكمالات الإلهية " للجيلى ما نصه: قوله تعالى للأنبياء ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾ [آل عمران:٨١] دليل على أنهم لم يدركوا الكمالات المحمدية بالكشف حتى تكون لهم مشهودة وسبب ذلك أن الفرع لا سبيل له أن يحيط بالأصل فأخذ الله الميثاق عليهم أن يؤمنوا بكمالاته إيمانا بالغيب ليكون ذلك سببا لهم إلى المعارف الذاتية فيحصلوا بذلك فى مراتب الأكملية ويلتحقوا به لعلمه أنهم لا يدركون ذلك إلا بواسطة محمد ﷺ وسر هذا الأمر أنه مظهر الذات والأنبياء مظهر الأسماء [١٧] والصفات وبقية العالم العلوى والسفلى مظاهر أسماء الأفعال ما خلا أولياء أمة محمد ﷺ فإنهم كالأنبياء مظاهر الأسماء والصفات لقوله ﷺ علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل.(١) انتهى منه بلفظه.

قلت: وهذا الحديث طعن فى لفظه حفاظ الحديث كالحافظ ابن حجر والدميرى والزركشى فمنهم من قال أنه لا أصل له ومنهم من قال أنه لا يعرف له مخرج ومنهم من قال أنه لا يوجد فى كتاب معتبر والجيلى ذكره تبعا للشيخ الأكبر فإنه ذكره فى مواضع من فتوحاته لكنه قال فى آخر الباب التاسع والستين ما نصه: وروى عن النبى ﷺ أنه قال علماء هذه الأمة كأنبياء بنى إسرائيل.

وفى رواية أنبياء بنى إسرائيل وإن كان إسناد هذا الحديث ليس بالقائم ولكن لوددناه تأنيسا للسامعين أن علماء هذه الأمة قد التحقت بالأنبياء فى الرتبة انتهى.

---

(١) ذكره العجلوني في الكشف الخفاء (٢/٨٣)وقال، قال السيوطي في الدرر لا أصل له وقال في المقاصد شيخنا يعني – ابن حجر – لا أصل له وقبله الدميري والزركشي وزاد بعضهم ولا يعرف في كتاب معتبر.

وكأنه يرى أنه حديث صحيح من جهة المعنى وهو كذلك صرح بصحة معناه غير واحد لأحاديث عديدة كحديث العلماء ورثة الأنبياء أخرجه أحمد، وأبو داود والترمذى وآخرون.(١)

وحديث أبي الدرداء وصححه ابن حبان، والحاكم، وغيرهما وحسنه حمزة الكنانى وضعفه غيرهم بالاضطراب فى سنده قال فى " فتح البارى ": لكن له شواهد يتقوى بها. انتهى.

وأورده البخارى تعليقاً لكنه لم يفصح بكونه حديثاً (٢) قال فى " الفتح ": فلهذا لا يعد من تعاليقه. انتهى، والله أعلم.

وقد روى مما أخرجه ابن جرير وذكره ابن كثير فى " تفسيره " وغير واحد عن على بن أبي طالب أنه قال فى تفسير الآية المذكورة [١٨] لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد فى محمد ﷺ لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه.

وأخرج ابن عساكر من طريق كريب عن ابن عباس قال: لم يزل الله تعالى يتقدم فى النبى ﷺ إلى آدم فمن بعده ولم تـــزل الأمم تتباشر به وتستفتح به حتى أخرجه الله فى خير أمة وفى خير قرن وفى خير أصحاب وفى خير بلد فأقام به ما شاء الله وهو حرم إبراهيم ثم أخرجه إلى طيبة وهى حرم محمد فكان مبعثه من حرم ومهاجره إلى حرم وهذا وما قبله وإن كانا موقوفين فحكمهما الرفع لكون المذكور فيهما لا مجال للرأى فيه.

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٦/٥)، وأبو داود (٣١٧/٣)، والترمذي (٤٨/٥).

(٢) أورده البخاري (٣٧/١) في باب العلم قبل القول والعمل ولم ينص عليه أنه حديث.

وأخرجه ابن أبي حاتم عن السدى فى الآية قال لم يبعث الله نبى قط من لدن نوح إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه إن خرج وهو حى وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به وينصروه إن خرج وهم أحياء.

وأخرج أبو الشيخ فى " طبقات الأصبهانيين " والبيهقى والحاكم وصححه وأقره التقى السبكى فى " شفاء السقام " والبلقينى فى " فتاويه " وتعقبه الذهبى بأن فى سنده عمرو بن أوس لا يدرى من هو عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن ومثله أيضاً لا يقال رأيا فحكمه الرفع. (١)

وفى الحديث الطويل الذى أخرجه أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبنى بتقديم [١٩] الباء على النون وبضم فسكون ويقال بضمتين فى " فوائده " التى خطها بيده وأخذها عن شيوخه بمكة زادها الله شرفاً بسنده عن ابن عباس وابن عمر وأبى سعيد الخدرى ﷺ: **يا عمر أتدرى من أنا؟** أنا الذى من أجلى أخذ الله ميثاق الأنبياء والرسل والأمم بإقرار نبوتى وفضلى وأن يتواصوا بى قرناً بعد قرن فقال عز وجل ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ** ﴾ [آل عمران: ٨١] فى آخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله ﴿ **مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ** ﴾ [آل عمران:٨١] من نعته ووصفه ﴿ **لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ** ﴾ [آل عمران:٨١] فأقروا بذلك قال الله عز وجل ﴿ **أَأَقْرَرْتُمْ** ﴾ بأن خيرتى من خلقى وصفيى أحمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين وحجة الله على الخلائق أجمعين ﴿ **وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي** ﴾ [آل عمران:٨١] وعهدى وميثاقى ﴿ **قَالُوا أَقْرَرْنَا** ﴾ قال الله عز وجل ﴿ **فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران:٨١] أن خيرتى من خلقى وصفيى أحمد ﴿

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في طقباته(٣/٢٧٨)، والحاكم (٢/٦٧١) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران:٨٢] ولا فخر وقد ذكر هذا الحديث بطوله الأستاذ أبو محمد جبر بن محمد بن جبر بن هشام القرطبى والإمام العزفى صاحب " الدر المنظم " وختم به أبو القاسم الرصاع فى كتابه " تحفة الأخيار فى فضل الصلاة على النبى المختار " وذكر هذه القطعة بخصوصها منه العلامة ابن زكرى فى " الإلمام والإعلام " قال فى " المواهب اللدنية " وقيل إن الله تعالى لما خلق أنوار نبينا محمد ﷺ أمره أن ينظر إلى نور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أى بعد اقتباس أنوارهم من نوره فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به وقالوا يا ربنا [٢٠] من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله إن آمنتم به جعلتكم أنبياء فقالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى أشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران:٨١] انتهى.

وقد أخذ من هذا أمران أحدهما: أنه أفضل الأنبياء الذين هم أفضل الخلق على الإطلاق ورسول الرسل وأممهم وقطب دائرة الكل الذى أمر باتباعه وطاعته والانقياد إليه الجميع.

ثانيهما: أنه خليفة الله على الإطلاق وسلطان المملكة ولذا أخذت له البيعة من الأنبياء وأممهم كما تؤخذ للملوك والسلاطين من الرؤساء وأتباعهم ولذا كان من أسمائه "**السلطان**" و"**الملك**" و"**الوالى**" و"**الحاكم**" و"**المحكم**" و"**القاضى**" لأنه يقضى ويحكم بأمر الله فى جميع مملكته ويتصرف فيها نيابة عنه سبحانه وفى " الخصائص الكبرى " للسيوطى نقلاً عن تقى الدين السبكى فى رسالة له صغيرة سماها " التعظيم والمنة فى قوله تعالى ﴿ **لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ** ﴾ [آل عمران:٨١]" بعد كلام ما نصه: والنبى ﷺ أكمل الخلق فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله ولا محل أشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح الذى هو كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبينا ﷺ من ربه سبحانه وأنه أعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم أخذ له المواثيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وفى أخذ

المواثيق وهى فى معنى الاستحلاف [٢١] أى بالحاء المهملة ولذلك دخلت لام القسم فى ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ [آل عمران:٨١]الآية.

لطيفة أخرى

وهى كأنها أيمان البيعة التى تؤخذ للخلفاء ولعل أيمان الخلفاء أخذت من هنا. انتهى منها بلفظها.

وفى "الصفات المحمدية" لسيدى عبد الكريم الجيلى فى الكلام على اتصافه ﷺ بأسماء الله ما نصه: وأما اسمه الملك فقد كان ﷺ متحققا بذلك وهو صفة الملكية فنــزل بها إلى مقام العبودية كمالاً وتمكيناً وقد أخذ الله تعالى له العهد على الأنبياء كما يؤخذ العهد للملك على غلمانه وحواشيه انتهى منها بلفظها.

وفيها أيضاً ما نصه: وأما مالك الملك فإنه ﷺ كان متحققاً بهذا الاسم موصوفاً بصفة المالكية للملكة الوجودية والدليل على ذلك أن الله تعالى خلق العالم من أجله فهو مالك الملك وسيده وقد قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد سخر الله العالم لآدم وأولاده فقال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣] وهو سيدهم فهو سيد العالم أجمع ومالك الملك وقد بينا فيما سبق أن أخذ العهد من الأنبياء فى القدم دليل واضح على أنه الملك لأن العهد لا يؤخذ إلا على الأتباع والخدم للمتبوع المالك ﷺ انتهى بلفظها أيضاً.

ومنها قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقوله ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نــزلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ [الفرقان:١] فإن العالمين هم جميع الخلق [٢٢] من إنس وجن وملك وحيوان ومعدن ونبات وعرش وما فوقه وما تحته إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى فيكون رحمة للكل ومأمورا بإنذار الكل والكل مأمور باتباعه وطاعته والإيمان به والانقياد إليه والخضوع والذل بين يديه وما ذاك إلا لأنه خليفة الله عليهم الممد جميعهم والمصرف بأمر الله فيهم فإن من شأن

خليفة الملك المستخلف على كل مملكته أن يتصرف فيها كلها بأمره وينقاد له من فيها بأسره ويخضعوا له كما يخضعون للملك وتنفذ فيهم أوامره كما تنفذ أوامر الملك.

ومثل الآية الأولى حديث – إن الله بعثنى رحمة للعالمين وهدى للمتقين. أخرجه أبو نعيم فى دلائله عن أبى أمامة. (١)

وحديث إن الله بعثنى رحمة للعالمين كافة. أخرجه الديلمى عن المسور بن مخرمة.

ومثل الآية الثانية: حديث فضلت على الأنبياء بست. الحديث وفيه وأرسلت إلى الخلق كافة. أخرجه مسلم والترمذى عن أبى هريرة. (٢)

والخلق جميع المكونات من الأزل إلى الأبد ولله در القطب بحر الصفا سيدى محمد وفا ﷺ فى قوله:

فأنــت رســول الله أعظــم كائن   وأنــت لكــل الخلــق بالحق مرسل

وفى "مطاع المسرات" للشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبد الجليل بن موسى القصرى أثناء كلام له ما نصه: انظر قوله عز وجل ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ [الفرقان:١] والعالمون هم جميع الخليقة فقد أنذر الخليقة أجمع وآمن الكل به فى الأولية والآخرية [٢٣] وانتقال النور فى جميع العالم من صلب إلى صلب فافهم انتهى نقله فى مطالع المسرات وقال بعض الكبار من الأئمة الكاملين والعلماء العاملين ظاهر قوله تعالى ﴿ **لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ [الفرقان:١]وقوله فى الحديث الصحيح وأرسلت إلى الخلق كافة (٣) يعطى كونه ﷺ مبعوثاً إلى كل مخلوق حتى من الحيوانات والنباتات والجمادات ولا مانع من إجرائهما على ظاهرهما لأن ظواهر الكتاب والسنة تدل على أن كل مخلوق حى عالم قادر مريد ناطق وإن

---

(١) ذكره ابن حزم في المحلى (٩/٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/٣٧١، رقم ٥٢٣)، والترمذي (٤/١٢٣).

(٣) أخرجه مسلم (١/١٧٣، رقم ٥٢٣).

تفاوتت مراتب حياته وإدراكاته وبقية كمالاته فصح أن يكلف تكليفاً يليق بعالمه وطوره ومرتبة كماله كما أن الإنسان المكلف بالإجماع يختلف تكليف أفراده بحسب اختلاف أحوالهم فى الوسع اختياراً واضطراراً فيباح لهذا ما يحرم على هذا وقس بقية الأحكام انتهى.

إرساله ﷺ إلى جميع المخلوقات

وقال الشيخ الإمام المفسر ذو التصانيف المشهورة فخر الدين أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن الحرالى بتشديد اللام التجيبى حسبما نقله عنه فى "المواهب اللدنية" لما كان عرفان قلبه عليه السلام بربه عز وجل كما قال بربى عرفت كل شيء كانت أخلاقه أعظم خلق فلذلك بعثه الله إلى الناس كلهم و لم يقصر رسالته على الإنس حتى عمت الجن و لم يقصرها على الثقلين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله فكما أن الربوبية تعم جميع العالمين فالخلق المحمدى يشمل جميع العالمين انتهى.

قال فى المواهب وهذا بصبر منه إلى أنه ﷺ قد أرسل إلى الملائكة أيضاً [٢٤] قال شارحها الزرقانى بل قوله فكل ما كان الله ربه إلى آخره يفيد أنه مرسل لسائر الحيوانات والجمادات فإن الكل مربوب له تعالى ويصدق عليه قوله فمحمد رسوله إلى معناه مرسل إليه انتهى.

وقال الشيخ الملا على القارى الحنفى فى جمع الوسائل فى شرح الشمائل فى باب ما جاء فى خلق رسول الله ﷺ بعد ذكره لقول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن [1] ما نصه: وفيه إيماء إلى أن أوصاف خلقه العظيم لا تتناهى كما أن معانى القرآن لا تتقاضى وهذا غاية فى الاتساع ونهاية فى الابتداع لا يهتدى لانتهائها بل كل ما يتوهم أنه انتهاؤها فهو من ابتدائها ومن ثم وسعت أخلاقه أفراد أصناف بنى آدم بل

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/٣٠)، وأحمد (٦/٩١).

أنواع أجناس مخلوقات العالم ولذا أرسله الله إلى العرب والعجم والإنس والجن وسائر الأمم بل وإلى الملائكة والنباتات والجمادات كما بينته فى شرح الصلوات على ما يدل عليه قوله فى صحيح مسلم بعثت إلى الخلق كافة انتهى منه بلفظه. وقد نقله جسوس فى شرحها أيضاً مسلماً.

قلت: وهذه هى عقيدة أهل الله قاطبة وأنه عليه السلام مرسل إلى جميع المخلوقات ناطقها وصامتها حيها وجماديها أعلاها وأسفلها لم يخرج عن رسالته شيء منها أيا كان علم أو لم يعلم لأنها مخلوقة منه وبسببه وهو الممد لها أزلاً وأبداً والآمر لها والناهى عن الله تعالى حقيقة فكيف تخرج عن رسالته ودعوته ولا تكون مكلفة بالإيمان به وطاعته ومما يدل لهذا زيادة على [٢٥] ما ذكرناه شهادة الضب وغيره من الحيوانات العجم له بالرسالة وكذا شهادة الشجر والحجر له وانقيادهما لأمره وطاعة العالم العلوى والسفلى له وأدبهما معه وتعظيمهما لجنابه ومما يدل له أيضاً ما ذكره العارفون وغيرهم من محققى العلماء فى قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء:٤٤] من أنه تسبيح حقيقى بلسان المقال لا بخصوص لسان الحال ومن أن الله تعالى ما خلق شيئا فى الكون من جماد أو نبات أو غيرهما إلا حيا ناطقا يفهم الخطاب ويرد الجواب ويتألم كما يتألم الحيوان وله لغات وألسن تليق بذواته وحالاته يفهمها من فهمه الله إياها ومن أن العالم كله فى مقام العبادة لله تعالى والمعرفة به والخوف منه والشهود له إلا عاصى الجن والإنس من حيث أعيان أنفسهم لا من حيث هياكلهم فإنها كسائر العالم فى التسبيح له تعالى والمعرفة به والعبادة له.

ومما يدل لتكليف الحيوانات الغير الناطقة تكليفاً يليق بحالها وعلى أن مما كلفت به ترك التعدى على مثلها ونظيرها وترك الإيذاء له ما ذكره العلماء على ما هو الصحيح عندهم وهو المؤيد بالأحاديث من أن كل ذى روح من الحيوانات تبعث يوم القيامة حتى يقتص من بعضهم لبعض حتى إنه ليقتص للشاة الجماء أو نقول الجلحاء من الشاة القرناء ثم تعود الحيوانات البهيمية ونحوها من الحشرات والهوام والدواب ترابا سوى عشرة منها وقيل خمسة عشر فإنها تدخل الجنة وفى شرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى

للشيخ زروق لدى قولها وإن الله [٢٦] يبعث من يموت ما نصه: يعنى من كل شىء حتى البهائم والحشرات هذا ظاهر النصوص وقيل لا تبعث الحشرات والبهائم انتهى.

وفى "الفتاوى الحديثية" لابن حجر الهيتمى ما نصه: وللبهائم حياتان وموتتان الدنيوية ثم الموت بعدها ثم الحياة للقصاص كما جاء فى الصحيح ثم يقال لها كونى ترابا فتموت وترجع ترابا وحينئذ يقول ﴿ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً ﴾ [النبأ: ٤٠] انتهى.

وقد أخرج مسلم فى صحيحه وأحمد، والترمذى عن أبى هريرة مرفوعاً لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء أى الجماء التى لا قرن لها من الشاة القرناء تنطحها.[1]

وأخرج أحمد بسند رواته رواة الصحيح عنه أيضاً مرفوعاً يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء وحتى للذرة من الذرة.[2]

وأخرج عنه أيضاً بسند حسن مرفوعاً ليختصمن كل شىء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا.[3]

وأخرج أيضاً وأبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً والذى نفسى بيده ليختصمن كل شىء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٩٧/٤، رقم ٢٥٨٢)، وأحمد (٣٧٢/٢)، والترمذي (٦١٤/٤)وقال حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الهيثمي في زوائده (٣٥٢/١٠) عن أبي هريرة وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٠/٢)، والهيثمي في زوائده (٣٤٩/١٠) وقال رواه أحمد واسناده حسن.

وأخرج أيضاً والطيالسى فى مسنده عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أتدرى فيما ينتطحان قلت لا قال لكن الله يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة.(١)

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقى فى "الشعب" عن أبى هريرة قال يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله عز وجل يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء [٢٧] ثم يقول كونى تراباً فذلك حين يقول الكافر ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً ﴾ [النبأ:٤٠].(٢)

وأخرج الدينورى فى المجالسة عن يحيى بن جعدة قال أول خلق الله يحاسب يوم القيامة الدواب والهوام حتى يقضى بينهما حتى لا يذهب شيء بظلامة ثم يجعلها تراباً ثم يبعث الله الثقلين الجن والإنس فيومئذ يتمنى الكافر أن يكون تراباً.

وفى القرآن العظيم ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام:٣٨] ثم قال تعالى فيهم ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[الأنعام:٣٨] يعنى للجزاء كما تحشرون أنتم له وفيه أيضاً ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير:٥] يعنى جمعت لشهادة يوم الفصل والقضاء وفصل الله بينهما كما يفصل بيننا.

قال فى "الفتوحات" وهذا دليل على أنهم مخاطبون مكلفون من عند الله من حيث لا نعلم قال تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٤] فنكر الأمة والنذير انتهى.

المراد منه يعنى ليشمل جميع الأمم من سائر الأجناس بل قال بعضهم إن الجمادات وسائر ما لا تحل فيه روح يبعث أيضاً إما للشهادة للإنسان و عليه كما دلت عليه أحاديث وإما للقصاص فيما بينها إن صح ما زاده بعض الرواة فى الحديث من قوله

---

(١) ذكره ابن كثير (٥٣/٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٤٥/٢)وقال صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

ويقاد للحجر الذى ركبه حجر مثله ومن العود الذى خدش غيره لكنها زيادة غير ثابتة ويؤيدها ما فى المنن الكبرى للشعرانى نقلاً عن سيدى عبد العزيز الديرينى أنه ورد فى الزبور أنه يقتص للعود إذا خدش العود والله أعلم.

ومما يدل على عموم التكليف فى الحيوانات والنباتات وعلى أن مما كلفت به كثرة التسبيح فمن قصر منها فيما كلف به منه [٢٨] جوزى بما يقتضيه العدل الإلهى من قتل أو صيد أو قطع أو غير ذلك.

حديث ما صيد صيد ولا قطعت شجرة إلا بتضييع التسبيح وكل شىء من الخلق يسبح حتى يتغير عن الخلقة التى خلق عليها وإن كنتم تسمعون نقض جدركم فإنما هو تسبيح. أخرجه أبو نعيم فى الحلية وابن مردويه من حديث أبى هريرة وأورده السيوطى فى جامعه صدره وقال فى التيسير رمز المؤلف يعنى السيوطى لحسنه ونوزع لكن له شواهد ثم ذكر منها ما أخرجه ابن راهويه فى مسنده من طريق الزهرى قال أتى أبو بكر الصديق بغراب وافر الجناحين فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ما صيد صيد ولا عضدت عضاهة ولا قطعت وشيحة إلا بقلة التسبيح.

وما أخرجه أبو الشيخ عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ ما أخذ طائر ولا حدت إلا بتضييع التسبيح.

قلت ومن شواهده أيضاً ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ما صيد من طير فى السماء ولا سمك فى الماء حتى يدع ما افترض الله عليه من التسبيح.

وما أخرجه أبو الشيخ عن مرثد بن أبى مرثد عن النبى ﷺ قال لا يصطاد شىء من الطير والحيتان إلا بما يضيع من تسبيح الله ذكرهما فى الدرر المنثور ومن شواهده أيضاً ما أخرجه ابن عساكر فى تاريخه عن عمر مرفوعاً ما صيد مصيد إلا بنقص فى تسبيحه.

وعن أبى بكر الصديق أيضاً مرفوعاً ما صيد صيد إلا بنقص من تسبيح ولا دخل على امرئ مكروه إلا بذنب وما عفى الله عنه [٢٩] أكثر قال ابن عساكر فيهما بعد

أن رواهما بسند واحد حديث منكر وفيه ضعيفان ومجهولان (١) وممن ذهب إلى هذا أعنى بعثه إلى الكل شيخ الإسلام جمال الدين البارزى فإنه ذكر أنه ﷺ أرسل إلى جميع المخلوقات حتى الجمادات بأن ركب فيها فهم وعقل مخصوص حتى عرفته وآمنت به واعترفت بفضله واستدل على ذلك ببعض ما ذكرناه.

قال الجلال السيوطى وأنا أزيد على ذلك أنه مرسل إلى نفسه.

قلت ويشهد له حديث بعثت إلى الناس كافة فإن لم يستجيبوا لى فإلى العرب فإن لم يستجيبوا لى فإلى قريش فإن لم يستجيبوا لى فإلى بنى هاشم فإن لم يستجيبوا لى فإلى وحدى أخرجه ابن سعد فى "طبقاته" عن خالد بن معدان مرسلاً ذكره فى الجمع وفى الجامع (٢) وقد أبى من هذا أكثر العلماء وجمهورهم وقالوا إرساله ﷺ إلى الإنس والجن تكليف إجماعا وإلى الملائكة فيه خلاف فقيل وهو الأصح وهو الذى رجحه تقى الدين السبكى وجماعة من محققى المتأخرين أنه أرسل إليهم إرسال تكليف بالإيمان به والاعتراف بفضله والطاعة لأمره والدخول فى زمرة أتباعه زيادة فى شرفه وشرفهم وقيل إرسال تشريف وإلى الحيوانات والجمادات إرسال تشريف فقط قالوا والقصاص بين الحيوانات ليس من قصاص التكليف وإنما هو قصاص مقابلة تحقيقا للعدل.

وفى "الفتوحات" فى الباب السابع عشر وثلاثمائة ما نصه: ما كلف الله أحداً من خلقه إلا الملائكة والإنس والجن وما عداهم فإن دوام التجلى لهم أعطاهم [٣٠] الحياة الذاتية الدائمة وهم فى تسبيحهم مثلنا فى أنفاسنا دواماً متوالياً من غير مشقة نجدها فى تنفسنا بل الأنفاس عين الراحة لنا بل لولاها لمتنا ألا ترى المخنوق إذا حيل بينه وبين خروج نفسه مات ووجد الألم فعلى هذا الحد هو تسبيح كل شىء إن فهمت انتهى منه بلفظه.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢٣٩/١٨).

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته (١٩٢/١).

وانظره مع ما تقدم عنه قريباً من أن جميع الأمم من سائر الأجناس مخاطبة مكلفة من عند الله من حيث لا نعلم مستدلاً على ذلك بتنكير الأمة والنذير في قوله ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٤] وقوله ﴿ وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير:٥] وقد يجمع بين كلاميه بأنه أراد بالتكليف المنفى هنا التكليف الخاص وهو الذى يترتب فيه الثواب على الطاعة والعقاب على المخالفة والحيوانات والجمادات لا ثواب لها فى طاعتها من إيمان وتسبيح ونحوها لأن ذلك بمقتضى ذاتها وطبعها فكان كالأمر الضرورى لها كالنفس مع أن الشارع لم يقصد إلى تشريفها بالثواب ونحوه لانحطاط رتبتها ولعل هذا هو السر فى الاقتصار على النذارة وهى التخويف من العذاب عند المخالفة فى قوله ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾[الفرقان:١] لأنها عامة فى جميع المكلفين دون البشارة لأنها مختصة ببعضهم وكذا فى قوله ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٤] فتأمل والله أعلم.

تنبيه

أنبه فيه على نكتة لطيفة وهى أن السالك إذا سمع الموجودات تسبح الله أو تذكره فإن سمعها تذكر بالذكر الذى هو عليه فكشفه خيالى لا حقيقى وإنما ذلك حاله أقيم له فى الموجودات وإن سمع منها تنوعات الأذكار [٣١] فهو الكشف الصحيح ومثله إذا شاهد شيئا بعينيه فإن كان إذا غمض عينيه يبقى له شهود ذلك فهو خيال وإن لم يبق فالكشف صحيح وهذا هو الفرق بين الكشف الخيالى والحسى ذكره الشيخ عبد الرحمن العيدروس فى شرحه لصلاة أبى الفتيان.

وفى "الطبقات الشعرانية" فى ترجمة أبى المواهب الشاذلى أنه كان يقول الفرق بين الكشف الحسى والخيالى أنك إذا رأيت صورة شخص أو فعلا من أفعال الخلق فغمض عينيك فإن بقى لك الكشف فهو خيالى وإن غاب عنك فهو حسى فإن الإدراك تعلق به فى الموضع الذى رأيته انتهى.

تنبيه

تنبيه آخر اندرج فيما مر من أنه ﷺ مرسل لجميع الخلق إرساله لجميع الإنس من أولهم وهو آدم عليه السلام إلى آخرهم عند انقراض الدنيا وفناء أهلها ومما يفيد ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ﴾ [النساء:٧٩] وقوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨] وقوله ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [الأعراف:١٥٨]

وقوله عليه الصلاة والسلام أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى الحديث وفيه وكان النبى ﷺ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة أخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله.(١)

وقوله أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلى من الأنبياء الحديث وفيه وكان النبى يبعث إلى خاصة قومه وبعثت أنا إلى الجن والإنس أخرجه البخارى فى "تاريخه" والبزار، والبيهقى، وأبو نعيم، عن ابن عباس.(٢)

وقوله فضلت على الأنبياء بخمس بعثت إلى الناس كافة أخرجه البيهقى [٣٢] فى السنن عن أبى أمامة.

وقوله بعثت إلى الناس كافة الحديث أخرجه ابن سعد فى "طبقاته" عن خالد بن معدان مرسلاً خلافاً لمن خص رسالته بناس زمانه فمن بعدهم إلى قيام الساعة فإنه قصور وتقصير وقد تكلم شيخ الإسلام تقى الدين السبكى على هذا المعنى فى رسالة التعظيم والمنة وقرره أحسن تقرير وكذا تكلم عليه غيره ممن قبله وبعده كالشيخ محيى الدين ابن عربى الحاتمى وقد تقدمت وتأتى نصوص له فى هذا وذكروا أنه عليه السلام عقدت له النبوة قبل خلق آدم عليه السلام بل قبل خلق الأرواح وفى بعض العبارات

---

(١) أخرجه البخاري (١/١٦٨، رقم٤٢٧)، ومسلم (١/٣٧٠، رقم ٥٢١).

(٢) أخرجه البيهقي (١/٢١٢).

أنه دعا الخليقة إلى الله تعالى فى عالم الأنوار والحقائق ثم فى عالم الأرواح ثم فى عالم الذر كما دعاهم أخيرا فى خلقة جسده المكرم آخر الزمان قالوا والأنبياء الذين تقدموا هم نواب عنه بشرائعهم التى بعثوا بها وهو نبى الكل ورسول الرسل ﷺ وهذه هى عقيدة أهل الله تعالى قاطبة وعقيدة من نحا نحوهم من العلماء الراسخين وكمل المؤمنين ولا التفات إلى من اعترض هذا أو خالفه.

وفى "مطالع المسرات" وغيرها نقلاً عن الشيخ أبى عثمان الفرغانى قال لم يكن داع حقيقى من الابتداء إلى الانتهاء إلا هذه الحقيقة الأحمدية التى هى أصل جميع الأنبياء وهم كالأجزاء والتفاصيل لحقيقته فكانت دعوتهم من حيث جزئيتهم عن خلافة من كل لبعض أجزائه وكانت دعوته دعوة الكل لجميع أجزائه والإشارة إلى ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨] والأنبياء والرسل يدعون الخلق إلى الحق عن تبعيته [٣٣] ﷺ وكانوا خلفاءه ونوابه فى الدعوة انتهى.

وممن نقله مسلماً له العارف بالله القطب سيدى مصطفى البكرى فى روضاته العرشية ثم وقفت على كلام الإمام الفرغانى هذا فى شرحه لتائية ابن الفارض الكبرى لدى قوله فيها:

وما منهم إلا وقد كان داعيا … به قومه للحق عن تبعية

ونصه: يعنى لما كان بموجب كنت نبياً وآدم بين الماء والطين يعنى بين العلم وبين الصورة الطينية الآدمية لم يكن داع حقيقى من الابتداء إلى الانتهاء بل من الأزل إلى الأبد إلا هذه الحقيقة الأحمدية التى هى أصل جميع الحقائق الفاعلة والقابلة كان جميع هؤلاء الأنبياء كالأجزاء والتفاصيل لحقيقته فكانت دعوتهم من حيث جزئيتهم عن خلافة من كلهم لبعض أجزائه وكانت دعوته دعوة الكل لجميع أجزائه إلى كليته والإشارة إلى ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨] فكان هو داعيا بالأصالة وجميع الأنبياء والرسل يدعون الخلق إلى الحق عن تبعيته وكانوا نوابه وخلفاءه فى الدعوة وإظهار آياتهم ومعجزاتهم الجزئية وهو أصلهم فى الدعوة وإظهار

آياته ومعجزاته الكلية التى هما القرآن العزيز المخصوص به لا يشاركه فيه غيره لجمعيته لفظا ومعنى جمعا وفرادى انتهى منه بلفظه.

وفى التائية الكبرى لابن الفارض:

وأهـل تلقى الروح باسمى دعوا إلى ... سـبيلى وحجـوا الملحدين بحجتى
وكـلهم عـن سـبق معناى دائر ... بدائـرتى أو وارد من شريعتى [٣٤]
وإنى وإن كنـت ابـن آدم صورة ... فـلى فـيه معـنى شـاهد بأبوتى

فإن قيل إذا كانت رسالته عامة لجميع الخلق كما قررتموه فما وجه تخصيص الناس فى هذه الآيات وهذه الأحاديث؟

قلنا كان وجه تخصيصهم الإشارة إلى أنهم المقصودون بالدعوة والرسالة كما أنهم المقصودون من الخلق لأشرفيتهم وغيرهم تبع لهم ومراد لأجلهم ومسخر فى مصالحهم فشملته الرسالة تبعا إكراما لجنابه ﷺ حيث لم يخرج أحد عن دعوته ورسالته فتأمله والله أعلم.

سيدنا محمد ﷺ الفرد الأعظم من المرسلين ومن عوالم الله أجمعين

ومنها قوله تعالى ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] يعنى هذا الفرد الأعظم من المرسلين وهو سيدنا محمد ﷺ أى من عوالم الله أجمعين لأن مَن من صيغ العموم فى العقلاء وشمولها لغيرهم بطريق التغليب فقد أطاع الله أى فطاعته له طاعة لله تعالى لأن الله تعالى لما أنابه عنه جعل له التشريع فكان شرعه لأحد من الخلق شرعا لله وحكمه حكما له وكانت طاعته طاعة لله ومخالفته مخالفة له ولهذا قال الشافعى رضي الله عنه كل أمر أو نهى ثبت عن رسول الله ﷺ جرى ذلك فى الفريضة واللزوم مجرى أمر الله به فى كتابه أو نهى عنه.

وفى الحديث من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصا الله الحديث أخرجه أحمد، والشيخان، وغيرهم من حديث أبى هريرة.(١)

وفى الجمع، وكنـــز العمال عن زيد بن وهب قال قدم على على وفد من اليمن فخطب رجل منهم فقال فى خطبته إن طاعة هذا طاعة الرب فقال رسول الله ﷺ طاعته طاعة الرب ومعصيته معصية الرب [٣٥] ومعصيته معصية الرب أخرجه ابن عساكر انتهى فتأمل هذا الأمر العجيب وهو قرن طاعته ﷺ بطاعة الله وجعلها نفس طاعته من غير إتيان بكاف تشبيه ولا بشرط فى ذلك ولا استثناء شيء منه فإنه عند العارفين مؤذن بأكبر خلافة وأعظمها.

وفى "تحفة الأخيار" و"مطالع المسرات" لدى قول أصلهما النبى من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصا الله ما نصه: وإنما كان ذلك لأن الله تعالى جعل نبيه ﷺ خليفته وأقامه بدلا منه كما كان أميره ﷺ منه بتلك المنـــزلة ولهذا أيضاً قال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:١٠] لأنه جعله بدلا منه فكان فى مجاز القول هو انتهى بلفظهما.

وفى "الفتوحات" فى الباب الثامن والأربعين ما نصه: إنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم لكون الله تعالى خلقه على صورته فالخليفة لابد أن يظهر فيما استخلف عليه بصورة مستخلفه وإلا فليس بخليفة له فيهم فأعطاه الأمر والنهى وسماه الخليفة وجعل البيعة له بالسمع والطاعة فى المنشط والمكره والعسر واليسر وأمر الله تعالى عباده بالطاعة لله ولرسوله والطاعة لأولى الأمر منهم فجمع رسول الله ﷺ بين الرسالة والخلافة كداود عليه السلام فإن الله نص على خلافته عن الله بقوله ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ [ص:٢٦] وأجمل خلافة آدم وما كل رسول خليفة فمن أمر ونهى وعاقب وعفا وأمر

---

(١) أخرجه البخاري (٣/١٠٨٠، رقم ٢٧٩٧)، ومسلم (٣/١٤٦٦، رقم ١٨٣٥).

الله بطاعته [٣٦] وجمعت له هذه الصفات كان خليفة ومن بلغ أمر الله ونهيه و لم يكن له من نفسه إذن من الله تعالى أن يأمر وينهى فهو رسول يبلغ رسالات ربه وبهذا بان الفرق بين الرسول والخليفة ولهذا جاء بالألف واللام فى قوله تعالى ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء:٨٠] وقال عز وجل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ** ﴾ [الأنفال:٢٠] أى فيما أمركم به على لسان رسول الله ﷺ مما قال فيه رسول الله ﷺ إن الله يأمركم وهو كل أمر جاء فى كتاب الله تعالى ثم قال ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [النور:٥٤] ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله ﷺ فلو كان يعنى بذلك ما بلغ إلينا عن الله تعالى لم يكن فائدة زائدة فلابد أن يوليه رتبة الأمر والنهى فيأمر وينهى فنحن مأمورون بطاعة رسول الله ﷺ عن الله بأمره وقال تعالى ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء:٨٠] وطاعتنا له فيما أمر به ﷺ ونهى عنه مما لم يقل هو من عند الله فيكون قرآنا قال الله تعالى ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر:٧] فأضاف النهى إليه ﷺ وأتى بالألف واللام فى الرسول يريد بهما التعريف والعهد أى الرسول الذى استخلفناه عنا فجعلنا له أن يأمر وينهى زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا إلى عبادنا ثم قال فى الآية عينها ﴿ **وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء:٥٩] أى إذا ولى عليكم خليفة عن رسولى أو وليتموه من عندكم كما شرع لكم فاستمعوا له وأطيعوا ولو كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف فإن فى طاعتكم إياه طاعة رسول الله ﷺ [٣٧] ولذا و لم يستأنف فى أولى الأمر أطيعوا واكتفى بقوله ﴿ **أَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [النور:٥٤] و لم يكتف بقوله ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ** ﴾ [الأنفال:٢٠] عن قوله ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [النور:٥٤] وفصل لكونه تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [الشورى:١١] واستأنف القول بقوله ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [النور:٥٤] وهذا دليل على أنه تعالى قد شرع له ﷺ أن يأمر وينهى وليس لأولى الأمر أن يشرعوا شريعة إنما لهم الأمر والنهى فيما هو مباح لهم ولنا فإذا أمرونا بمباح أو نهونا عن مباح فأطعناهم فى ذلك أجرنا فى ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه عليه من أمر ونهى وهذا من كرم الله بنا ولا يشعر بذلك أهل الغفلة منا انتهى منه بلفظه.

وفيها أيضاً فى الكلام على حضرة الوكالة من الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ما نصه: من يطع الرسول فقد أطاع الله لأن الله وكله على عباده فأمر ونهى وتصرف بما أراه الله الذى وكله ونحن وكلناه تعالى عن أمره وتخصيصه فأمره قوله ﴿ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ [المزمل:٩] وتخصيصه ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾ [الإسراء:٢] فالرسول وكيل الوكيل لأنه ما أطاع إلا نفسه فإنه ما تصرف فيه إلا به كما قررناه انتهى المراد منه بلفظه أيضاً.

وفى "دلائل النبوة" لأبى نعيم ما نصه: ومن فضائله ﷺ أن فرض الله طاعته على العالم فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء كما فرض طاعته فقال ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر:٧] ولم يقل من طاعتى أو كتابى أو بأمرى ووحيى بل فرض أمره ونهيه على الخلق طرا كفرض التنـــزيل لا يراد فى ذلك ولا يحاج ولا يناظر ولا يطلب منه [٣٨] بينة كما أخبر عن قوم موسى فقالوا ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة:٥٦] انتهى.

وقد جعل تعالى الاهتداء فى طاعته فقال ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور:٥٤] وقال ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨] وجعل متابعته على محبة العبد له تعالى فقال ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ [آل عمران:٣١] ثم وعد المتبعين له بمحبته إياهم وغفرانه لذنوبهم بقوله ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١] وأوعد المخالفين فقال ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣] وقرن الإيمان به بالإيمان به أمراً تارة ومثنيا تارة أخرى فى قوله ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﴾ [الأعراف:١٥٨] وقوله ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الصف:١١] وقوله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور:٦٢] والكفر به بالكفر به فى قوله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة:٨٠] وقوله ﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة:٨٤] وطاعته

بطاعته أمراً بها تارة ومثنيا عليها تارة أخرى فى قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [النساء:٥٩] وقوله ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:٤٦] وقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال:٢٠] وقوله ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢] وقوله ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢] وقوله ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:١] وقوله خطاباً للزوجات [٣٩] الطاهرات ﴿ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأحزاب:٣٣] وقوله ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ [النساء:٦٩] الآية وقوله ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عظيماً ﴾ [الأحزاب:٧١] وقوله ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ [النور:٥٢] وقوله ﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ [التوبة:٧١] ومعصيته بمعصيته فى قوله ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء:١٤] وقوله ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً ﴾ [الأحزاب:٣٦] وكذبه بكذبه فى قوله ﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [التوبة:٩٠] وإذايته بإذايته فى قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾ [الأحزاب:٥٧] ومحاربته بمحاربته فى قوله ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [البقرة: ٧٩] وقوله ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المائدة:٣٣] وقوله ﴿ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ﴾ [التوبة:١٠٧] ومشاقته بمشاقته فى قوله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ [الأنفال:١٣] ومحاددته بمحاددته فى قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ﴾ [التوبة:٦٣] وخيانته بخيانته فى قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

﴾ [الأنفال:٢٧] ونصحه بنصحه فى قوله ﴿ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ٩١] ووعده بوعده فى قوله ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [الأحزاب:٢٢] وصدقه بصدقه فى قوله ﴿ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [الأحزاب:٢٢] والرد إليه بالرد إليه فى قوله ﴿ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [النساء:٥٩] وتحريمه بتحريمه فى قوله [٤٠] ﴿ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة:٢٩] وولايته بولايته فى قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [المائدة:٥٥] وعزته بعزته فى قوله ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ [المنافقون:٨] وبيعته ببيعته فى قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح:١٠] وإرضائه بإرضائه فى قوله ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:٦٢] وإجابته بإجابته فى قوله ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤] ثم إنه تعالى وحد الضمير فى قوله ﴿ دَعَاكُمْ ﴾ وقوله ﴿ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة:٦٢] ليفيد أنهما شيء واحد وأن الاستجابة للرسول والإرضاء له نفس الاستجابة لله تعالى والإرضاء له سبحانه.

قال فى "الفتوحات" فى الباب التاسع عشر وخمسمائة فى معرفة حال قطب كان منـــزله ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤] ما نصه: وإنما فصل هنا بين دعوة الله ودعوة الرسول يعنى باللام لنتحقق من ذلك صورة الحق التى رسول الله ﷺ عليها وهو الداعى فى الحالتين إيانا فإذا دعانا بالقرآن كان مبلغا وترجمانا وكان الدعاء دعاء الله فلتكن إجابتنا لله والاستماع للرسول وإذا دعا بغير القرآن كان الدعاء دعاء الرسول ﷺ فلتكن إجابتنا للرسول ﷺ ولا فرق بين الدعاءين فى إجابتنا وأن تميز كل دعاء عن الآخر بتميز الداعى فإن رسول الله ﷺ يقول فى الحديث لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الخبر عنى فيقول اتل على به قرآناً إنه والله لمثل القرآن أو أكثر فقوله أو أكثر مثل ما قال أبو يزيد بطشى أشد انتهى المراد منه بلفظه.

وقرن أيضاً رؤيته برؤيته [٤١] فى قوله ﴿ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [التوبة:٩٤] وقوله ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥] وإيتاءه بإيتائه فى قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة:٥٩]وإنعامه بإنعامه فى قوله ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب:٣٧] وإغناءه بإغنائه فى قوله ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [التوبة:٧٤] إلى غير ذلك من المواضع التى قرن تعالى فيها ذكره بذكره واسمه باسمه مشركا له معه فى أمر ما كقوله ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [[التوبة:١] وقوله ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة:٣] وقوله ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ﴾ [الأنفال:١] أى الغنائم ﴿ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [الأنفال:١] يعنى يجعلانها حيث شاءا وقوله ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة:٢٤] قرن اسمه باسمه فى جميع هذه الأحكام والأحوال وعطفه عليه بالواو المفيدة للتشريك تعظيماً له وتشريفاً وتنبيها على إقامته مقامه وخلافته المطلقة عنه وتعريفاً.

الله تعالى كتب اسمه ﷺ مع اسمه على ساق العرش

ومن هذا المعنى ما ذكره أرباب الخصائص والسير وأصحاب الحديث والأثر من أن الله تعالى كتب اسمه مع اسمه على ساق العرش أى قوائمه قبل خلق السماوات والأرض بألفى عام وكتبه أيضاً على باب الجنة وعلى كل موضع فيها وكل قصر وكل غرفة وعلى نحور الحور العين وعلى ورق قصب آجام الجنة وورق كل شجرة فيها وعلى ورق شجرة طوبى وعلى [٤٢] ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة وعلى كل سماء من السماوات السبع وسائر ما فى الملكوت الأعلى وقد وردت بذلك أحاديث ذكرها السيوطى فى خصائصه الكبرى وغيره ومنه أيضاً قرن

اسمه باسمه فى كلمة الشهادة وفى الأذان والإقامة والتشهد فى الصلاة والخطب على المنابر وغير ذلك.

أخرج الشافعى فى "الرسالة" وعبد الرزاق، والفريابى، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى "الدلائل" عن مجاهد فى قوله ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤] قال لا أذكر إلا ذكرت معى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى "الدلائل" عن قتادة فى قوله ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤] قال رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وأخرج سعيد بن منصور وابن عساكر وابن المنذر عن محمد بن كعب فى الآية قال إذا ذكر الله ذكر معه أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤]قال إذا ذكرت ذكرت معى ولا تجوز خطبة ولا نكاح إلا بذكرك معى.

وأخرج ابن عساكر عن الحسن فى قوله ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤]قال ألا ترى أن الله لا يذكر فى موضع إلا ذكر معه نبيه.

وأخرج البيهقى فى سننه عنه أيضاً فى الآية قال إذا ذكر الله ذكر [٤٣] رسوله.

وأخرج أبو يعلى فى مسنده وابن حبان فى صحيحه والضياء المقدسى فى المختارة والرهاوى فى الأربعين وأبو نعيم فى الدلائل والطبرانى وابن عساكر وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً أتانى جبريل فقال إن ربى وربك يقول لك تدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله أعلم قال لا أذكر إلا ذكرت معى حسنه الحافظ نور الدين الهيثمى فى مجمع الزوائد والمراد به أبو العباس أحمد بن

محمد بن سهل بن عطاء الأدمى الزاهد البغدادى أحد مشايخ الصوفية بالعراق والشيوخ الخمسة الذين كانوا فى عصر واحد وأجمع على الاقتداء بهم لجمعهم بين علمى الظاهر والباطن وهم الحارث بن أسد المحاسبى وأبو القاسم الجنيد وأبو محمد رويم وأبو عبد الله عمرو بن عثمان المكى وابن عطاء المذكور فى معنى قوله ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾ [الشرح:٤]جعلت تمام الإيمان بذكرك معى وقال أيضاً جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى وقال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرنى بالربوبية نقله ككلام ابن عطاء قبله عياض فى الشفا وانظر ما بين هاتين الكلمتين أعنى كلمتى الشهادة من مزيد الارتباط والاتفاق مما يدل على تمام الاتحاد والاعتناق وذلك أن أحرف كل منهما إن نظرنا إليها نطقا كانت اثنى عشر حرفا على عدد شهور السنة وإن نظرنا إليها خطا كانت ثلاثة عشر وإن نظرنا إليها بالنظرين معا كانت خمسة عشر وهو أمر غريب دال على [٤٤] سر عجيب فاعرفه.

اختصاصه ﷺ بتسميته بالكثير من أسماء الله الحسنى أو بأكثرها

ومما يناسب هذا ما ذكروه من اختصاصه ﷺ بتسميته بالكثير من أسماء الله تعالى الحسنى أو بأكثرها، وقد ذكر عياض فى "الشفا" فى فصل تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى أن الله تعالى فضل نبينا محمداً عليه السلام بأن حلاه منها فى كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة قال اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه ثم عدها واحدا واحدا ذكره السيوطى فى خصائصه الكبرى فى باب اختصاصه ﷺ بما سمى به من أسماء الله تعالى.

قلت قد وقع لنا عدة أسماء أخر زيادة على ذلك يعنى الذى ذكره عياض ثم ذكر ثلاثاً وأربعين اسماً، وقال فى المواهب اللدنية فى المقصد السادس أن الله سماه من أسمائه الحسنى بنحو سبعين كما بينت ذلك فى أسمائه انتهى.

وأوصلها بعض الفضلاء من المتأخرين أخذاً مما زاده الحافظ الشامى فى سيرته وغيره إلى أزيد من ثمانين.

وفى الكمالات الإلهية للجيلى إطلاق أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين كلها عليه ﷺ وتوجيه ذلك فراجعها.

اسمه محمد ﷺ

ومنه أيضاً ما ذكروه من اختصاصه ﷺ باشتقاق اسمه الشريف الشهير وهو محمد [٤٥] من اسمه تعالى محمود كما أشار إليه وإلى ما سبق من قرن اسمه باسمه سيدنا حسان بن ثابت ﷺ بقوله:

أعـــز علـــيه للنـــبوة خـــاتم مـــن الله مشـــهود علـــيه ويشهد
وضـــم الإلـــه اســـم النبى إلى اسمه إذا قـــال فى الخمـــس المـــؤذن أشهد
وشـــق له مـــن اسمـــه ليجـــله فـــذو العـــرش محمـــود وهذا محمد

ونسب البخارى فى "تاريخه الصغير" هذا البيت الأخير لأبى طالب فإما أن يكون من توارد الخواطر أو من تضمين سيدنا حسان إياه شعره كما جزم به فى الخميس.

وفى الحديث الطويل الذى أخرجه أبو مروان الطبنى فى فوائده يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى اشتق الله اسمى من اسمه فالله محمود وأنا محمد وما ذكروه من أن اسميه الشهيرين وهما أحمد ومحمد جاءا على أربعة أحرف لموافقة أعظم أسمائه تعالى وهو الله لأنه أيضاً أربعة أحرف حكى ذلك غير واحد.

تنبيه

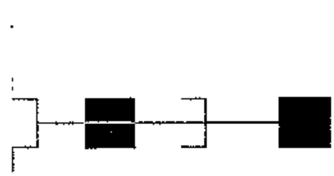
ذكر غير واحد من العلماء والعارفين أن الله تعالى خلق الإنسان الذى هو الحضرة الجامعة على صورة حروف اسمه ﷺ محمد وشكل كتابته ليرى اسمه الشريف فى الصورة الآدمية كلها ويتذكر به ذاته المحمدية وأنواره الشريفة الأحمدية وليعلم بذلك أن مسماه هو المقصود الأكبر من هذا النوع الإنسانى الذى هو المقصود من خلق العالم.

قال الشيخ الإمام العارف بالله أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البكى قاضى الجماعة بتونس فى تحرير المطالب فى شرح عقيدة ابن الحاجب [٤٦] فى الكلام على هذا الاسم الشريف ما نصه: ولهذا الاسم الكريم إشارات لطيفة من حيث مادته وصورته يعنى من جهة حروفه المادية ومن جهة هيئته الصورية.

أما الأول: فلما اشتمل عليه باعتبار حروفه من ميم الملكوت الأعلى وحاء الحيرة والحفظ الذى به وفيه كتب القلم الأسنى وميم الملكوت الباطن فى ميم ملك الظاهر ودال الدوام والاتصال الماحية لوهم الانقطاع والانفصال.

وأما الثانى: فإن صورة هذا الاسم على صورة الإنسان فالميم الأولى رأسه والحاء جناحاه والميم الثانية بطنه والدال رجلاه والإنسان صغير وكبير كما هو فى مصطلح القوم فافهم.

وفى "شعب الإيمان" للشيخ عبد الجليل بن موسى القصرى فى الشعبة الموفية خمسين وهى حبه ﷺ ما نصه: فأما جمال شخصه الكريم الظاهر الذى هو جسده الطيب الطاهر فإن الله تعالى خلق آدم وولده أجمعين على صورة حروف اسمه ﷺ كى لا يرى بالبصر إلا اسمه ولذلك من أحب شيئا لا يرى إلا صورته فجعل الميم الأولى من محمد ﷺ هى الرأس وجعل الحاء من حروف اسمه ﷺ هى اليدان وجعل الميم الثانية من اسمه ﷺ هى البطن وجعل الدال هى الفخذان والساقان والقدمان وهكذا صورته فى الخط القديم.



وعلى هذه الصورة صورة أهل الجنة رجالاً ونساء وولداناً كى يرى اسمه فى كل مكرم ومحبوب ومعظم فيعم حبه فى كل شىء برؤية اسمه [٤٧] ﷺ وإنما خرجت البهائم والنباتات والآلات والمعادن والجواهر والأثاث وسائر الأشخاص عن هذه

الصورة المحمدية من أجل أنها مستخدمة مملوكة لبنى آدم مخلوقة من أجله لا يستخدم اسم الحبيب ولا يبتذل انتهى منه بلفظه.

وفى الحديث الذى أخرجه أبو مروان الطبنى فى فوائده وهو المشار إليه قريبا يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله آدم وذريته على حروف هجاء اسمى محمد فالرأس والوجه بمنزلة الميم واليدان بمنزلة الحاء والبطن بمنزلة الميم الأخرى والرجلان بمنزلة الدال فهو محمد ولا فخر وفى هذا أنشد بعضهم:

لـه اسم صور الرحمن ربى خلائقه عليه كما تراه
لـه رجل وفى الرجل بطن وتحت الرأس قد خلقت يداه

وفى "شعب الإيمان" للشيخ عبد الجليل المذكور أنه لا يبقى على جمال صورة هذا الاسم الكريم المحمدى فى الآخرة إلا أهل الجنة وكل ما فيها مما هو على غير هذه الصورة فإنه مملوك ومستخدم لمن هو على صورة هذا الاسم وإنه لا يدخل النار من يدخلها من الكفار والمخالفين أعاذنا الله تعالى منها بفضله إلا بعد مسخه وتغيير خلقته الظاهرة وتشويه صورته إكراماً لصورة هذا الاسم الشريف راجعه.

فإنه منع من نقل عبارته بتمامها طولها وفى تحفة الأخيار لسيدى المهدى الفاسى ما نصه: وقال بعضهم فى اسمه ﷺ عشر خصال.

الأولى: أضاف الحق تعالى اسمه إلى [٤٨] نفسه، والثانية: تخليقه الخلق على صورة اسمه، والثالثة: قرن اسمه مع اسمه، والرابعة: كتب اسمه على ساق العرش ويروى أن الله تعالى لما خلق العرش اضطرب فلما كتب عليه اسم محمد ﷺ سكن وفيه تنبيه على أن هذا المخلوق الكبير لم يسكن حتى كتب عليه اسم هذا المخلوق الأكبر.

والخامسة: اشتقاق اسمه من اسمه المحمود، والسادسة: جرى سفينة نوح باسمه.

والسابعة: وافق اسمه اسم الله تعالى فى عدد الحروف، والثامنة: سخرت الشياطين لسليمان بذكر اسمه، والتاسعة: تاب الله على آدم باسمه قال تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن

رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة:٣٧] وروى أن آدم لما رأى اسم محمد مكتوباً فى العرش قال اللهم إنى أسألك بحق محمد أن تتوب على فتاب الله عليه والعاشرة كنى آدم بأبى محمد دون سائر أولاده فكنى بأشرف بنيه وهذا أخرجه البيهقى فى الدلائل من حديث على وله شواهد موقوفة عن كعب وغالب بن عبد الله العقيلى وبكر بن عبد الله المزنى أخرج الأولين ابن عساكر والثالث أبو الشيخ فى كتاب العظمة انتهى.

قلت: والبعض الذى أشار إليه فى أول كلامه هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسى فإنه ذكر فى كتابه كشف الأسرار عما خفى عن الأفكار أن لاسمه الشريف ﷺ عشر خصائص ثم ذكرها.

وفى الإبريز أول الباب السابع نقلاً عن شيخه سيدى محمد بن عبد الكريم البصراوى أن الله تعالى لما أراد إخراج بركات الأرض وأسرارها مثل ما فيها من العيون والآبار [٤٩] والأزهار والأشجار والثمار والأنهار أرسل سبعين ألف ملك إلى سبعين ألف ملك إلى سبعين ألف ملك ثلاث سبعينات من الألوف فنـــزلوا يطوفون فى الأرض فالسبعون الأولى تذكر اسمه ﷺ أى اسمه العالى والثانية تذكر قربه من ربه ومنـــزلته منه والثالثة تصلى عليه ونوره مع الطوائف الثلاث فتكونت الكائنات ببركة ذكر اسمه ﷺ وحضوره بينها ومشاهدتها قربه من ربه قال وذكروه على الأرض فاستقرت وعلى السماوات فاستقلت وعلى مفاصل ذات ابن آدم فلانت بإذن الله تعالى وعلى مواضع عينيه ففتحت بالأنوار التى فيها.

قال صاحب التحفة فقلت يعنى للشيخ فهذا معنى قول "دلائل الخيرات" وبالاسم الذى وضعته على الليل فأظلم وعلى النهار فاستنار فقالَ ﷺ نعم ذلك الاسم هو اسم نبينا ومولانا محمد ﷺ فببركته تكونت الكائنات والله أعلم انتهى.

فبتأمل هذا كله ونظره بعين الاعتبار والاستبصار فيه بشىء ما من الاستبصار تفهم من فحواه أنه عليه السلام النقطة التى عليها المدار والفائز من ربه تعالى بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على سر من الأسرار وتعلم أنه المحبوب من الأزل

والمخصوص بالخلافة العظمى فيما لم يزل فضلاً منه تعالى عليه ومنة سابقة من جنابه لديه وقد قال جماعة فى اسمه الشريف محمد أنه الاسم الأعظم من أسمائه عليه السلام الذى تنفعل به [٥٠] الأشياء كما تنفعل باسمه تعالى ودونوا فى ذلك عجائب وأسرارا لكن التصرف به يحتاج لرياضة أو إذن من شيخ كامل يعطيه ويعطى معه أسراره.

تقبيل اسمه ﷺ عند رؤيته

وذكر غير واحد فى تقبيل هذا الاسم الشريف عند رؤيته فى كتاب ووضعه على العينين مع الصلاة والسلام على صاحبه عند ذلك فضلاً كبيراً وخيراً عظيماً كثيراً وأوردوا فى ذلك منامات وحكايات والأعمال بالنيات والمحبة والتعظيم أصلان ينشأ عنهما جميع الخيرات ومما يؤيدهم ما أخرجه أبو نعيم فى حليته وأورده الأسيوطى فى خصائصه الكبرى وغير واحد عن وهب بن منبه قال كان فى بنى إسرائيل رجل عصى الله تعالى مائتى سنة ثم مات فأخذوه فألقوه على مزبلة فأوحى الله إلى موسى أن اخرج فصل عليه فقال يا رب بنو إسرائيل شهدوا أنه عصاك مائتى سنة فأوحى الله إليه هكذا كان إلا أنه كان كلما نشر التوراة ونظر إلى اسم محمد ﷺ قبله ووضعه على عينيه وصلى عليه فشكرت له ذلك وغفرت له ذنوبه وزوجته سبعين حوراء.

وممن ذكر هذه الحكاية سيدى أبو عبد الله محمد بن عباد شارح الحكم العطائية فى رسائله ولكن بعبارة أخرى راجعه والله المنعم وبه التوفيق.

ومنها قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تسليماً ﴾ [الأحزاب:٥٦] فى هذه الآية الكريمة من الإشادة بذكره والتنويه بعلى قدره والإعلام لمرتبته والإعلان بعظيم [٥١] مكانته ما لا يخفى على متأمل فإنه تعالى أتى فيها بالاسم الجامع الإلهى الذى هو منبع الأنوار كلها وهو الله إشارة إلى أنه ربه عليه السلام ومنه استمداده وإلى أن هذا الفعل واقع بجمعية الذات الأحدية وما هو مندمج فيها من الأسماء الصمدية وأخبر أنه يصلى أى يثنى

ويعظم ويتكرم وينعم ويزيد فى المبرة والتكريمات وأنواع اللطائف والتشريفات اللائقة بعلى جنابه وكريم خطابه عليه بنفسه عنده أى فى حضرته الخاصة منه إليه بلا واسطة وعند ملائكته وأنبيائه وأهل خاصته منة عليه وتلطفا وإن ملائكته كلهم علوهم وسفلهم خاصهم وعامهم يصلون عليه أيضاً أى يدعون له بذلك ويطلبونه من الله له خدمة له وتعلقا به وتعطفا وأتى فى ذلك بالجملة الاسمية للتأكيد وصدرها بأن لزيادته وأتى بالخبر مضارعا لإفادة الدوام والاستمرار التجددى إشارة إلى دوام هذه الصلاة منه ومنهم واستمرارها وعدم انقطاعها أبد الآبدين ودهر الداهرين دنيا وأخرى ثم أمر المؤمنين أجمع خاصتهم وعامتهم بالصلاة والتسليم عليه اقتداء بهم وموافقة لهم لينالوا بذلك من الله تعالى عظيم الفضل وكثير الثواب والأجر ويدخلون به فى زمرة محبيه وخدمه وخواص أتباعه وتكون لهم به يد عنده ليستحقون بها شفاعته الخاصة وجواره فى دار النعيم وهذه الملاحظة الكاملة والعناية الزائدة والرفعة العظيمة والمنة الجسيمة لم تكن لأحد سواه لكونه تعالى أفرد الصلاة عليه [٥٢] من سائر الأعمال وعملها هو بنفسه أولاً وملائكته ثانياً ثم أمر بها عباده المؤمنين ثالثاً ولم يشاركها فى هذا شىء من الأعمال لا فرض ولا نفل وهذا مما ينبئ بتوحده فى المملكة الربانية كلها محبوبية وقدرا وجاها ورفعة وشأناً وعزة وسلطاناً حيث كان العالم العلوى والسفلى بمن فيه يخدمه ويستعطفه ويتقرب إليه ويتودد رجاء نيل الله تعالى ونيله وفضله سبحانه وتعالى وفضله ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾ [الجمعة:٤] وهو أعلى وأتم وأشمل وأجمع وأرفع وأكمل من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له وإن كان ذلك السجود فى الحقيقة له ﷺ أيضاً لأن الحق سبحانه وتعالى مع الملائكة فى هذا التشريف ولا يجوز أن يكون معهم فى السجود لآدم ولأن صلاة الله وملائكته دائمة متصلة وسجود الملائكة لآدم وقع وانقطع ولأن السجود على أحد القولين وهو مذهب الشيخ الأكبر وغيره من الكبار لم يكن من جميع الملائكة وإنما كان من بعضهم وهذا التشريف من جميعهم قطعاً ولأن سجود الملائكة لآدم كان زجراً لهم وتأديباً وتعليما وأمرهم بالصلاة عليه تشريفا له ولهم وتكريما وأى خلافة وكرامة وفضيلة

أعظم من هذه الخلافة وهذه الكرامة وهذه الفضيلة وأى سلطنة تصل إلى هذه السلطنة العظيمة وأى محبوبية تبلغ إلى هذه الدرجة الفخيمة لا والله ولا تقرب منها لمن تأملها وعرفها وعرف قدرها وهى من باب قوله تعالى له فى بعض المخاطبات الناس كلهم يطلبون رضائى [٥٣] وأنا أطلب رضاك فافهم الإشارة.

وقد أفادت هذه الآية الكريمة أنه باب الله الأعظم وصراطه الأقوم فلا يصل أحد إليه ولا يدخل أبدا عليه إلا من بابه ولا يشم شيئا من روائح القرب إلا بواسطته ومن وراء حجابه ولا غنى لمخلوق عنه ولا فوز لمن انفلت من ربقته أو أطلق يدا من عروته وكيف يصرف أحد وجهه عنه وهو وسيلة الخلائق ومطرق جميع الطرائق ﷺ وعلى آله الطيبين وعترته الطاهرين أبد الآبدين ودهر الداهرين والحمد لله رب العالمين.

ومنها قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:١٠] وهى من أظهر الآيات وأبينها فى استخلافه وتحكيمه وإرجاع الأمر إليه فى كل شىء فى تحليله وتحريمه فإن المبايعة إنما تكون للملك وهو من شأنه الحكم والتحكيم والتعقب لما شاء من أحكام غيره أو التسليم لا يقال الآية إنما تشير لمبايعة خاصة وهى مبايعة أصحابه له وذلك ملك خاص لا عام لأنا نقول هذا فهم أهل الرسول الظاهرة ومن لا علم عنده بمقدار هذا الرسول الأعظم وما له عند الله من الرتبة والمكانة الفاخرة وأهل الله وأصحاب العلوم الباطنة يفهمون منها العموم بطريق المنطوق لا المفهوم فيرون أنها شاملة لجميع المبايعات بسائر الوجوه وأنواع الصفات ولجميع المبايعين له والخاضعين من أهل السماوات والأرضين وسائر عباد الله أجمعين.

وإذا تقرر ملكه ﷺ فى سائر الخلق وملكيته [٥٤] لهم وعموم بعثته إلى كل واحد منهم تقرر بذلك عموم سلطنته وحكمه وولايته وأمر المبعوث إليهم كلهم ببيعته كل على حسب ما يليق بخلقته وقد كانت البهائم والأنعام والوحوش والطير والنباتات والأشجار والأحجار تأتى إليه ساجدة طائعة وتنــزل عليه ملائكة الله متأدبة بين يديه

سميعة له خاضعة ومنهم من كان يصرح له بأن الله أمره بأن يطيعه فى كل ما يريد وأن يمتثل أمره بما يختاره من الأمر السديد.

وورد فى قصة الإسراء أن جبريل وميكائيل وهما أفضل الملائكة أو من أفضلهم كانا آخذين بركابه عن يمينه وشماله.

وفى "تحفة الأخيار" أن أحدهما كان آخذا بركابه والآخر بلجام البراق ولما استصعب لديه عند ركوبه عليه قال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا وانقاد وخضع له وما عاد.

وثبت فى السنة الغراء أن له عليه السلام وزراء من أهل الأرض ومن أهل السماء قال عليه السلام ما من نبى إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراى من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمر أخرجه الترمذى وقال حسن غريب والحاكم فى المستدرك عن أبى سعيد.(١)

وقال عليه السلام إن الله أيدنى بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبى بكر وعمر أخرجه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية والترمذى الحكيم والخطيب وابن عساكر فى تاريخيهما عن ابن [٥٥] عباس.(٢)

وقال عليه السلام إن لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض فأما وزيراى من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمر أخرجه الحاكم ولم يصححه عن أبى سعيد والحكيم وابن عساكر عن ابن عباس وابن النجار عن جابر ومعلوم أن الوزير إنما يكون للملك وأنه يكون من أرجح أهل

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٦١٦).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/١٧٩)، والهيثمي في زوائده (٩/٥١)وقال رواه الطبراني وفيه محمد بن مجيب الثقفي وهو كذاب، ورواه البزار بمعناه وفيه عبدالرحمن بن مالك بن مغول وهو كذاب.

المملكة علماً وإشارة وقدرا وشارة وإنه فى الرتبة دون الملك ينفذ أوامره ويظهر أفكاره وخواطره ويقوم بين يديه كأحد خدمته وإنه أول الناس وأولاهم فى نصرته ومتابعته ومبايعته وإنه لولا أن مملكته عليه السلام عامة فى السماوات فما فوقها كما أنها عامة فى الأرض طولها والعرض لم يكن له وزراء من أهل الملأ الأعلى بل من أزكى العلويين روحا وأكملهم طاعة وأقولهم فعلا ينــزلون فى كل وقت من أوقات الحاجة إليه ويمشون إذا مشى خلفه وبين يديه وينصرونه فى حروبه ويدفعون عنه ما عسى أن يعرض من أذى الزمان وخطوبه وينشرون فى الملأ الأعلى ذكره ويعظمون فيهم خبره وأمره وقد سبق أن سيدنا جبريل عليه السلام إنما خلق لخدمته ﷺ وليكون من جملة حفظة ذاته الكريمة وونيسة له.

وانظر رحمك الله إلى ما ذكره بعض أهل الله فى خليفته عليه السلام الباطنى من هذه الأمة من أنه إذا جلس فوق كرسى المملكة الربانية والخلافة الأعمية الباطنية يبايعه جميع أهل الحل والعقد من أهل الملك والملكوت وكذا من فوقهم من أهل عالم الجبروت ويكون له الحكم والتصرف فى كل حضرة [٥٦] من الحضرات فى الأرض وغيرها من السماوات إلى العرش إلى الحجب السبعين إلى عالم الرقا الذى هو العالم الأرقى فإذا وصل إلى الطوق الأخضر الذى هو الحقيقة المحمدية وقف هنالك وانتهى عن الحكمة وكل ذلك بحسب النيابة عن الرسول الأعظم والملاذ الأكبر الأفخم فكيف بجنابه عليه السلام فإنه أولى بهذا من غيره من جميع الأنام وتأمل هذه الآية الشريفة فإنه تعالى أخبر فيها أن الذين يدخلون تحت حكمه وطاعته وينقادون لأمره بمبايعته من إنس وجان وملك وغيرهم من سائر الخلق إنما يبايعون الله الملك القدوس الحق فأنــزله تعالى منــزلة نفسه وأقامه مقامها وجعله بدلا عنه ولم يدخل بينه وبينه كاف تشبيه ولا غيرها وأتى بإنما المفيدة لحصر بيعته فى بيعة الله سبحانه وأنها عينها وليست غيرها بحال وهذا مقام خاص به ﷺ لم يكن ولا يكون لأحد سواه ثم قال ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ [الفتح : ١٠] يعنى يد رسول الله ﷺ التى هى فوق أيديهم عند المبايعة وكانوا عندها يجعلون اليد الشريفة هى العليا أدباً معه ﷺ وتعزيزاً له وتوقيرا هى يد الله تعالى لا

يد غيره فأقامها أيضاً مقام يده العلية المنــزهة عن التكييف والتشبيه و لم يأت أيضاً بكاف تشبيه مبالغة كأنها عينها وفى هذا من التشويق إلى هذه البيعة والتحريض عليها والحث على فعلها ما لا يخفى من جهة أنها بيعة له تعالى لا لغيره فلم يكن أعلى منها ولا أكمل ولا أجل ولا أجمل وهو [٥٧] مثل قوله ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:١٧] حيث جعل رميه ﷺ الكفار بما كان فى يده الشريفة من الحصى رميا منه تعالى بذاته المقدسة ومثل قوله أيضاً ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠] حيث جعل طاعته نفس طاعته تعالى ومثل ما أخرجه أحمد والشيخان عن أبى قتادة مرفوعاً من رآنى فقد رأى الحق.(1) أى الله على قول بعض أهل الإشارات حيث جعل رؤية العبد له ﷺ يقظة أو مناما رؤية للحق سبحانه.

وما أخرجه الترمذى وقال حسن غريب عن جابر قال دعا رسول الله ﷺ عليا يوم الطائف فانتجاه فقال الناس لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله ﷺ ما انتجيته ولكن الله انتجاه. (2)

حيث جعل انتجاءه ﷺ لعلى انتجاء منه تعالى له ولهذا نظائر فى الكتاب والسنة ينـــزل الحق تعالى فيها عبده حالة قيام بعض الأوصاف والحالات به منـــزلة نفسه ويضيف أوصافه وحالاته إليه حتى كأنها حالة به وهو المنـــزه عن اتحاده بغيره أو حلوله به أو قيام أوصاف خلقه به تعالى عن ذلك علوا كبيراً وإنما ذلك كله إشارة إلى مظهريته تعالى عن ذلك وتجليه فى خلقه فيصير العبد مرآة لظهور ذاته تعالى وصفاته من غير اتحاد به ولا حلول فيه ولا تشبيه ولا تكييف ولا تغير لذاته العلية عما هى عليه من التنـــزيه بل على حسب ما يليق به ويعلمه هو سبحانه ومعلوم أن أكمل مظاهره تعالى

---

(1) أخرجه البخاري (٦/٢٥٦٨، رقم ٦٥٩٥).

(2) أخرجه الترمذي (٥/٦٣٩) وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأجلح وقد رواه غير بن فضيل أيضا عن الأجلح ومعنى قوله ولكن الله أنتجاه يقول الله أمرني أن أنتجي معه.

وأعلاها على الإطلاق مظهريته ﷺ فهو المظهر [٥٨] الأتم والمجلى الأعظم ﷺ فلذا كان فى مجاز القول هو هو وكانت ذاته من ذات الله وأوصافه من أوصافه وبيعته بيعة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله وحكمه حكم الله وأمره كله أمر الله ومن انتجاه فقد انتجاه الله فأى تمليك أعلى من هذا وأى تحكيم أرفع منه وأى استخلاف يصل إليه وقد عد فى تحفة الأخيار من أسمائه ﷺ "المبايع" أخذا من هذه الآية ثم قال فى تفسيره ما نصه: وأما المبايع فلقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح:١٠] وقد أخذ الله تعالى العهد والميثاق على جميع النبيين لئن جاءهم ليؤمنن به ويتبعوه وينصروه وأخذوا العهد بذلك على أممهم فقد بايعه الناس أجمعون من السابقين واللاحقين قال و لم أر من ذكر هذا فى الأسماء

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح:١٠]الآية أى عقدك عليهم هو عقد الله يعنى المبايعة مفاعلة من البيع لأن ﴿ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة:١١١] ثم قال وفى هذه الآية تصريح بعين الجمع كما قال ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:١٧] الآية.

قال شيخ شيوخنا أبو محمد عبد الرحمن أى ابن محمد الفاسى يعنى وكما فى حديث فإذا أحببته كنت سمعه ويديه وسائر قواه الذى هو سر الخلافة والبقاء بالله. والله أعلم.

وقال الإمام الورتجيى فى الآية المذكورة صرح تعالى بأنه عليه السلام مرآة ظهور ذاته وصفاته كما أشرنا يعنى فى قوله ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ﴾[الأحزاب :٤٥] [٥٩] وهو مقام الاتصاف والاتحاد بأنوار الذات والصفات فى نور الفعل فصار هو هو إذ غاب الفعل فى الصفة وغابت الصفة فى الذات وإلى ذلك يشير الحلاج وغيره.

وقال الشيخ أبو طالب المكى فى كتابه القوت هذه أن آية فى كتاب الله عز وجل وأبلغ فضيلة فيه لرسول الله ﷺ لأنه جعله فى اللفظ بدلا عنه وفى الحكم مقامه و لم

يدخل بينه وبينه كاف التشبيه فيقول كأنما ولا لام الملك فيقول لله وليس هذا المقام من الربوبية لخلاف رسول الله ﷺ انتهى كلام صاحب تحفة الأخيار بلفظه.

وفى الإلمام والإعلام بنقله من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام للشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكرى الفاسى ما نصه: قال الورتجيى فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ [الفتح:١٠] الآية جعل نبيه مرآة لظهور ذاته وصفاته وقال فى قوله ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ **[الفتح :٩]**أى ليشاهدوا بأسرارهم الله ويدركوك فى محل الجلال والجمال ويعرفوا قدرك فى قدرى وقدرى فى قدرك حيث صرت مرآتى أتجلى منك لهم لذلك قال عليه الصلاة والسلام من رآنى فقد رأى الحق انتهى.

وهذا معنى قولهم أن النبى ﷺ هو الإنسان الكامل وأنه مخلوق على صورة الله وعلى صورة الرحمن وقد ورد الخبر بذلك ومن هنا سمى ﷺ بكثير من أسمائه تعالى انتهى منه بلفظه.

قلت وبيعة الخلفاء ظاهراً أو باطناً من هذه البيعة أخذت وبالتبع لها جعلت وبيعة ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:١٧٢] أصل جميع البيعات وإليها رجوعها وبسببها [٦٠] كان أفرادها وجموعها وكذا بيعة العهد والميثاق على جميع النبيين بالإيمان به ﷺ وبه تعلم أنه عليه السلام هو المبايع الأصلى وإليه تتوجه جميع البيعات وغيره من المبايعين نوابه والله أعلم.

ومنها قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] على ما ذكره غير واحد من أن الأوصاف العظيمة هى أوصاف الحق تبارك وتعالى وإنه وصفه بذلك لأنه كان متخلقاً بأخلاقه سبحانه ويؤيده قراءة من قرأ ﴿ خُلُقِ عَظِيمٍ ﴾ بالإضافة أى خلق إله عظيم وهو المولى سبحانه فيكون شهادة منه تعالى بأنه عليه السلام كان متخلقا بأخلاق الله عاملاً بمقتضى أسمائه وصفاته قائماً بها قياماً لا يقدر عليه غيره وما قام بذلك القيام التام إلا لخلافته عنه وكونه مرآة لظهوره.

وقد أخرج أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والحاكم وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة فقلت يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن ﴿ **إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم:٤].

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي الدرداء قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه.(١)

وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: أتيت عائشة فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت كان أحسن الناس خلقاً كان خلقه القرآن.

تشير [٦١] كما قاله غير واحد إلى المعنى الذى ذكرناه وتومئ بطرف خفى إلى ما أسلفناه ومنه يعلم أن كمالات خلقه عليه السلام وأوصافه الجميلة ونعوته الجلية لا تتقاضى ولا تتناهى كما أن معانى القرآن كذلك وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر وقيل أنها أشارت إلى أن جميع ما فصل فى كتاب الله تعالى من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب مما قصه عن نبى أو ولى أو حث عليه أو ندب الخلق إليه فإن نبى الله ﷺ كان متخلقاً به وفاعلا له وأن جميع ما نهى عنه فيه أو ذم أو أشير إلى ذمه فإن نبى الله ﷺ كان تاركا له ولا يحوم حوله وهو معنى قول من قال وصفه الحق بالخلق العظيم لاجتماع مكارم الأخلاق فيه وقول الآخر وصفه بآداب القرآن والآخر وصفه الله وقيل وصفه بذلك لأنه عرض عليه مفاتيح الأرض فلم يقبلها ورقاه ليلة المعراج وأراه جميع الملكوت فلم يلتفت إليه كما قال الله ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى** ﴾ [النجم:١٧] فلم تكن له كما قال الجنيد همة سوى الله.

---

(١) أخرجه البيهقي (١٥٤/٠٢).

وقال الواسطى إنما كان خلقه عظيماً لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله عز وجل وقال الحسين بن منصور لأنه لم يؤثر فيه جفاء الخلق بعد مطالعة الحق وقيل لأنه صغرت الأكوان فى عينه بمشاهدة تكونها وقيل لأنه عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ولذا قيل التصوف حسن الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل لأنه احتمل فى الله البلاء وما شكى بل رحم وعفى وقيل لأنه كان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله عز وجل وقيل غير هذا مما كله صحيح فى جنابه عليه السلام وينطبق [٦٢] عليه الانطباق التام وقد ورد إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

وفى رواية صالح الأخلاق وفى أخرى حسن الأخلاق أخرجه ابن سعد فى "طبقاته" وأحمد، والبخارى فى "الأدب المفرد" والخرائطى فى مكارم الأخلاق، والحاكم فى "المستدرك"، والبيهقى فى "الشعب" وفى السنن عن أبى هريرة، وابن سعد عن مالك بلاغاً ومعناه أن مكارم الأخلاق ومحاسنها من علم وحلم وحياء وتواضع وحسن عشرة وعفو وصفح واحتمال وسخاء وصبر وشكر وعدل وزهد وشجاعة ومروءة وصمت ووقار وتؤدة ومحبة وأمانة وعبادة ورجاء وخوف وشفقة وعفة وغير ذلك كانت قبل وجوده عليه السلام متفرقة فى العالم كل واحد منهم حاز منها القدر اللائق به والنصيب المناسب لحاله ومقامه وبعد كونها كانت متفرقة فيهم كانت ناقصة الكم وناقصة الكيف فلما وجد عليه السلام وبعث جمع الله فيه متفرقها وأكمل ناقصها فصار مجمعا للخصال الحميدة الخارجة للوجود كلها مكملا لنقصها ومتمما لما بقى من ذواتها وأعدادها بحيث لم يخرج منها ومن كمالها شيء للوجود الخارجى إلا وهو فيه ﷺ ومجتمع فى ذاته الكريمة خصوصية له عليه السلام وكرامة له من ربه تعالى فكما حاز ظاهره الشريف الجمال كله على أتم ما ينبغى وأكمل ما يكون وأعلى ما خرج للوجود كذلك حاز باطنه الكريم الكمال كله والأخلاق الشريفة بأجمعها جملة وتفصيلا على أتم ما ينبغى وأكمل ما يكون وأعلى ما خرج للوجود فهو أجمل من كل جميل وأكمل من كل كامل فلما كانت [٦٣] المحاسن الظاهرة أعلاما على الأخلاق الباطنة واختص ﷺ من جمال الصورة الظاهرة بما لم يشاركه فيه بشر ولا مخلوق كان

ذلك آية باهرة وحجة ظاهرة على اتصاف نفسه من الأخلاق الحميدة بما لم يشاركه فيه مخلوق ولا بشر أيا كان.

فهو الذى تم معناه وصورته — ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك فى محاسنه — فجوهر الحسن فيه غير منقسم
فاق النبيين فى خَلق وفى خُلق — ولم يدانوه فى علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس — غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم — من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

وقد وسعت أخلاقه كلها ومحاسنه بأجمعها أفراد أصناف بنى آدم بل أنواع أجناس مخلوقات العالم بأسره ولذا بعث إلى الكل وكان القدرة العظمى لجميع الخلق فى كل علم وكل حكم وكل حكمة وكل خلق حسن وأمر مستحسن وكل كمال على الإطلاق وقال الشيخ أبو الحسن الحرالى لما كان عرفان قلبه عليه السلام بربه عز وجل كما قال بربى عرفت كل شىء كانت أخلاقه أعظم خلق فلذلك بعثه الله إلى الناس كلهم فكل من كان الله ربه فمحمد ﷺ رسوله فكما أن الربوبية تعم جميع العالمين فالخلق المحمدى يشمل جميع العالمين انتهى.

ومن هذا يستفاد عجز جميع الخلق عن شرح خلقه ﷺ ويتضح معنى قوله لا يعرفنى حقيقة غير ربى.

ثم هذه الأخلاق العظيمة بالنظر لأصولها جبلية جبل [٦٤] ﷺ عليها فى أصل خلقته وأول نشأته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهى وخصوصية ربانية كما أن إخوانه من النبيين والمرسلين كذلك ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم تحقق ذلك وأما كمالها وتمامها فيه ﷺ فهو مكتسب من القرآن لتأدبه بآدابه وتخلقه بمحاسنه وأخلاقه والتزامه لأوامره وزواجره فى أحواله وأموره كلها ظاهراً وباطناً قولاً وفعلاً لكن اكتساباً كأنه جبلى لا جذاب نفسه الشريفة إلى ذلك الكمال وطلبها لتحصيله فاعلم ذلك.

هذا وقد أورد السهروردى فى عوارفه قول عائشة السابق ثم قال بعد كلام ما نصه: ولا يبعد والله أعلم أن قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وإيماء خفى إلى الأخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الإلهية أن تقول كان متخلقا بأخلاق الله تعالى فعبرت عن ذلك المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال وهذا من وفور علمها [1] وكمال أدبها وبين قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:٨٧] وبين قوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] مناسبة مشعرة بقول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن انتهى منه بلفظه.

وفيها أيضاً: وقال أبو سعيد القرشى العظيم هو الله ومن أخلاقه الجود والكرم والصفح والعفو والإحسان ألا ترى إلى قوله عليه السلام إن لله مائة وبضعة عشر خلقاً من أتى بواحد منها دخل الجنة [٦٥] فلما تخلق بأخلاق الله تعالى وجد الثناء عليه بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] انتهى.

وفى "الفتوحات" فى الباب السادس والأربعين وأربعمائة ما نصه: وإنما قالت عائشة ذلك لأنه أفرد الخلق ولابد أن يكون ذلك الخلق المفرد جامعا لمكارم الأخلاق كلها ووصف الله ذلك الخلق بالعظمة كما وصف القرآن بالعظمة فى قوله والقرآن العظيم فكان القرآن خلقه فمن أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن فإذا نظر إليه فلا فرق بين النظر إليه وبين النظر إلى رسول الله ﷺ فكأن القرآن أنشئ صورة جسمية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والقرآن كلام الله وهو صفته فكان محمد ﷺ صفة الحق تعالى بجملته فمن يطع الرسول فقد أطاع الله لأنه لا ينطق عن الهوى فهو لسان حق انتهى منه بلفظه.

---

(١) فى نسخة عقلها.

وقال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصرى فى شعبه فى الشعبة الموفية خمسين وهى حب الرسول ﷺ بعد ما ذكر فيها شيئا من جمال شخصه الكريم الطاهر ما نصه: وأما جمال ذاته الباطنة وروحه المقدس فمن ذا الذى يصفه من المخلوقين وقد أثنى عليه رب العالمين فقال عز من قائل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] فلا أعظم مما عظم الله عز وجل فالخلق صفة ذاته الباطنة وقد روت عائشة رضى الله عنها فى الصحيح فى تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] قالت كان خلقه القرآن والقرآن هو النور المبين [٦٦] الذى يستمد منه كل نور فى الموجودات والقرآن هو الجامع للأسماء والصفات الربانية القائمة بجميع الأشياء أوجد الله تبارك وتعالى عن كل معنى من معانى أسمائه وصفاته القديمة معانى محدثة بها فى العالمين فأوجد العلم عن علمه وهكذا جميع أسمائه وصفاته فخلق نور محمد ﷺ وذاته الباطنة عن معانى القرآن وخلقه بكل صفة محمودة فيه والقرآن الجامع لمعانى الكتب كلها وهو المهيمن عليها ولذلك سمى قرآنا والقرء هو الجمع فهو جامع لكل نور وخير وبركة وحسن وجمال ومنه تستمد جميع العوالم وقد ورد فى الأخبار أن أول ما خلق الله نور محمد ﷺ يعنى ذاته النورانية الباطنة انتهى المراد منه بلفظه.

وقال أيضاً: فى الشعبة الرابعة والخمسين وهى شعبة حسن الخلق بعد ذكر قول عائشة فى تفسير الآية كان خلقه القرآن ما نصه: أى متخلقا بأوصاف الربوبية لأن القرآن هو الجامع لصفات البارى جل وتعالى ثم قال بعد كلام فإن القرآن هو الجامع للأسماء والصفات وهو معنى الخبر الذى روت عائشة رضى الله عنها فى قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] قالت كان خلقه القرآن فأخلاق النبى ﷺ من القرآن مأخوذة فكان ينظر إلى أوصاف بارئه وأخلاقه جل وتعالى فيقتدى بها ويتعبد له بها على حسب ما أقر وقد روى عنه ﷺ فى ذلك خبر روى عنه أنه قال تخلقوا بأخلاق الله انتهى بلفظه أيضاً.

تنبيه

كمال الخلق إنما ينشأ عن كمال العقل [٦٧] وعقل نبينا ﷺ وصل فى الكمال إلى غاية لم يصل ولا يصل إليها مخلوق أبدا ومن ثم روى داود بن المحبر فى كتاب العقل له عن ابن عباس قال أفضل الناس أعقل الناس وذلك نبيكم ﷺ.

ورواه أبو نعيم فى حليته وابن عساكر فى تاريخه عن وهب بن منبه اليمانى التابعى يعنى الثقة قال قرأت فى أحد وسبعين كتاباً يعنى من الكتب القديمة وكان حبرها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقل محمد ﷺ إلا كحبة رمل من جميع رمال الدنيا وأن محمداً ﷺ أرجح الناس عقلا وأرجحهم رأيا ذكره السيوطى فى خصائصه الكبرى وصاحب المواهب اللدنية وغير واحد وأورد فى الشفا نحوه عنه أيضاً ونقل صاحب الروض الأنف عن كعب الأحبار قال خلق الله العقل من نور ثم قسمه ألف جزء فأعطى آدم وذريته جزءا واحدا وأعطى محمداً ﷺ تسعمائة وتسعة وتسعين جزءا فاختار بعقله الفقر انتهى نقله العلامة اليوسى فى حواشيه على شرح الكبرى للسنوسى.

وفى "عارف المعارف" للسهروردى قال بعضهم اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبى ﷺ وجزء فى سائر المؤمنين والجزء الذى فى سائر المؤمنين أحد وعشرون سهما يتساوى المؤمنون كلهم فيه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وعشرون سهماً يتفاضلون فيها على قدر حقائق إيمانهم انتهى.

وقد نقل صاحب تحفة الأخيار صدره إلى قوله والجزء الذى [٦٨] إلى آخره وزاد بعده ما نصه: ولكن لم يظهر لنا عقله لأنه لا تحتمل عقولنا ذلك وقد قال ﷺ إنى لأتكلم على قدر عقولكم انتهى.

وقال بعضهم يتفرع عن العقل اقتناء الفضائل واجتناب الرذائل وسلامة الفكر وإصابة الرأى وجودة الفطنة وحسن السياسة وقوة التدبير والنبى ﷺ بلغ من ذلك الغاية

التى لم يبلغها سواه قال فى المواهب ولما كان عقله أوسع العقول لا جرم اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شىء انتهى.

تنبيه آخر ((ومسألة التخلق يعنى بأخلاق الله تعالى))

قال العلامة ابن زكرى فى الإلمام والإعلام ما نصه: ومسألة التخلق يعنى بأخلاق الله تعالى فيها خلاف أجازها الغزالى فى المقصد الأسنى والإمام الفخر فى شرح الأسماء ومنعها ابن العربى يعنى فى الأمد الأقصى وجهل القائل بها وانتصر أبو إسحاق الشاطبى فى كتاب الموافقات للغزالى انتهى.

وقد ذكر أبو زيد الفاسى فى تحفة الأكابر فى الباب السابع منه نقلاً عن جواب لوالده أبى محمد سيدى عبد القادر الفاسى كلام هؤلاء كلهم راجعه.

وقال الشيخ أبو إسحاق الشاطبى من المسائل الخطيرة العظيمة فى هذا الباب وهى من المسائل المغفلة فى أصول الفقه جملة الاقتداء بأفعال الله سبحانه والاتصاف بمثل أوصافه على حسب ما يليق بالعبد من ذلك انتهى.

تتمة

ذكر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام أنه يصح التخلق بأسماء الله تعالى كلها ما عدا أربعة منها وهى الله الخالق البارئ المصور وقال الشيخ أبو العباس المرسى وغيره من [٦٩] العارفين أسماء الله تعالى كلها جاءت للتخلق إلا اسم الجلالة الذى هو الله فإنه للتعلق فقط إذ مضمونه الإلهية والإلهية لا يتخلق بها أصلاً وقال بعضهم اسم الجلالة اسم للذات والتخلق إنما يكون بأسماء الصفات يعنى تنـزيهية كانت أو أفعالية.

وذكر الشيخ الأكبر فى فتوحاته أنه يصح التخلق بالأسماء الإلهية كلها يعنى حتى باسم الجلالة حالة تجلى الحق تعالى على عبده بأنوار ألوهيته وأوصافها فتصدر عنه تصرفات الإلهية وقد يغلب عليه الشكر فينطق بالأنانية غلبة ووجدا كما وقع للحلاج وغيره قال وأعنى بالكل ما وصل إلينا العلم بها انتهى.

وقال فى الباب التاسع والستين ما نصه: وكان لمنبر رسول الله ﷺ ثلاث أدراج وكذلك الأسماء على ثلاث مراتب لكل درج مرتبة فأسماء تدل على الذات لا تدل على أمر آخر وأسماء تدل على صفات تنــزيه وأسماء تدل على صفات أفعال وما ثم مرتبة رابعة وكل هذه الأسماء قد ظهرت فى العالم فأسماء الذات يتعلق بها ولا يتخلق وأسماء صفات التنـــزيه يقدس بها جناب الحق تعالى ويتخلق بها العبد بحسب ما تعطيه مما يليق به فكما أن العبد يقدس جلال الله أن يقوم به صفات الحدوث كذلك يقدس العبد بهذه الأسماء فى التخلق بها نفسه أن تقوم بها صفات القدم والغنى المطلق وأسماء صفات الأفعال يوحد العبد بها ربه فلا يشرك فى فعله تعالى أحداً من خلقه انتهى المراد منه بلفظه.

ومراده أن العبد [٧٠] يوحد بها ربه مع تخلقه بها بحسب ما تعطيه مما يليق به كما ذكره فى القسم الثانى وكأنه لم ينبه عليه فى هذا الثالث لوضوحه لما هو مقرر من أنه يصح التخلق فيه.

هل يصح التخلق بالقيومية؟

وفى "الفتوحات" أيضاً فى مواضع منها ذكر الخلاف فى التخلق بالاسم القيوم ونصه فى الباب الخامس والثلاثين وخمسمائة واختلف العلماء من أصحابنا فى التخلق بالقيومية هل يصح أو لا فعندنا أنه يصح التخلق بها مثل جميع الأسماء وقال الله عز وجل ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ [النساء: ٣٤] ولقيت أبا عبد الله بن جنيد لما جاء إلى زيارتنا بأشبيلية فسألته فقال يجوز التخلق بها يعنى بالاسم القيوم ثم منع من ذلك وما أدرى ما سبب منعه مع قول الله تعالى ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** ﴾ [النساء:٣٤] انتهى المراد منه.

وقال فى الباب الحادى عشر وثلاثمائة ما نصه: واختلف فيه يعنى فى الاسم القيوم أصحابنا هل يتخلق به أم لا فكان الشيخ أبو عبد الله القبرفيقى من كبار مشايخ هذه

الطريقة بالأندلس وكان معتـزلياً يعنى فى ابتداء أمره وحاله قبل اتصاله بالشيخ ﷺ وتوبته على يده يمنع التخلق به وفاوضته فى ذلك مراراً فى مجلسه بحضور أصحابه بقبرفيق بالأندلس من أعمال رندة إلى أن رجع إلى قولنا من التخلق بالاسم القيوم كسائر الأسماء الإلهية انتهى. ونحوه له أيضاً فى أول الباب الثامن والتسعين فراجعه والله أعلم.

آخر: ذكر الشيخ أبو حامد الغزالى رحمه الله فى "المقصد الأسنى" [٧١] أنه سمع شيخه أبا على الفارمدى يحكى عن شيخه أبى القاسم الكركانى أنه قال أن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد وهو بعد فى السلوك غير واصل انتهى.

وقال السهروردى فى "عارف المعارف" فى الباب التاسع والعشرين فى أخلاق الصوفية ما نصه: وحكى عن الشيخ أبى على الفارمدى أنه حكى عن شيخه أبى القاسم الكركانى أنه قال إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد وهو بعد فى السلوك غير واصل قال ويكون الشيخ عنى بهذا أن العبد يأخذ من كل اسم وصفا يلائم ضعف حال البشر وقصوره مثلا فأخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى من الرحمة على قدر قصور البشر وكل إشارات المشايخ فى الأسماء والصفات التى هى أعز علومهم على هذا المعنى والتفسير وكل من توهم بذلك شيئا من الحلول تـزندق وألحد انتهى.

وقال الشيخ أبو عبد الله الخروبى فى كفاية المريد ما نصه: واعلم أن حظ كل ولى من الولاية على قدر ما حصل له من التعلق والتخلق بأسماء الله الحسنى قال الشيخ أبو القاسم الكركانى الأسماء التسعة والتسعون تصير أوصافاً للعبد السالك وهو بعد فى السلوك غير واصل.

قلت أى قال الخروبى ولا يكون القطب قطبا حتى يستكمل التعلق والتخلق بأسماء الله الصالحة للتعلق والتخلق كلها فإذا أراد الولى أن يعلم منـزلته من مقام القطبانية فلينظر إلى ما حصل له من التعلق والتخلق بالأسماء وللقطب ﷺ أسرار وفتوحات فى

المعارف لا يدركها غيره فسبحان من أودع أسراره قلوب [٧٢] أوليائه وأصفيائه وإلى ما أشرنا إليه من استكمال التعلق والتخلق بأسماء الله الحسنى الصالحة منها لذلك يحمل خواص هذه الأمة ﷺ قوله ﷺ إن لله تسعة وتسعين اسما فمن أحصاها دخل الجنة.(١) أى من استكملها فى التعلق والتخلق دخل جنة القرب ونعيم الوصل ومن دونهم فى الرتبة حمل الحديث على من أحصاها حفظا وقراءة دخل جنة النعيم فافهم انتهى منه بلفظه والله أعلم.

ومنها قوله تعالى ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى:٥] يعنى يهبك من أوصافه وكمالات ذاته ما تصير به عروس الحضرة وسلطان المملكة وأعظم خليفة عن الله وأكمل نائب عنه حتى ترضى وتقر عينك بما به تحظى أو تقول ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى:٥] أى يظهر عليك فى ظاهر حالك وأمرك ما هو لك فى باطنك وسرك من نفوذ الأمر والاستيلاء بالعزة والقهر والتحكم التام والتصرف المطلق الشامل العام فى المملكة الربانية كلها والسلطنة الإلهية بأجمعها فلا يخرج منها شىء عن حكمك وقهرك فى سرك وجهرك حتى ترضى بكمال الرضى فتعطى من شئت ما شئت وتمنع من شئت مما شئت وتقدم وتؤخر وتولى وتعزل كذلك ولا يقع فى العالم شىء إلا منك وبقضائك ولا يجرى فيه خير ولا عطاء إلا وهو من خيرك وعطائك منا عليك وتقربا وتوددا إليك ولهذا كان الأستاذ القطب زين العابدين البكرى بن محمد بن محمد شمس الدين بن أبى الحسن البكرى يقول فى هذه الآية إن فيها من السر المبهم وكنـــز الرمز المطلسم ما لا تحيط به العبارة نقل [٧٣] ذلك عنه تلميذه الشيخ إبراهيم العبيدى المالكى فى عمدة التحقيق فى بشائر آل الصديق.

وفى "روح البيان" لدى هذه الآية نقلاً عن بعض العارفين قال الحقيقة المحمدية أصل مادة كل حقيقة ظهرت ومظهرها أصل مادة كل حقيقة تكونت وإليه يرجع الأمر كله قال تعالى ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى:٥] ولا يكون

---

(١) أخرجه البخاري (٩٨١/٢، رقم ٢٥٨٥).

رضاه إلا بعود ما تفرق منه إليه فأهل الجمال يجتمعون عند جماله وأهل الجلال يجتمعون عند جلاله انتهى.

ومما يوافق القولة الأولى قوله فى التأويلات النجمية أى يظهر عليك بالفعل ما فى قوة استعدادك من أنواع الكمالات الذاتية وأصناف الكرامات الصفاتية والأسمائية انتهى. والثانية قوله فى الفتوحات فى الباب الثالث والخمسين وثلاثمائة بعد ذكر هذه الآية وهو أى الإعطاء المذكور عطاء كن فى ظاهر العين كما هو له فى الباطن انتهى.

وفى الصحيحين واللفظ للبخارى فى النكاح عن عروة بن الزبير قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن أنفسهن للنبى ﷺ فقالت عائشة أما تستحيى المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نـزلت ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ [الأحزاب:٥١] فقالت عائشة يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك.[1]

وفى لفظ لمسلم عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت كنت أغار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول وتهب المرأة نفسها فلما أنـزل الله عز وجل ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ ﴾ [الأحزاب:٥١] قالت قلت والله ما أرى ربك عز وجل إلا يسارع [٧٤] فى هواك.[2] تعنى بهواه رضاه ومطلوبه وما يريد.

كما فى رواية ابن سعد عنها قالت لما نـزل ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ [الأحزاب:٥١] قلت إن الله يسارع لك فيما تريد وأما حقيقة الهوى فهى منتفية عنه عليه السلام ولا تجوز عليه كما أنه لا يجوز إضافتها إليه ولذا قال القرطبى كما فى فتح البارى هذا قول أبرزه الدلال والغيرة وهو من نوع قولها ما أحمدكما ولا أحمد إلا الله وإلا فإضافة الهوى إلى النبى ﷺ لا تحمل على ظاهرها لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٦/٥، رقم ٤٨٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٨٥/٢، رقم ١٤٦٤).

بالهوى ولو قالت إلى مرضاتك لكان أليق ولكن الغيرة يغتفر لأجلها إطلاق مثل ذلك انتهى.

وقال كما فيه أيضاً حمل عائشة على التقبيح الغيرة التى طبعت عليها النساء وإلا فقد علمت أن الله أباح لنبيه ذلك وأن جميع النساء لو ملكه الله رقهن لكان قليلا انتهى.

وأقول يمكن أن تكون أشارت بذكر الهوى إلى أن ربه تعالى يرضيه فى كل شيء ويوافقه فى محابه كلها حتى فى الأمور التى يمكن أن يكون الباعث عليها حظ النفس وهواها لو وقعت من غيره كالنكاح وإن لم يكن له هو حظ نفس حاشاه ﷺ كيف وهو صاحب العصمة الكاملة التى تفرعت عنها جميع العصم ولذا قال حبب إلىَ من دنياكم النساء والطيب.[1] فأشار إلى أن ذلك بتحبيب الله لأسرار وحكم ومصالح أرادها الله لا بحبه هو ويمكن أن كلام عائشة هذا غير مبتكر من عندها بل أخذته من قول أبى طالب للنبى ﷺ حين رأى سرعة إجابة الحق له فى كل ما يدعوه به ما أسرع ربك إلى هواك يا محمد ويروى ما [٧٥] أطوع ربك لك فقال يا عم وأنت إن أطعته أطاعك ثم هذه الآية أرجى آية فى القرآن عند أهل البيت لأنها عدة كريمة شاملة لكل ما يرضيه ويطيب نفسه وخاطره فى نفسه وأهله وأقاربه وأصحابه وأمته وجميع من أرسل رحمة له دنيا وأخرى.

وأورده الديلمى عن على مرفوعاً ما أنــزل على آية أرجى من قوله ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾ [الضحى:٥] قال فى المجمع وفيه حرب بن شريح فيه ضعف والباقون ثقات انتهى. والله أعلم.

فهذه عدة آيات هو بما ذكرناه لمن وفقه الله تعالى وفتح عين بصيرته مشعرات وله مشيرات.

---

(١) أخرجه البيهقي (٧٨/٧).

وأما الأحاديث النبوية فاعلم أن ها هنا أحاديث كثيرة تهدى الموفق لما ذكرناه ويتلمح العارف منها ما قدمناه وأسلفناه فمنها ما ذكره السيوطى فى جامعه الكبير وعزاه لتخريج الرافعى عن سلمان يعنى مرفوعاً لما خلق الله العرش كتب عليه بقلم من النور طول القلم ما بين المشرق والمغرب لا إله إلا الله محمد رسول الله به آخذ وبه أعطى وأمته أفضل الأمم وأفضلها أبو بكر الصديق.[(١)]

وفى معناه على ما يأتى عن الصوفية ما أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد فى زوائد الزهد قال حدثنا على بن مسلم حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى حدثنا مالك بن دينار عن الحسن البصرى مرفوعاً مرسلاً لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال ما خلقت خلقاً أحب إلى منك فبك آخذ وبك أعطى.[(٢)]

قال السيوطى فى "الدرر المنتثرة" بعد إيراده وهذا مرسل [٧٦] جيد الإسناد ونقله فى شرح المواهب وقال بعده وهو كلام محقق فى الفن إذ سيار مختلف فى توثيقه وتضعيفه فحديثه جيد ومنهم من يقول حسن فلا عبرة بقول الشامى هذا من الأحاديث الواهية لا الضعيفة انتهى.

زاد السيوطى بعد ما تقدم وهو فى "معجم الطبرانى فى الأوسط" موصول من حديث أبى أمامة ومن حديث أبى هريرة بإسنادين ضعيفين انتهى.

فقول الزركشى فى التذكرة تبعاً لابن تيمية أن حديث العقل كذب موضوع باتفاق فيه نظر ومما يرده قول الحافظ ابن حجر أن الوارد فى أول ما خلق الله حديث أول ما خلق الله القلم وهو أثبت من حديث العقل فإنه كما فى شرح يؤذن بثبوت

---

(١) ذكره القزويني في تدوينه (٣/٣٩٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/٢٨٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/١٤٥)، والهيثمي في زوائده (٨/٢٨).

حديث العقل فأين الاتفاق على وضعه ومما يشهد له ما أخرجه البيهقى فى الشعب عن الحسن قال لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر وقال ما خلقت خلقاً هو أحب إلى منك إنى بك أعبد وبك أعرف وبك آخذ وبك أعطى ومثله لا يقال رأيا فله حكم المرفوع والبيهقى يلتـــزم فى تصانيفه أنه لا يخرج فيها حديثا موضوعا عنده.

وفى كلام غير ما واحد من الصوفية أن العقل فى هذا الحديث المراد به الحقيقة المحمدية والله أعلم.

ومنها أحاديث كراماته ومعجزاته وما ظهر على يديه من خوارق عاداته فإنها تعطى بمجموعها وجملتها أن بيديه فى العالم العلوى والسفلى وجميع المملكة الربانية التصرف والتحكيم والأمر والنهى والرد لما شاء أو التسليم من غير منازعة ولا معارضة ولا مناقشة ولا مناقضة وإن الكل تحت خدمته وطاعته لا قدرة [٧٧] له على معصيته أو مخالفته كأحاديث تظليل الغمام وطاعة السحاب له بالتمام ونـــزول المطر وارتفاعه بأمره غير مرة ومرتين وانشقاق القمر لما أشار له فرقتين ونـــزول ملائكة السماوات عليه بالطاعة لما يأمر به أو يشير إليه وإحياء الموتى ونطقهم بكرامته وكلام الصبيان معه وشهادتهم برسالته وإبرائه للمرضى وذوى العاهات وسجود الشجر والحجر له والحيوانات ونطقها له كغيرها من الأحجار والجمادات والأشجار والنباتات وطواعيتها لجنابه ومجيئها لحضرته ورحابه وانفعال الأشياء كلها بدعوته ورجوعها لما يطلبه منها فى خلوته وجلوته وقوله لأشياء كن فتكون على حسب ما أراده وتتكون فى الحال طبق المراد وذلك كله معلوم مشهور وفى كتب السير والمعجزات مذكور.

قضايا قال فيها ﷺ للشيء كن فكان

ولنذكر ها هنا بعض قضايا قال فيها للشيء كن فكان فى الحال أو دعا فأجيب من غير إمهال أو أخبر عما يكون بلفظ الماضى فتحقق فيه الوقوع كما أخبر حالاً أو مآلا بلا رجوع.

أخرج أبو داود فى سننه فى باب ما يقطع الصلاة وابن حبان فى صحيحه والبيهقى وابن أبي شيبة فى المصنف واللفظ لأبى داود من حديث سعيد بن عبد العزيز عن مولى ليزيد بن نمران عن يزيد بن نمران أبي المذحجى قال رأيت بتبوك مقعدا فقال مررت بين يدى النبى ﷺ وأنا على حمار وهو يصلى فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت عليها بعد.[1] وفى رواية أخرى لأبى داود من حديث سعيد المذكور فقال قطع [٧٨] صلاتنا قطع الله أثره. أى مشيه على قدميه يعنى فأقعد.

كما فى رواية غيره وفى أخرى ثالثة له وقد ذكرها فى الجمع إلا أنه عزاها لابن عساكر فى تاريخه عن سعيد بن غزوان – يعنى الشامى – عن أبيه أنه نـزل بتبوك وهو حاج فإذا رجل مقعد فسأله عن أمره فقال له سأحدثك حديثاً لا تحدث به ما سمعت أنى حى أن رسول الله ﷺ نـزل بتبوك إلى نخلة فقال هذه قبلتنا ثم صلى إليها فأقبلت وأنا غلام أى صبى أسعى حتى مررت بينه وبينها فقال قطع صلاتنا قطع الله أثره فما قمت عليها إلى يومى هذا.[2]

وأخرج ابن حبان من طريق سعيد بن عبد العزيز السابق عن يزيد بن بهرام قال مررت بين يدى رسول الله ﷺ وهو يصلى فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت وقد ضعف عبد الحق وابن القطان إسناده وفى التجريد للذهبى يزيد بن بهرام قال ابن حبان هو المقعد الذى دعا عليه رسول الله ﷺ انتهى.

---

(١) أخرجه أبو داود (١/١٨٨)، والبيهقي (٢/٢٧٥).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٨/٥٨).

وذكره ابن حبان فى الصحابة وقال يقال إنه اسم المقعد الذى مر على النبى ﷺ وهو يصلى بتبوك انتهى.

قلت وهذا من التصرفات الباطنية الخارجة عن أحكام الشريعة الظاهرية التى يوكل العلم بحقيقتها إلى الله سبحانه كفعل الخضر عليه السلام بالصبى والنبى عليه الصلاة والسلام وإن أمر أن يحكم بالظاهر لكن كانت له مع ذلك أحكام باطنية وقد جمعها السيوطى فى جزء وذكر ابن قتيبة كما قاله الحافظ محب الدين الطبرى أنه عليه الصلاة والسلام خطب امرأة من أبيها فقال [٧٩] له أبوها امتناعاً من خطبته واعتذاراً إن بها برصاً و لم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتكن كذلك فرجع فوجد البرص بها.

وفى "الخصائص الكبرى" ذكر ابن فتحون عن الطبرى أن النبى ﷺ خطب إلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة أى المزنى ابنته جمرة أى بالجيم فقال إن بها سوءا و لم يكن كما قال فرجع فوجدها قد برصت انتهى.

وعند ابن الأثير فى "جامع الأصول" جمرة بنت الحارث بن عوف خطبها ﷺ فقال أبوها إن بها سوءاً و لم يكن بها شيء فرجع إليها أبوها وقد برصت وهى أم شبيب بن البرصاء الشاعر انتهى.

وفى "الإصابة" البرصاء والدة شبيب هى التى خطبها النبى ﷺ من أبيها فقال إن بها بياضا و لم يكن بها فرجع فوجدها برصت اسمها أمامة وقيل قرصافة انتهى.

وفيها أيضاً أمامة بنت الحارث بن عوف قيل هى البرصاء والدة شبيب بن البرصاء وقيل اسمها قرصافة انتهى.

وفيها أيضاً: جمرة بنت الحارث بن عوف هى البرصاء تقدمت انتهى. فخرج أن فى اسمها أقوالا ثلاثة.س

وأخرج البيهقى عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ رأى سبيعة الأسلمية تأكل بشمالها فقال أخذها داء غزة فلما مرت بغزة أصابها الطاعون بمثلها.

وفى "الجمع" فى مسند عقبة بن عامر عنه أن رسول الله ﷺ رأى سبيعة الأسلمية تأكل بشمالها فقال ما لها تأكل بشمالها أخذها داء غزة قالت يا رسول الله إن فى يدى فرحة قال وإن فمرت بغزة فأصابها من الطاعون فماتت [٨٠] ابن جرير فى تهذيبه وضعفه انتهى.

وفى الزرقانى على الموطأ أخرج الطبرى ومحمد بن الربيع الجيزى بسند حسن عن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ رأى سبيعة الأسلمية تأكل بشمالها فقال ﷺ أخذها داء غزة فقيل إن بها فرحة فقال وإن فمرت بغزة فأصابها الطاعون فماتت انتهى.

وأخرج مسلم عن إياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال له كل بيمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه يعنى بعد ذلك.(١)

وأخرج البيهقى عن بريدة أنه عليه السلام سأل عن رجل يقال له قيس فقال لا أقرته الأرض فكان لا يدخل أرضا يستقر بها حتى يخرج منها.

وأخرج ابن سعد فى "الطبقات" وابن عساكر من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال أقبلت ليلى بنت الخطيم أى بوزن أمير أنصارية أوسية ظفرية إلى النبى ﷺ وهو مول ظهره إلى الشمس فضربت على منكبه فقال من هذا أكله الأسد وكان كثيراً ما يقولها فبينما هى فى حائط من حيطان المدينة تغتسل إذ وثب عليها ذئب فأكل بعضها فأدركت فماتت.

وأسند ابن سعد أيضاً الواقدى عن محمد بن صالح بن دينار عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً نحوه ولذا كان يقال لها أكيلة الأسد.

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٩/٣، رقم ٢٠٢١).

وأخرج الحاكم فى "المستدرك" وصححه، والبيهقى فى "الدلائل" والطبرانى عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قال كان الحكم بن أبى العاصى يعنى ابن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى عم عثمان بن عفان ووالد [٨١] مروان يجلس إلى النبى ﷺ فإذا تكلم النبى ﷺ اختلج بوجهه فبصر به النبى ﷺ فقال له كن كذلك فلم يزل يختلج حتى مات.(١) قال فى " الإصابة " بعد أن أورده من عند الطبرانى: فى إسناده نظر. قال: وأخرجه البيهقى فى " الدلائل " من هذا الوجه فيه ضرار بن صرد وهو منسوب للرفض.

وأخرج أيضاً: من طريق مالك بن دينار حدثنى هند ابن خديجة زوج النبى ﷺ قال مر النبى ﷺ بالحكم فجعل الحكم يغمز النبى ﷺ بإصبعه فالتفت فرآه فقال اللهم وزغا فرجف مكانه انتهى.

وقال غيره أخرج البيهقى فى "الدلائل" وابن منده فى "معجم الصحابة" وأبو حاتم الرازى وعبد الله بن أحمد فى زيادات "الزهد" من طريق مالك بن دينار حدثنى هند ابن خديجة زوج النبى ﷺ قال مر النبى ﷺ بالحكم أبى مروان فجعل يغمز النبى ﷺ ويشير بإصبعه حتى التفت النبى ﷺ فرآه فقال اللهم اجعله وزغا فرجف مكانه.

وفى "النهاية" لابن الأثير أن الحكم بن أبى العاص أبا مروان حاكى رسول الله ﷺ من خلفه فعلم بذلك فقال كذا فلتكن فأصابه مكانه وزغ لم يفارقه أى رعشة وهى ساكنة الزاى وفى رواية أنه قال لما رآه اللهم اجعل به وزغا فرجف مكانه وارتعش انتهى.

وأخرج البيهقى أيضاً فى "الدلائل" عن ابن عمر أن النبى ﷺ خطب يوماً ورجل خلفه يحاكيه ويلمصه فقال النبى ﷺ [٨٢] كذلك كن فرجع إلى أهله فلبطا أى صرع وسقط به شهرين ثم أفاق حين أفاق وهما كما حكى عن رسول الله ﷺ وفى "جمع

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٦٧٨/٢) وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

الجوامع" للسيوطى حديث أنه دعا على الحكم بن أبى العاص الحديث أخرجه البيهقى من طرق عن عبد الرحمن بن أبى بكر وعن ابن عمر وعن هند ابن خديجة رضى الله عنها انتهى.

وقد ذكروا أنه عليه السلام نفى الحكم هذا إلى الطائف وذكروا فى سبب طرده أقوالاً منها ما سبق وأنه كان يحكيه فى مشيته مستهزئا به ومنها أنه كان يشيع سر رسول الله ﷺ وقيل غير ذلك وذكر ابن سعد أنه أسلم يوم الفتح وسكن المدينة ثم نفاه النبى ﷺ إلى الطائف ثم أعيد إلى المدينة فى خلافة عثمان ومات بها يعنى سنة اثنين وثلاثين من الهجرة راجع الإصابة.

وأخرج أبو نعيم عن الواقدى أن عبد الله ذا البجادين أى وهو ابن عبد نهم المزنى عم عبد الله بن مغفل بن عبد نهم المزنى خرج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك فقال يا رسول الله ادع لى بالشهادة فقال اللهم إنى أحرم دمه على الكفار إنك إذا خرجت فى سبيل الله فأخذتك حمى فقتلتك فأنت شهيد فلما نـــزلوا تبوك أقاموا بها أياماً ثم توفى عبد الله ذو البجادين يعنى بالحمى كما قال رسول الله ﷺ وقد نـــزل عليه السلام قبره ولم ينـــزل قبر أحد على ما قيل إلا خمسة منهم عبد الله هذا ولما دفن قال اللهم إنى أمسيت عنه راضيا فارض عنه.[1] وكان من عادته ﷺ أن يكثر من ذكر الله بالقرآن والدعاء ويرفع صوته [٨٣] فقال عمر أمراء هو فقال عليه السلام بل هو أحد الأواهين.

وأخرج أحمد من حديث عقبة بن عامر أنه عليه السلام قال لرجل يقال له ذو البجادين أنه أواه.[2]

---

(١) أخرجه الهيثمي (٣٦٩/٩) وقال رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمي وهو متروك.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩/٤).

وأخرج البخارى فى علامات النبوة وفى كتاب المرض والطب فى باب عيادة الأعراب وفى التوحيد والنسائى فى الطب وفى اليوم والليلة عن ابن عباس أن النبى ﷺ دخل على أعرابى يعوده قال وكان النبى ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال له لا بأس طهور إن شاء الله تعالى فقال لا بأس طهور إن شاء الله قال قلت طهور كلا بل هى حمى تفور أو تثور على شيخ كبير تـــزيره القبور فقال النبى ﷺ فنعم إذا.(١)

زاد الدولابى فى "الكنى" فى روايته فأصبح الأعرابى ميتاً وقد زعم الزمخشرى فى ربيع الأبرار أن هذا الأعرابى هو المسمى قيس بن أبى حازم قال الحافظ فإن ثبت ذلك فهو غير قيس بن أبى حازم البجلى الأحمسى التابعى المخضرم والمشهور والله أعلم.

وأخرج الطبرانى من طريق حماد بن يزيد المنقرى عن مخلد بن عقبة بن شرحبيل عن جده شرحبيل وهو ابن عبد الرحمن أو ابن أوس الجعفى قال كنا عند النبى ﷺ إذ جاءه أعرابى فقال يا رسول الله شيخ كبير به حمى تفور تـــزيره القبور فقال النبى ﷺ هى كفارة أو طهور فأعادها فأعادها فقال أما إذ أبيت فهى كفارة كما تقول وما قضى الله فهو كائن قال فما أمسى من الغد إلا ميتا.(٢)

قلت وكأنهما قضيتان لا قضية واحدة فتأمل ولشرحبيل هذا [٨٤] ويقال له شراحيل حديث آخر فى علامات النبوة أخرجه البخارى فى "تاريخه" وابن السكن، والطبرانى من طريق حماد بن يزيد السابق وقال عن مخلد بن عقبة بن عبد الرحمن بن شرحبيل الجعفى عن جده عبد الرحمن عن أبيه قال أتيت النبى ﷺ وبكفى سلعة فقلت يا رسول الله إن هذه السلعة قد آذتنى تحول بينى وبين قائم السيف فقال ادن فدنوت فوضع يده على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفع وما أدرى أين أثرها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/١٣٢٤، رقم ٣٤٢٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/٣٠٦)، وذكره الهيثمي في زوائده (٢/٣٠٧) وقال رواه الطبراني في الكبير وفيه من لا أعرفه.

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن ابن عمر قال سمعت النبى ﷺ يقول فى قنوته يا أم ملدم عليك ببنى عصية فإنهم عصوا الله ورسوله قال فصرعتهم الحمى.

وأخرج البخارى فى "الأدب" والنسائى من طريق الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الحسن مولى أم قيس بنت محصن الأسدية عن أم قيس وهى أخت عكاشة ابن محصن الأسدى قالت توفى ابن لى فجزعت فقلت للذى يغسله لا تغسل ابنى بالماء البارد فتقتله فذكر ذلك عكاشة للنبى ﷺ فقال ما لها طال عمرها قال فلا نعلم امرأة عمرت ما عمرت.[1]

وفى رواية فانطلق عكاشة بن محصن إلى النبى ﷺ فأخبره بقولها فتبسم ثم قال طال عمرها فلا تعلم امرأة عمرت ما عمرت.[2]

وأخرج مسلم والبيهقى واللفظ له عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال ادع لى معاوية فقلت إنه يأكل فقال فى الثالثة لا أشبع الله بطنه فما شبع بطنه أبدا.[3]

وأخرج أبو داود الطيالسى فى مسنده قال حدثنا [٨٥] مشيع وأبو عوانة عن أبى حمزة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث إلى معاوية يكتب له فقيل إنه يأكل ثم بعث إليه فقيل إنه يأكل فقال رسول الله ﷺ لا أشبع الله بطنه.

وأخرج أحمد فى مسنده من حديث عبد الرحمن بن أبى ليلى قال كان أبى يسمر مع على وكان على يلبس ثياب الصيف فى الشتاء وثياب الشتاء فى الصيف فقيل له لو سألته فسأله فقال إن رسول الله ﷺ بعث إلى وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت يا رسول

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (٢٩/٤).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٢/٢٥)، وأحمد (٣٥٥/٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠١٠/٤، رقم ٢٦٠٤).

الله إنى أرمد العين قال فتفل فى عينى وقال اللهم اذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حرا ولا برداً منذ يومئذ.(١)

وأخرجه النسائى فى خصائص على أيضاً وقال عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن علياً ﷺ خرج علينا فى حر شديد وعليه ثياب الشتاء وخرج علينا فى الشتاء وعليه ثياب الصيف ثم دعى بماء فشرب ثم مسح العرق عن جبينه الحديث. وفيه أن علياً ﷺ قال لأبى ليلى بعد ما سأله عن ذلك إن النبى ﷺ كان بعث إلى وأنا أرمد – شديد الرمد – فبزق فى عينى ثم قال افتح عينيك ففتحتهما فما اشتكيتهما حتى الساعة ودعا لى فقال اللهم أذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حراً ولا برداً حتى يومى هذا.(٢)

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه عن ضمرة ومهاجر ابنى حبيب قالا خرج رسول الله ﷺ فى سرية فصلى بأصحابه على ظهر فاقتحم رجل من الناس فصلى على الأرض فقال خالف، [٨٦] خالف الله به فما مات الرجل حتى خرج من الإسلام.(٣)

وأخرج البيهقى عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة بنى أنمار فقال لرجل ما له ضرب الله عنقه فسمعه الرجل فقال يا رسول الله فى سبيل الله فقال فى سبيل الله فقتل الرجل فى سبيل الله.(٤) وغزوة بنى أنمار هى غزوة غطفان وتعرف بذى أمر.

وأخرجه الحاكم وصححه وقال فى بعض مغازيه وقال فى آخره فقتل يوم اليمامة. وأخرجه أيضاً مالك فى الموطأ فى الجامع فيما جاء فى لبس الثياب للجمال بها عن جابر

---

(١) أخرجه أحمد (٩٩/١).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١٢٥/٥).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٨٦/٢٨).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣٦/١٢)، والهيثمي في زوائده (١٣٤/٥) وقال رواه البزار بأسانيد ورجال احدها رجال الصحيح وقد رواه مالك في الموطأ وقال فيه من أين لكم هذا فقلت من المدينة.

أيضاً ولفظه قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة بنى أنمار فذكر الحديث وقال فيه قال وعندنا صاحب لنا نجهزه يذهب يرعى ظهرنا قال فجهزته ثم أدبر يذهب فى الظهر وعليه بردان له قد خلقاً أى بليا قال فنظر رسول الله ﷺ إليه فقال أما له ثوبان غير هذين فقلت بلى يا رسول الله له ثوبان فى العيبة كسوته إياهما قال فادعه فمره فليلبسهما قال فدعوته فلبسهما ثم ولى يذهب قال فقال رسول الله ﷺ ما له ضرب الله عنقه أليس هذا خيراً له قال فسمعه الرجل فقال يا رسول الله فى سبيل الله فقال رسول الله ﷺ فى سبيل الله قال فقتل الرجل فى سبيل الله.

وفى "شعب الإيمان" للشيخ عبد الجليل بن موسى القصرى ما نصه: فالوجود قد ذكره سبحانه بكلامه فهو يتكون عن كلامه القائم بنفسه وينفعل فى جميع حركاته وسكونه وقد قال رسول الله [٨٧] ﷺ لبعض أصحابه ما له ضرب الله عنقه أليس هذا خيراً له فقال الرجل فى سبيل الله يا رسول الله فقال فى سبيل الله فضربت عنقه فى سبيل الله فكيف بكلام رب العالمين جل جلاله انتهى.

يعنى أن الأشياء كانت تتكون عن كلامه عليه السلام كما فى هذه القضية فكيف لا تتكون عن كلام رب العالمين سبحانه الذى هو الخالق البارئ المصور الفاعل حقيقة.

قلت ونظير هذه القضية ما وقع من عائشة ﷺ بطريق الإرث منه ﷺ وقد ذكره الدميرى فى "حياة الحيوان" فى ترجمة الجمل حين تعرضه فيها لذكر وقعة الجمل الواقعة بين على وعائشة وذلك أن محمد بن أبى بكر الصديق قلت وكان فى حجر على لتـــزوجه بأمه وهى أسماء بنت عميس وأميراً من قبله على الرجالة يوم الجمل أدخل يده فى هودج أخته عائشة وهى لا تعلم أنه هو فقالت من هذا الذى يتعرض لحرم رسول الله ﷺ أحرقه الله بالنار فقال يا أختاه قولى بنار الدنيا فقالت بنار الدنيا قلت فلما ولى مصر بعد هذا من قبل سيدنا على وسار إليه عمرو بن العاصى واقتتلوا وانهزم محمد هذا دخل فى خربة فيها حمار ميت فيقال إنه دخل فى جوفة فأحرق فى جوف

الحمار وقيل بل قتله معاوية بن خديج فى المعركة ثم أحرق فى جوف الحمار بعد ويقال إنه أتى به عمرو بن العاصى فقتله صبرا انظر الاستيعاب لابن عبد البر.

وأخرج الحاكم والبيهقى وغيرهما عن ابن مسعود قال لما [٨٨] سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعلوا يقولون تخلف فلان فيقول دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه وتلوم أبو ذر على بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه على ظهره ثم خرج يتبع أثره ﷺ ماشياً فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده فقال ﷺ كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال يرحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده الحديث (١) [ويعزى لابن] إسحاق قال فى الإصابة بسند ضعيف عن ابن مسعود قال كان لا يزال الرجل يتخلف فى تبوك فيقولون يا رسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه فتلوم أبو ذر على بعيره فأبطأ عليه فأخذ متاعه على ظهره ثم خرج ماشيا فنظر ناظر المسلمين فقال إن هذا الرجل يمشى على الطريق فقال رسول الله ﷺ كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويحشر وحده فذكر قصة موته.

وأخرج البيهقى من طريق ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم مرسلاً أن أبا خيثمة لحق النبى ﷺ فأدركه بتبوك حين نـــزلها فقال الناس هذا راكب على الطريق مقبل فقال رسول الله ﷺ كن أبا خيثمة [٨٩] فقالوا هو والله أبو خيثمة.(٢)

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٥٢) وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٢) أخرجه مسلم من طريق ابن شهاب (٤/٢١٢٢ رقم ٢٧٦٩).

وقد تبادر إلى ذهن بعض حفاظ الحديث أن أبا خيثمة هذا هو سعد بن خيثمة بن الحارث الأنصارى الأوسى أحد النقباء بالعقبة ولا يصح ذلك لأن سعداً هذا قتل ببدر شهيداً باتفاق علماء السيرة وهذه القصة كانت بعد ذلك فى غزوة تبوك.

وفى "الإصابة" زعم إبراهيم أن سعد بن خيثمة هذا هو أبو خيثمة الذى تخلف يوم تبوك ثم لحق وساق ترجمته من طريق أبو نعيم بن عبد الله بن سعد بن خيثمة عن أبيه عن جده قال تخلفت فى غزوة تبوك وساق القصة والحق أنه غيره لإطباق أهل السير على أن صاحب هذه الترجمة استشهد ببدر انتهى.

وفيها أيضاً فى ترجمة أبى خيثمة الأنصارى السالمى ما نصه: وقع ذكره فى حديث كعب بن مالك الطويل فى قصة توبته وفيه فلما كان بتبوك إذا شخص يزول به السراب فقال له النبى ﷺ كن أبا خيثمة فإذا هو أبو خيثمة وقد قال الواقدى إن اسم أبى خيثمة هذا عبد الله بن خيثمة وإنه شهد أحداً وبقى إلى خلافة يزيد بن معاوية انتهى.

وقال فى "فتح البارى" بعد حكاية قول الواقدى وقال ابن هشام اسمه مالك بن قيس وانظر الاستيعاب لابن عبد البر فقد ذكر هذه القصة أيضاً مبسوطة عن ابن إسحاق فى ترجمة أبى خيثمة الأنصارى السالمى هذا على أنه صاحبها فهو الصواب والله أعلم.

ثم هذا أعنى قوله كن أبا فلان يحتمل أن يكون خبراً بمعنى أنت أبو فلان ويكون علم ذلك بوحى أو بحدة بصر أو بقرائن الأحوال وأن يكون [٩٠] يا فلان كما يقول إسلم بكسر الهمزة وفتح اللام بمعنى سلمك الله وأن يكون أمراً منه عليه السلام له بأن يكون أبا فلان فيكون الشبح المقصود له بتكوين الله تعالى حالا من غير شعور لذلك الشبح بذلك بل يخيل إليه أنه أتى إلى هذا المكان بالإتيان المعهود وعلى الحالة المألوفة ويخيل إلى الناس ذلك أيضاً سترا للحال ولا مانع من هذا وربنا على كل شىء قدير

وفى معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ما هو أعظم من هذا وعلى هذا المعنى الأخير فهمه العارفون من أهل الله.

قال فى "الفتوحات" فى الباب الثالث والسبعين فى الكلام على السؤال السابع والأربعين ومائة من أسئلة الحكيم الترمذى وهو تأويل قول باسم الله ما نصه: كن هو للعبد الكامل فى التكوين بمنـــزلة كن للحق فيه يتكون عن بعض الناس ما شاءوا وقال الحلاج باسم الله من العبد بمنـــزلة كن من الرب ونكن بعض العباد له كن دون باسم الله وهم الأكابر جاء عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك أنهم رأوا شخصاً فلم يعرفوه فقال له رسول الله ﷺ كن أبا ذر ولم يقل باسم الله فكانت كن منه كن الإلهية فإنه قال الله تعالى فيمن أحبه حب النوافل كنت سمعه وبصره ولسانه الذى يتكلم به انتهى المراد منه بلفظه.

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلى فى شرحه لباب التاسع والخمسين بعد الخمسمائة من الفتوحات لدى قول الشيخ فيه فمن تقوى جأشه واستدار عرشه [٩١] وتمهد فرشه كرسول الله ﷺ قال كن ولم يبسمل فكان ولم يحوقل ما نصه: أشار إلى قوله ﷺ لشبح رآه من بعيد كن زيدا فكان ذلك للشبح زيدا أخا عمر بن الخطاب كان أرسله رسول الله ﷺ وترقب وصوله وحكايته مشهورة والمراد من كان متحققا بربه روحا وجسما صورة ومعنى تكون له الأشياء بكلمة كن كما تكون ذلك الشبح فصار زيدا لرسول الله ﷺ انتهى المراد منه.

وفى "الكمالات الإلهية" له فى الكلام على اتصافه ﷺ بمعنى اسمه تعالى المصور ما نصه: وأما اسمه المصور فإنه كان ﷺ متصفاً بذلك والدليل على ذلك قوله للأعرابى كن زيداً فإذا هو زيد انتهى.

وفيها أيضاً ما نصه: وأما اسمه البديع فإنه ﷺ كان متحققاً بهذا الاسم وقد ابتدع واخترع من عجائب القدرة ما يعجز الكون عن الإفصاح به والكتب مشحونة بذلك وفى قوله للشبح كن زيدا فإذا هو زيد بن الخطاب كفاية للمستدل انتهى بلفظه فيها.

وفى كتاب المسامع الوجودية لسيدى على وفا ﷺ ما نصه: اسمع جاء فى الحديث أنهم لما كانوا فى غزوة تبوك جلوسا فى نحر الظهيرة إذا شخص يزول به السراب فقال السيد الكامل كن أبا خيثمة فإذا هو أبو خيثمة فالصحابة عليهم السلام شهداء الله فى الأرض كما قال لهم السيد الكامل وهم أهل اللسان العربى وقد رتبوا كونه أبا خيثمة على قول [٩٢] السيد الكامل الذى قوله عندهم قول الله ربهم الحق كن أبا خيثمة بالفاء السببية والمسبب لا يتقدم على سببه وبه يحصل ومن ثم عدوها آية انتهى من بلفظه.

وفى "الجواهر والدرر" ما نصه: قلت لسيدى على الخواص فهل يعطى أحد من الأولياء التصرف بكن فى هذه الدار فقال ﷺ نعم بحكم الإرث لرسول الله ﷺ فإنه تصرف بها فى عدة مواطن منها قوله فى غزوة كن أبا ذر فكان أبا ذر انتهى.

أدب أهل الله

وفى "اليواقيت" فى المبحث الرابع والعشرين بعدما ذكر فيها نقلاً عن الشيخ الأكبر فى فتوحاته أن من أدب أهل الله إذا أعطاهم الله تعالى التصرف بلفظة كن فى هذه الدار لا يتصرفون بها بل يجعلون مكانها باسم الله ما نصه: فإن قيل إن رسول الله ﷺ أكثر الخلق أدبا وقد استعملها فى بعض الغزوات فالجواب إنما استعملها ﷺ فى غزوة تبوك بحضرة أصحابه بيانا للجواز ولأنه كان مأذونا له فى إظهار المعجزات وهذه المسألة من قبيلها فقال ﷺ كن أبا ذر فكان أبا ذر وقال لعسيب النخل كن سيفا فكان سيفا انتهى.

وعسيب النخل هذا دفعه لعبد الله بن جحش بن رياب الأسدى يوم أحد وقد ذهب سيفه أى انقطع فرجع فى يده سيفاً أخرج ذلك البيهقى وذكره عياض فى الشفا وغيره وقال فى الاستيعاب ذكر الزبير يعنى ابن بكار فى الموفقيات أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله [٩٣] ﷺ عرجون نخلة فصار فى يده

سيفا يقال إن قائمته منه وكان يسمى العرجون ولم يزل يتداول حتى بيع من بغاء التركى أى من أمراء المعتصم بالله بمائتى دينار انتهى.

قلت ونظير هذا وقع لسلمة بن أسلم بن حريش الأنصارى الحارثى ولعكاشة بن محصن الأسدى كلاهما يوم بدر قال الوافدى حدثنى أسامة بن زيد الليثى عن داود بن الحصين عن رجال من بنى عبد الأشهل عدة قالوا انكسر سيف سلمة بن أسلم بن الحريش يوم بدر فبقى أعزل لا سلاح معه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان فى يده من عراجين ابن طاب وهو نوع من النخل فقال اضرب به فإذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبى عبيد أخرجه البيهقى.

وقال ابن سعد أخبرنا على بن محمد عن أبى معشر عن زيد بن أسلم ويزيد بن رومان وإسحاق بن عبد الله بن أبى فروة وغيرهم أن عكاشة بن محصن انقطع سيفه يوم بدر فأعطاه رسول الله ﷺ جذلا أى عرجونا من شجرة فعاد فى يده سيفا صارما صافى الحديدة شديد المتن.

وقال الواقدى حدثنى عمر بن عثمان الحجبى عن أبيه عن عمته قالت كان عكاشة بن محصن يقول انقطع سيفى يوم بدر فأعطانى رسول الله ﷺ عوداً فإذا هو سيف أبيض طويل فقاتلت به حتى هزم الله المشركين قالت فلم يزل عنده حتى هلك أخرجه البيهقى وابن عساكر.

وفى شرح الإحياء للزبيدى نقل ابن إسحاق أنه قاتل عكاشة بن محصن الأسدى يوم بدر [٩٤] بسيفه حتى انقطع فأعطاه رسول الله ﷺ جذلا من خشب وقال له قاتل به فهزه فعاد فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان يسمى العون ولم يزل يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل وهو عنده انتهى.

دعائه ﷺ بالرحمة لأصحابه

وهذا باب واسع جداً واستفاؤه غير ممكن ومنه ما كان معروفاً بين الصحابة ومفرداً لديهم ما إنه عليه السلام ما استغفر لإنسان قط أو دعا له بالرحمة فى غزاة يخصه بذلك إلا استشهد.

أخرج البخارى، ومسلم من حديث سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع النبى ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر يعنى ابن الأكوع عم سلمة ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلاً شاعرا فنـــزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتفينا وألقين سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السائق فقالوا عامر بن الأكوع فقال يرحمه الله فقال رجل من القوم وجبت يا نبى الله لولا أمتعتنا به الحديث.[1]

وأخرج ابن عبد البر فى "الاستيعاب" من طريق أبى بكر بن أبى شيبة حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن [٩٥] عمار حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع قال أخبرنى أبى قال لما خرج عمى عامر بن سنان إلى خيبر مع رسول الله ﷺ جعل يرتجز بأصحاب رسول الله ﷺ وفيهم النبى ﷺ فجعل يسوق الركاب وهو يقول:

الله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٣٧/٤ رقم ٣٩٦٠) ومسلم (١٤٢٧/٣ رقم ١٨٠٢).

وأنـــــــزلن ســـــــكينة عليـــــــنا

فقال رسول الله ﷺ من هذا قالوا عامر يا رسول الله قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان قط يخصه بالاستغفار إلا استشهد قال فلما سمع ذلك عمر بن الخطاب قال يا رسول الله لو متعتنا بعامر فاستشهد يوم خيبر وقوله أمتعتنا به قال فى إرشاد السارى فى معناه أبقيته لنا لنتمتع به وهو يفيد أنه عليه السلام لو لم يتوجه له بالشهادة وتوجهت همته الشريفة لبقائه لم يستشهد وبقى حيا وهو تنبيه من سيدنا عمر وإخبار منه بأن همته عليه السلام فعالة فى الكون متصرفة فيه وإن إرادته لشيء فيه نافذة وقد سمعه منه المصطفى ﷺ وأقره عليه فتنبه لذلك واتئد به والله يتولى توفيقك وهداك.

معجزات دالة على أن بيده التصرف ﷺ

ومن الآيات والمعجزات الدالة على أن بيده [٩٦] التصرف بالايجاه والإعدام ظاهراً ما أخرجه ابن عساكر وغيره من طريق الواقدى قال حدثنى ابن أبى سبرة عن موسى بن سعد عن العرباض بن سارية قال كنت ألزم باب رسول الله فى الحضر والسفر فنـــزلنا ليلة ونحن بتبوك وذهبنا لحاجة فرجعنا إلى منـــزل رسول الله ﷺ وقد تعشى ومن عنده من أضيافه ورسول الله ﷺ يريد أن يدخل فى قبته ومعه زوجته أم سلمة فلما طلعت عليه قال أين كنت منذ الليلة فأخبرته فطلع جعال بن سراقة وعبد الله بن مغفل المزنى فكنا ثلاثة كلنا جائع إنما نعيش بباب النبى ﷺ فدخل رسول الله ﷺ البيت فطلب شيئا نأكله فلم يجده فخرج إلينا ينادى بلالاً يا بلال هل من عشاء لهؤلاء النفر فقال والذى بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا أى جمع جراب ما يكون فيه التمر؟ أى زقنا الذى نجعل فيه السمن والأدم قال انظر عسى أن تجد شيئا فأخذ الجراب فنفضها جراباً جراباً فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت بين يديه سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع فيها التمر ثم وضع يده على التمرات وسمى الله تعالى وقال كلوا باسم الله فأكلنا فأحصيت أربعة وخمسين تمرة أكلتها أعدها ونواها فى يدى الأخرى

وصاحباى يصنعان ما أصنع وشبعنا وأكل كل واحد منها خمسين تمرة ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هى فقال يا بلال ارفعها فى جرابك فإنه لا يأكل منها أحد إلا نهل شبعا أى عطش واحتاج [٩٧] إلى الشراب من كثرة الأكل فبتنا حول قبة رسول الله ﷺ فكان يتهجد من الليل فقام تلك الليلة يصلى فلما طلع الفجر ركع ركعتى الفجر فأذن بلال وأقام فصلى رسول الله ﷺ بالناس ثم انصرف إلى فناء قبته فجلس وجلسنا حوله فقراء من المؤمنين عشرة فقال هل لكم فى الغداء فقال عرباض فجعلت أقول فى نفسى أى غداء فدعا بلالا بالتمرات فوضع يده عليها فى الصحفة ثم قال كلوا باسم الله فأكلنا والذى بعثه بالحق حتى شبعنا وإنا لعشرة ثم رفعوا أيديهم منها شبعا وإذا التمرات كما هى فقال رسول الله ﷺ لولا أنى أستحيى من ربى لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد المدينة عن آخرنا فطلع غلام من أهل المدينة فأخذ رسول الله ﷺ التمرات بيده فدفعها إليه فولى الغلام يلوكهن.(١) أورده فى "الجامع الكبير" فى مسند العرباض.

النبي ﷺ مفوض إليه في الأحكام الشرعية

ومنها أحاديث كثيرة تدل بظاهرها على أنه مفوض إليه فى الأحكام الشرعية مسلم إليه مؤيد به فيها من نفسه فى حق البعض أو سائر البرية.

أخرج الشافعى وأحمد وأبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم فى "المستدرك" والبيهقى فى "السنن" وفى "دلائل النبوة" وابن حبان فى صحيحه والطبرانى فى "الكبير" وغيرهم عن أبى رافع مرفوعاً لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٨٩/٤٠).

اتبعناه.[1] والمعنى أحذركم من أن أجد أحدكم على [٩٨] هذه الحالة وهى أنه يكون متكئاً على أريكته وسريره المزين بالحلى والثياب فيأتيه الأمر من أمرى والنهى من نهى فيعرض عنه ويقول أنا لا أعلم غير القرآن ما وجدته فيه اتبعته وما لا فلا فإن هذا قول من طبع الله على قلبه فأراد أن يفرق بينه وبين الله ولن يصل إلى ذلك أبدا والإعراض عما شرعته أو سننته إعراض عن كتاب الله فى قوله ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر:٧] وقوله ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾ [آل عمران:٣١] وقوله ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ [النور:٥٤] وقوله ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣] وقوله ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم: ٣، ٤] وقوله ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ** ﴾ [النساء:٨٠] يعنى فى أوامره ونواهيه ﴿ **فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء:٨٠].

وأخرج ابن حبان وغيره من حديث المقدام بن معدى كرب مرفوعاً ألا إنى أوتيت الكتاب وما يعدله فرب شبعان على أريكته يحدث بحديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما كان فيه من حلال استحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرمه رسول الله مثل ما حرم الله.[2]

وقد أخرجه أبو داود من طريق حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبى عوف عن المقدام عن رسول الله ﷺ ولفظه ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه يوشك رجل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٩٠/١) وقال قد أقام سفيان بن عيينة هذا الإسناد وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه والذي عندي أنهما تركاه لاختلاف المصريين في هذا الإسناد، وأبو داود (٢٠٠/٤)، وابن ماجه (٦/١)، والبيهقي في الكبرى (٧٦/٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٨٨/١)، والبيهقي في الكبرى (٣٣٢/٩)، والدارقطني في سننه (٢٨٧/٤)، والطبراني في الكبير (٢٨٣/٢٠).

شبعان على أريكته عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله الحديث.[١]

رواه الترمذى من طريق معاوية بن صالح عن الحسن بن جابر اللخمى [٩٩] عن المقدام ولفظه ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله قال الترمذى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.[٢]

وابن ماجه من طريقه أيضاً ولفظه عن المقدام بن معدى كرب أن رسول الله ﷺ قال يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله.

وأخرجه البيهقى فى المدخل من حديث المقدام أيضاً ولفظه ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله ألا إنى أوتيت القرآن ومثله ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الحديث.

وأخرج أيضاً بسند صحيح عن الحسن بن جابر أنه سمع المقدام بن معد يكرب الكندى صاحب رسول الله ﷺ يقول: حرم النبى ﷺ أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهلى وغيره فقال رسول الله ﷺ يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث

(١) أخرجه أبو داود (٤/٢٠٠).

(٢)أخرجه الترمذي (٥/٣٨) وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله عز [١٠٠] وجل.(١)

والمقصود منه كما قاله الخطابي وغيره التحذير من مخالفة السنن التي سنها رسول الله ﷺ مما ليس في القرآن ذكر رداً على ما ذهب إليه الروافض والخوارج فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا الأحاديث التي تضمنت بيان ما في الكتاب فتحيروا وضلوا وأضلوا وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب وأنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجة بنفسه ودليلاً مستقلاً وإن لم يوجد في الكتاب ما يشهد له بخصوصه إلا أن يعرض عليه لغرض الفهم أو الجمع أو نحو ذلك فهذا لازم دون عرضه لغرض رده إذا لم يوجد فيه ما يشهد له فهو غير جائز.

قال الخطابي وحديث إذا جاءكم حديث فاعرضوه على القرآن كتاب الله فإن وافقه فخذوه حديث باطل لا أصل له وروى عن يحيى بن معين أنه قال هذا حديث وضعته الزنادقة انتهى.

قلت لكن في معناه أحاديث كحديث الطبراني في "الكبير" عن ثوبان مرفوعاً اعرضوا حديثي على كتاب الله فإن وافقه فهو مني وأنا قلته قال في الجمع وضعف وحديث البيهقي في المدخل عن أبي جعفر مرفوعاً إن الحديث سيفشو عني فما أتاكم عني يوافق القرآن فهو عني وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني وحديث علي رفعه إنها تكون بعدي رواة يروون عني الحديث فاعرضوا حديثهم على القرآن فما وافق القرآن فحدثوا به وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به وهي كما قاله غير واحد محمولة على [١٠١] حديث لم يكن ثابتا بطريق حسن أو صحيح فإذا وجد ما يؤيد معناه الخاص من كتاب الله أخذ به في الأحكام الشرعية وغيرها وفي الحقيقة العمل بكتاب الله لا به وإن لم يوجد ما يؤيد معناه الخاص لم يؤخذ به في الأحكام وأخذ به في

(١) أخرجه البيهقي (٧٦/٧).

الفضائل بشروط منها أن يكون مندرجا تحت أصل عام وأن يكون غير شديد الضعف وأن لا يعتقد عند العمل به ثبوت ذلك الفعل وسنيته.

وفى "المرقاة" لعلى القارى على قوله فى رواية أبى داود ومثله معه ما نصه: يحتمل تأويلين أحدهما: أنه أوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر.

والثانى: أنه أوتى الكتاب وحياً وأوتى من التأويل مثله قال أى أذن له أن يبين فى الكتاب فيعمم ويخصص ويزيد وينقص فيكون ذلك فى وجوب العمل ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن يعنى أوتيت القرآن وأحكاما ومواعظ وأمثالا تماثل القرآن فى كونها واجبة القبول أو فى المقدار انتهى منه بلفظه.

وأخرج أبو نصر السجزى فى "الإبانة" عن جابر مرفوعاً يوشك بأحدكم أن يقول هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحللناه وما كان فيه من حرام حرمناه ألا من بلغه حديث فكذبه فقد كذب الله ورسوله والذى حدث.

وأخرج أبو داود فى سننه فى كتاب الخراج والإمارة والفيء واللفظ له، والبيهقى فى سننه من حديث العرباض بن سارية مرفوعاً أيحسب أحدكم متكئا على أريكته قد يظن أن الله تعالى لم يحرم شيئا إلا ما فى هذا القرآن ألا وإنى والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء أنها لمثل هذا القرآن [١٠٢] أو أكثر وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذى عليهم.[١] وفيه أشعث بن شعيب المصيصى تكلم فيه واقتصر فى التقريب على أنه مقبول ومراده فى قوله أنها لمثل هذا القرآن أو أكثر على ما يتبادر منه أن الأشياء التى تعلق بها أمره عليه السلام ونهيه ووعده ووعيده ووعظه ونحو ذلك وليست فى القرآن بحسب الظاهر ونظر العالم مثل ما فى القرآن العزيز كما وعددا بل هى أكثر مما فى القرآن لأن أكثر الأحكام الشرعية وغالبها ثابت بالسنة لا به وإن

(١) أخرجه أبو داود (٣/١٧٠)، والبيهقي في الكبرى (٩/٢٠٤).

العمل بها لازم مطلقاً كلزوم العمل بما فى القرآن لأن الله تعالى فرض على الأمة بل على العالم كله طاعته والتأسى به فرضا مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء كما ذكره السيوطى وغيره من أرباب الخصائص فكان العمل بما يقوله لازم للأمة من غير استفسار ولا سؤال ولا توقف ولا عرض على كتاب أو غيره على أن السنة لا تخلو أيضاً من نوع من أنواع الوحى ولو ما يلقيه الله فى قلبه وعلى لسانه من غير اجتهاد ولا نظر ولا استعمال دالة عقل ولا فكر دل على ذلك قوله تعالى ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ** ﴾ [النجم: ٣،٤] أى ما نطقه ﴿ **وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم:٤] وقوله ﴿ **إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ [الأنعام:٥٠] وقوله ﴿ **وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾ [النساء:١١٣] وهما القرآن والسنة فى قول بعض أهل التحقيق وقولهم الوحى وحيان وحى متلو وهو القرآن ووحى غير متلو وهو السنة بأجمعها.

وقد روى الأوزاعى عن حسان بن عطية المحاربى قال كان جبريل ينـــزل على رسول الله ﷺ [١٠٣] بالسنة أى فى كثير من الأحوال كما ينـــزل عليه بالقرآن يعلمه إياها. أخرجه الدارمى بإسناد صحيح عنه وهو مرسل لأن حسان بن عطية من صغار التابعين.

وأخرج أحمد، والطبرانى فى "الكبير" عن أبى أمامة مرفوعاً ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى.[١] زاد فى رواية ليس بنبى مثل الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول الله وما ربيعة من مضر فقال إنما أقول ما أقول قال فى التيسير أى ما لقنته وعملته أو ألقى على لسانى من الإلهام أو هو وحى حقيقة قال وإسناده كما قال المنذرى جيد انتهى.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٥٧)، والهيثمي في زوائده (١٠/٣٨١) وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي غالب وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف.

وأخرج أحمد أيضاً وأبو داود بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعاً ما أوتيتم من شيء ولا أمنعكموه إن أنا إلا خازن أضع حيث أمرت.[١]

وأخرج الطبراني فى "الكبير" وابن شاهين عن معاذ بن جبل مرفوعاً إنى فيما لم يوح إلى كأحدكم.[٢]

وأخرج الطبراني فى "الكبير" عن عائشة مرفوعاً لا تمسكوا على شيئا فإنى لا أحل إلا ما أحل الله فى كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله فى كتابه.[٣] يعنى بالكتاب اللوح المحفوظ كما فى قوله ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨] قلت وهذا يدل على أنه عليه السلام كان ينظر اللوح ويتلقى منه بعض الأحكام الشرعية كما كان يتلقاها أحيانا من القلم ومن جبريل أو غيره من ملائكة الوحى أو الإلهام ومن الله عز وجل بلا واسطة وهذا بالنظر إلى ذاته البشرية وأما حقيقته فلا واسطة بينها وبين الله أصلاً بل عنها يحصل التلقى لجميع العالم والله أعلم.

وأخرج ابن سعد فى "طبقاته" عنها أيضاً مرفوعاً أيها الناس لا تعلقوا على بواحدة أى تأخذوا على فى مسألة واحدة مما [١٠٤] أقوله أو أفعله ولا تنسبونى إلى هوى وغرض دنيوى ما أحللت إلا ما أحل الله وما حرمت إلا ما حرم الله.[٤]

وأخرج البخارى عن أبي هريرة مرفوعاً ما أعطيكم ولا أمنعكم إنما أنا قاسم أقسم حيث أمرت.[٥]

---

(١) أخرجه أحمد (٣١٤/٢)، وأبو داود (١٣٥/٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦٧/٢٠).

(٣) أخرجه الهيثمي في زوائده (١٧١/١) وقال رواه الطبراني في الأوسط، ولم يروه عن يحيى بن سعيد إلا علي بن عاصم تفرد به صالح بن الحسن بن محمد الزعفراني قلت ولم أر من ترجمهما.

(٤) ذكره ابن سعد في طبقاته (٢٥٦/٢).

(٥) أخرجه البخاري (١١٣٤/٣ رقم ٢٩٤٩).

وأخرج الطبراني في "الكبير" عن ابن عباس مرفوعاً ما أنا أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته يعني علياً ولكن الله أخرجكم وتركه إنما أنا عبد مأمور ما أمرت به فعلت إن أتبع إلا ما يوحى إلي.(١)

وأخرج الترمذي وقال حسن غريب والطبراني في "الكبير" عن جابر بن عبد الله قال دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف فانتجاه فقال الناس لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه.(٢)

وأخرج الطبراني في "الكبير" والبغوي عن عبيد بن نضلة قال أصاب الناس سنة فقالوا يا رسول الله سعر لنا قال فقال لا يعني لا أفعل يسألني الله عز وجل عن سنة أحدثتها عليكم لم يأمرني بها ولكن سلوا الله من فضله فهذه الأحاديث أفادت كلها أنه لا يفعل شيئا ولا يقوله إلا عن أمر رباني أو نفث روعي باطني أو إلقاء على لسانه مما لا يتصور فيه مخالفة لأمر ربه تعالى أصلاً كيف وإرادته الحقيقية موافقة لإرادة ربه تعالى لا تخالفها بوجه، وسمعه وبصره ونطقه وجميع قواه كلها مستمدة من أوصافه سبحانه وناظرة إليها لا تخرج عنها فافهم.

وفي كتاب "كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض" لسيدنا عبد الغني [١٠٥] النابلسي ﷺ في أوله قال وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وكان يوحى إليه عليه السلام بالقرآن وبالسنة أيضاً كما ذكرناه في كتابنا الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية انتهى.

وفيه أيضاً بعده بقليل ما نصه: وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكان يوحى إليهم بالسنة كما يوحى إليهم بالكتاب قال تعالى ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم:٣، ٤]انتهى.

---

(١) أخرجه الطبراني (١٤٧/١٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٩٣٦/٥).

وفى المرقاة لعلى القارى على قوله فى الحديث أنها لمثل هذا القرآن ما نصه: فى المقدار أو أكثر بل أكثر قال المظهرى أو فى قوله أو أكثر ليست للشك بل إنه عليه الصلاة والسلام لا يزال يزداد علما طورا بعد طور وإلهاما من قبل الله ومكاشفة لحظة بلحظة فكوشف له ما أوتى من الأحكام غير القرآن مثله ثم كوشف له بالزيادة متصلا به ذكره الأبهرى وفيه تأمل انتهى منه بلفظه.

وكان وجه التأمل ما أشار إليه بعضهم من أنه يلزم عليه خطأ الكشف الأول الحاكم بالمماثلة وذلك غير مناسب لمقامه العالى فإنه وإن كان قد يختل كشف بعض الأولياء الكبار لكن كشفه عليه السلام لا يختل أصلاً بل هو مصيب قطعا والصواب أن يقال إن الحكم بالمماثلة أولاً منظور فيه لنظر الناظر العالم الغير المستقرئ والزيادة منظور فيها للاستقراء وما هو الواقع نظير ما قيل فى قوله تعالى ﴿ وأرسلناه إلى وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات:١٤٧] وقوله ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [النجم:٩]

وقد يقال فى الجواب عن المظهرى أن [١٠٦] مراده أنه كوشف له أولاً عن القدر المحصل للمماثلة خاصة فأخبر به ثم بعده متصلا به بالزيادة فأخبر بها وهذا لا خلف فيه ولا خطأ ولذلك سر وربك أعلم ثم التحقيق فى الأحاديث الزائدة على القرآن أن زيادتها إنما هى بحسب الظاهر ونظر الأمة وأما بحسب الحقيقة فهى مفسرات لخفاء القرآن الذى معرفته مختصة بمن هو مؤيد بالوحى الإلهى وقد يحصل بعضها لمن هو وارث له وأما الغير وإن ولياً صاحب كشف أو عالما صاحب اجتهاد فلا يصل إلى ذلك ولا يحوم حوله.

جميع علم النبى ﷺ من القرآن

وفى شرح الطريقة المحمدية للنابلسى ما نصه: وجميع علم النبى ﷺ من القرآن لكنه من وجه الوحى والنبوة فلهذا لا يمكن أن يصل إليه غير نبى وفتح الأولياء وإن كان فى القرآن أيضاً كذلك ولكنه من وجه آخر غير وجه الوحى والنبوة وكذلك علم

المجتهدين ولكنهم زادوا بالأخذ من بيان النبى ﷺ الذى هو السنة وبيان غيره من المؤمنين الذى هو الإجماع والتأمل بالمقايسة فى الكتاب والسنة والإجماع الذى هو القياس والكل يجتمعون فى أصل واحد هو مأخذهم وهو القرآن أخذ منه النبى ﷺ سنته والولى فتحه والمجتهد علمه انتهى.

ويحتمل أن يكون أراد بالمماثلة المماثلة فى الكيف أى الدلالة والوضوح ويعنى أن السنة مثل القرآن فى دلالة وضوحه بل يقال إنها أكثر وضوحا منه وأكمل بيانا لقوله ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُــزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤] [١٠٧] فالخفاء فى دلالة القرآن أكثر والوضوح فى دلالة السنة أشهر.

ويحتمل أن يريد أنها مثله فى القوة أى وجوب القبول والعمل لكن يشكل مع قوله أو أكثر لاقتضائه قوة ما فى السنة على ما فى القرآن إلا أن يقال لما كانت النفوس قد تميل إلى العمل بما فى القرآن لقطعها بأنه من عند الله وتتكاسل عن العمل بما جاء عن الرسول لتجويزها أنه من عنده أو اعتقادها أنه أحط مرتبة مما فى القرآن أخبر الشرع بأن إيجاب العمل بما يأتى عنه أكثر دفعا لهذه المفسدة لأن من ترك العمل بما فى القرآن لمجرد شهوة غلبت عليه أو نحوها لتهاونه حينئذ بالسنة ورده لها وللقرآن فى قوله ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر:٧] الآية وفهم الشيخ الأكبر من هذا الحديث أن السنة مثل القرآن أو أكثر منه فى العلو ورفع الدرجة فى التلقى وذلك أن القرآن أخذه ظاهراً بواسطة جبريل عليه السلام بدليل قوله ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣،١٩٤]والسنة منها ما أخذه عن الله بلا واسطة جبريل ولا غيره فكانت من حيث الجملة من هذه الحيثية أعلى وأرفع لمنــزلة السند العالى هذا توضيح كلامه ونصه فى الفتوحات فى الباب الثامن والتسعين وثلاثمائة بعد إيراده للحديث بلفظ لا أرى أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الحديث عنى فيقول اتل به على قرآنا والله إنه لمثل هذا القرآن أو أكثر قال فقوله أكثر فى رفع المنــزلة فإن

القرآن بينه وبين الله فيه الروح الأمين والحديث من الله إليه ومعلوم أن القرب فى الإسناد أعظم رتبة من البعد فيه ولو بشخص [١٠٨] واحد ينقص من الطريق.

وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال ابتاع النبى ﷺ قبل النبوة من أعرابى أو غيره فقال له النبى ﷺ بعد البيع اختر فنظر إليه الأعرابى فقال عمرك الله من أنت فلما كان الإسلام جعل النبى ﷺ الخيار بعد البيع.(١)

وأخرج البزار بسند صحيح مرفوعاً أن الله فرض فرائض وفرضت فرائض ذكره الشعرانى فى أوائل مننه الكبرى.

وأخرج أحمد فى مسنده، والنسائى واللفظ له، والبيهقى فى "الشعب" بسند حسن عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً إن الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.(٢) ولفظ أحمد إن رمضان شهر افترض الله عز وجل صيامه وإنى سننت للمسلمين قيامه فمن صامه إيمانا واحتسابا خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه.

وفى لفظ آخر له إن الله عز وجل فرض صيام رمضان وسننت قيامه فمن صامه وقامه احتسابا خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه فتأمل قوله فى الروايات السابقة وإن ما حرم رسول الله يعنى نفسه حيث أسند التحريم إلى نفسه وقوله ها هنا وإنى سننت لكم أو للمسلمين قيامه حيث أسند التسنين أيضاً إليه ومثله أحاديث كحديث من رغب عن سنتى فليس منى وقال الراوى فى الحديث الآخر فلما كان الإسلام جعل النبى الخيار بعد البيع فإن ذلك كله يدل بحسب ظاهره على أن بيده التحريم والتحليل والتسنين والتشريع [١٥٩] فيفعل ذلك أو شيئا منه إذا شاء ويلزم الأمة قبوله والعمل به ومثل هذا يقول فيه علماؤنا رضوان الله عليهم إنما أسند فيه الحكم إلى نفسه

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٥/٣٧٠).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى (٤/١٨٥)، .

لظهوره من قبله وعلى لسانه وإلا فالمشرع هو الله وهذا نقول به وإن المشرع حقيقة وأصالة هو الله وحده لا شريك له ولكن لا مانع من جعله التشريع فى شيء خاص أو عام بيد من شاء من خلقه من نبى أو صفى ولهذا يقول علماء الباطن فى مثل هذه الأحاديث إنما جاءت كذلك لأن له أن يشرع ما شاء من الأحكام بإذن الله تعالى له فى ذلك إذنا خاصاً أو عاماً فيكون ذلك شرحاً له تعالى ويؤيدهم ما سنذكره بعد كحديث لو قلت نعم لوجبت وحديث لولا أن أشق على أمتى لأمرهم بالسواك عند كل صلاة أو كل وضوء.[1]

وحديث لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها.[2] إلى غير ذلك بل نقول من خصائص هذه الأمة الشريفة أن الله تعالى أذن لها فى أن تسن من الخير ما تشهد له قواعد الشريعة وأصولها وإن لم يصرح بها كتاب ولا سنة ولذا قال عليه السلام من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة وقال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وقال اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر وقال أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله إلى آخر ما نقله عياض فى الشفاء عنه وأخرجه اللالكائى فى "السنة" وأخرج ابن عساكر فى "تاريخه" عنه أيضاً قال فى خطبته ألا إن ما سنه رسول الله ﷺ وصاحباه فهو دين نأخذ به وننتهى إليه وما سن سواهما فإنا نرجئه أى نؤخره حتى ننظر فيه ومن هنا أحدث العلماء أقضية جديدة بحسب ما تقتضيه الأمكنة والأزمنة والأحوال تشهد لها الأصول ولا تخرج عن دائرة المعقول والمنقول.

وفى "اليواقيت" للشعرانى فإن قلت فهل يلحق بالسنة الصحيحة فى وجوب الإذعان لها ما ابتدعه المسلمون من البدع الحسنة؟

---

(١) أخرجه البخاري (١/٣٠٣ رقم ٨٤٧)، ومسلم (١/٢٢٠ رقم ٢٥٢).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢/٤٧٢)، وأبو داود (٣/١٠٨)، وابن ماجة (٢/١٠٦٩).

فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين ومائتين أنه يندب الإذعان لها ولا يجب كما أشار إليه قوله تعالى ﴿ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد:٢٧] وكما أشار إليه قوله ﷺ من سن سنة حسنة فقد أجاز لنا ابتداع كل ما كان حسنا وجعل فيه الأجر لمن ابتدعه ولمن عمل به ما لم يشق ذلك على الناس وأخبر أن العابد لله تعالى بما يعطيه نظره إذا لم يكن على شرع من الله معين يحشر أمة وحده يعنى بغير إمام يتبعه فجعله خيراً وألحقه بالأخيار كما قال فى حكيم بن حزام أسلمت على ما أسلفت من خير وكان سأله عن أمور تبرر بها فى الجاهلية من عتق وصلة رحم وكرم وأمثال ذلك وقال أيضاً فى حق إبراهيم عليه السلام ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ ﴾ [النحل :١٢٠] وذلك قبل أن يوحى إليه وفى [١١١] الحديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فمن كان على مكارم الأخلاق فهو على شرع من ربه وإن لم يعلم هو ذلك والله أعلم انتهى منها بلفظها.

وقد قال الشعرانى إن ما ذكروه أيضاً فى حظ هذه الأمة من أن الله تعالى جعل لها خصائص من التشريع بالاجتهاد الذى شرعه لمن توفرت فيه شروطه وأوجب على صاحبه العمل بما أداه إليه اجتهاده وإن خالف غيره ورفع الإثم عمن قلد هذا المجتهد فيما ذهب إليه فاعرف قدر نبيك وأمته واجهد أن تكون من تابع سننه.

وفى "اليواقيت" و"الكبريت الأحمر" للعارف بالله الشعرانى ما نصه: وقال يعنى الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة من شرف هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم أن الله أنـــزلها منـــزلة خلفاء رسول الله ﷺ فى العالم قبل ظهوره فإنه تعالى أعطى خلفاءه من الأنبياء التشريع وأعطى هذه الأمة الاجتهاد فى نصب الأحكام وأمرهم أن يحكموا بما أدى إليه اجتهادهم وذلك تشريع فلحقوا بمقامات الأنبياء عليهم السلام فى ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم فإن المتأخر يرى المتقدم بالضرورة وأطال فى ذلك انتهى منه بلفظه.

وفى "الفتوحات" قبيل الباب السبعين ما نصه: ثم إنه أى الحق تعالى خص هذه الأمة أعنى علماءها بأن شرع لهم الاجتهاد فى الأحكام وقرر حكم ما أداه إليه اجتهادهم وتعبدهم به وتعبد من قلدهم [١١٢] به كما كان حكم التشريع للأنبياء ومقلديهم ولم يكن مثل هذا لأمة نبى ما لم يكن نبى بوحى منــزل فجعل الله وحى علماء هذه الأمة فى اجتهادهم كما قال لنبيه ﷺ ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء:١٠٥] والمجتهد ما حكم إلا بما أراه الله فى اجتهاده فهذه نفحة من نفحات التشريع ما هى عين التشريع انتهى المراد منه بلفظه.

وفى جامع ابن المشرى نقلاً عن شيخه أبى العباس التجانى ﷺ قال كل واحد من أكابر المجتهدين مسلوك به حيث لا يدرى شريعة رسول من الرسل كلما حام باجتهاده والآلات الواقعة عنده فى طلب الحق لم يقع إلا على الأحكام المقررة فى شريعة ذلك الرسول لتكون شريعة نبينا ﷺ تشتمل على جميع الشرائع ومن هنا لا يحل إنكار المجتهد على المجتهد والسلام انتهى بلفظه والله أعلم.

وأخرج أحمد، ومسلم واللفظ لهما، والنسائى، وابن حبان فى "صحيحه" عن أبى هريرة قال خطبنا وعند أحمد وقال مرة خطب رسول الله ﷺ فقال أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج ولفظ أحمد إن الله عز وجل قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذرونى ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه.[1]

وأخرج [١١٣] عبد بن حميد، وأحمد، وأبو داود، والنسائى، واللفظ له وابن ماجه، والحاكم فى المستدرك وصححه على شرطهما والبيهقى، والدارقطنى، فى

(١) أخرجه مسلم (٢/٩٧٥ رقم ١٣٣٧)، وأحمد (٢/٥٠٨).

سننيهما، والدارمى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قام يعنى خطيباً فقال إن الله تعالى كتب عليكم الحج فقال الأقرع بن حابس التميمى كل عام يا رسول الله فسكت فقال لو قلت نعم لوجبت ثم إذا لا تسمعون ولا تطيعون ولكنه حجة واحدة.[1]

ولفظ أحمد عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال يا أيها الناس كتب عليكم الحج قال فقام الأقرع بن حابس فقال أفى كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها أو لم تستطيعوا أن تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فهو تطوع.

وفى لفظ آخر له عن ابن عباس أن رجلاً قال يا رسول الله الحج كل عام فقال حجة على كل إنسان ولو قلت نعم كل عام لكان كل عام وفى لفظ آخر له أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً على كل مسلم حجة ولو قلت كل عام لكان.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عنه أيضاً قال لما نـزلت ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران:٩٧] قال رجل يا رسول الله أفى كل عام فقال حج حجة الإسلام التى عليك ولو قلت نعم وجبت عليكم.

وأخرج ابن ماجه من طريق محمد بن عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن أبى سفيان عن أنس بن مالك قال قالوا يا رسول الله الحج فى كل عام قال لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لم تقوموا بها ولو لم تقوموا بها [١١٤] عذبتم.

قال الهيثمى فى الزوائد هذا إسناد صحيح لأن محمد بن عبيدة ثقة وأبوه مثله.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٤٣/١) وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، والبيهقي في الكبرى (٣٢٦/٤)، والدارقطني (٢٧٩/٢)، والنسائي في المجتبى (١١١/٥)، وأحمد (٢٥٥/١).

وقال الحافظ فى تخريج أحاديث الرافعى رجاله ثقات وفى تخريج أحاديث الهداية رجاله موثقون.

وأخرج أحمد، والترمذى وقال غريب وفى بعض نسخه حسن غريب لكنه نوزع فى تحسينه بأن فيه عبد الأعلى بن عامر الثعلبى الكوفى وهو ضعيف وفى التقريب أنه صدوق يهم عن أبي البحترى ولم يسمع من على قاله البزار وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم فى "المستدرك" والبزار فى مسنده وأبو يعلى والعقيلى وابن منده والدارقطنى والخطيب عن على قال لما نـــزلت ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ [آل عمران:٩٧] قالوا يا رسول الله أفى كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله أفى كل عام فسكت ثم قالوا أفى كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت وأنـــزل الله ﴿ **لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ [المائدة: ١٠١] إلى آخر الآية. قال الترمذى وفى الباب عن ابن عباس وأبي هريرة انتهى.(١)

وقال الحافظ ابن حجر لم يتكلم الحاكم عليه وفى إسناده ضعف وانقطاع نقله فى الجمع.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه والطبرانى فى "الكبير" عن أبى أمامة مرفوعاً إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فقال رجل أفى كل عام قال ويحك ما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لتركتم ولو تركتم لكفرتم إلا أنه إنما أهلك من كان قبلكم أئمة الحرج والله لو أنى أحللت لكم جميع ما فى الأرض وحرمت عليكم مثل خف بعير [١١٥] لوقعتم فيه.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٣٢٢/٢)، وابن حبان في صحيحه (١٨/٩)، وابن ماجه في سننه (٩٦٣/٢)، والترمذي (١٧٨/٣) وقال وفي الباب عن ابن عباس وأبي هريرة قال أبو عيسى حديث علي حديث حسن غريب واسم أبي البختري سعيد بن أبي عمران وهو سعيد بن فيروز.

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال لما نـزلت ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران:٩٧] قال رجل يا رسول الله أفى كل عام قال والذى نفسى بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما قمتم بها ولو تركتموها لكفرتم فذرونى ما ذرتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم أنبياءهم واختلافهم عليهم فإذا أمرتكم بأمر فائتمروه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه فانظر قوله فى هذه الأحاديث لو قلت نعم لوجبت وأقسم فى بعض الروايات على ذلك فإنه كما قاله جمع أئمة صريح فى أن قوله المجرد من غير وحى يحلل ويحرم ويوجب وما ذاك إلا لأنه كان مأذونا له فى ذلك مفوضا إليه فيه وهو يؤيد ما سبق عن الشيخ الأكبر قريبا من أن الله تعالى أعطى خلفاءه من الأنبياء التشريع.

وفى "اللطائف" للقاشانى فى ترجمة عبد البديع بعد ما ذكر أنه من أشهده الله نفى مماثلته لشىء فى ذاته وصفاته وأفعاله ما نصه: وصاحب هذا التجلى يعصمه الله فى أقوله وأفعاله قال تعالى ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم:٢] الآية ولهذا قال لو قلت نعم لوجبت وذلك حيث قال ﷺ أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فقال ﷺ لو قلت نعم لوجبت وما ذاك إلا لكونه يقول بالله لا بنفسه انتهى منه بلفظه.

وقد أخبر عليه السلام عن نفسه الكريمة أنه ترك إيجاب أشياء على أمته [١١٦] مخافة أن يشق عليهم وأن يضعفوا عنها فمن ذلك السواك عند كل صلاة.

أخرج مالك فى الموطأ والشافعى وأحمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة وابن أبى شيبة وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى وأبو نعيم عن ابن عمر والطبرانى فى الكبير عن ابن عمر وأحمد وأبو نعيم عن أم حبيبة وأبو نعيم عن سهل بن سعد وأبو نعيم عن جابر ومسدد وابن أبى شيبة والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم عن عبد الله بن الزبير وابن منده وابن عساكر عن عبد

الله بن حنظلة رفعوه لولا أن أشق على أمتى لأمرهم بالسواك عند كل صلاة يعنى أمر إيجاب لأن أمره الندبي بذلك حاصل وهو حديث متواتر.[(١)]

وأخرج أحمد، والترمذى وقال حسن صحيح، والضياء المقدسى، وأبو يعلى، والطبرانى فى "الكبير" وحميد بن زنجويه ومن طريقه السهروردى فى العوارف عن زيد بن خالد وأحمد وابن جرير والخطيب وعثمان بن سعيد الدارمى فى الرد على الجهمية والدارقطنى فى أحاديث النـــزول عن على وأحمد وابن جرير عن أبى هريرة رفعوه لولا أن أشق على أمتى لأمرهم بالسواك عند كل صلاة ولأخرت العشاء إلى ثلث الليل زاد فى رواية الأول.

وأخرج الشافعى، ومسلم، وأبو داود، والنسائى، والبيهقى فى "السنن" عن أبى هريرة رفعه لولا أن أشق على المسلمين لأمرهم بتأخير العشاء وبالسواك عند كل صلاة.

وأخرج سمويه وأبو نعيم عن أنس مرفوعاً ما لكم تدخلون على قلحا لولا أن أشق على أمتى لأمرهم بالسواك عند كل صلاة الحديث.

وأخرج [١١٧] البزار عنه أيضاً مرفوعاً لولا أن تضعفوا لأمرتكم بالسواك عند كل صلاة.

وأخرج الطبرانى فى "الكبير" عن ابن عباس مرفوعاً لولا أن أشق على أمتى لجعلت عليهم السواك عند كل صلاة.[(٢)]

وأخرج ابن جرير عن أم حبيبة، وأحمد عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش رفعتاه لولا أن أشق على أمتى لأمرهم بالسواك عند كل صلاة كما يتوضؤن.

---

(١) أخرجه البخاري (١/٣٠٣ رقم ٨٤٧)، ومسلم (١/٢٢٠ رقم ٢٥٢).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/٨٥).

وأخرج الحاكم فى "المستدرك" بسند فيه مجهول عن العباس بن عبد المطلب وأبو نعيم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أصحاب محمد ﷺ رفعوه لولا أن أشق على أمتى لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء.(١)

وأخرج الطبرانى فى "الكبير" وأبو نعيم عن تمام بن العباس مرفوعاً ما لكم تدخلون على قلحا تسوكوا فلولا أن أشق على أمتى لأمرتهم أن يتسوكوا عند كل صلاة.(٢)

وأخرج أحمد، والبغوى، وابن قانع والضياء المقدسى عن جعفر بن تمام بن العباس عن أبيه والبغوى والبزار وسمويه والحاكم فى المستدرك عن جعفر بن تمام بن العباس عن أبيه عن جده العباس بن عبد المطلب وأحمد والباوردى عن قثم بن تمام أو تمام بن قثم عن أبيه والبغوى عن جعفر بن العباس عن أبيه قال وهو الصواب زعموا أتوا النبى ﷺ أو أتى فقال مالى أراكم تأتونى قلحا استاكوا فلولا أن أشق على أمتى لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء.(٣)

ومنه أيضاً السواك مع الوضوء.

أخرج مالك والشافعى وابن أبى شيبة وابن جرير والبيهقى فى السنن عن [١١٨] أبى هريرة والطبرانى فى الأوسط عن على مرفوعاً لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء قال فى التيسير وإسناده حسن قلت وهو متواتر.(٤)

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (١/٢٤٥)، والهيثمي في زوائده (١/٢٢١) وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبن إسحق وهو ثقة مدلس وقد صرح بالتحديث وإسناده حسن.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/٦٤).

(٣) أخرجه أحمد (١/٢١٤).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/٧٣) وقال هذا الخبر في الموطأ عن أبي هريرة لولا أن يشق على أمته لأمرهم بالسواك عند كل وضوء ورواه الشافعي، والطبراني في الأوسط (١/٣٦٣).

وأخرج ابن جرير عن زيد بن خالد الجهني مرفوعاً لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك عند كل وضوء.

وأخرج الطبراني في "الكبير" عن تمام بن العباس مرفوعاً ما لكم تدخلون على قلحا استاكوا فلولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك عند كل طهور.(١)

وأخرج أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك مع الوضوء ولأخرت العشاء إلى ثلث الليل أو شطر الليل.(٢)

وأخرج الحاكم في "المستدرك" والبيهقي في السنن بسند صحيح وقول ابن الصلاح والنووي حديث منكر تعقبوه عن أبي هريرة أيضاً مرفوعاً لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك مع الوضوء ولأخرت صلاة العشاء الآخرة إلى نصف الليل.

وعنه أيضاً الطيب عند كل صلاة.

أخرج أبو نعيم في كتاب السواك بسند فيه ابن لهيعة عن عبد الله بن عمرو بن العاصي وسعيد بن منصور في سننه وابن أبي شيبة في المصنف عن مكحول مرسلاً لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك والطيب عند كل صلاة.

ومنه أيضاً تأخير العشاء إلى ثلث الليل الأول أو نصفه.

أخرج أحمد والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً لولا أن أشق على أمتي لأمرهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل أو نصفه يعني [١١٩] لحكمت بوجوب ذلك عليهم.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦٤/٢)، والهيثمي في زوائده (٢٢١/١) وقال رواه أحمد والطبراني في الكبير واللفظ له وفيه أبو علي الصيقل وهو مجهول.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٩٩/٤).

وأخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدرى مرفوعاً إن الناس قد صلوا وناموا وأنتم لا تـزالون فى صلاة ما انتظرتم الصلاة ولولا ضعف الضعيف وسقم السقيم لأمرت بهذه الصلاة أن تؤخر إلى شطر الليل.(١)

وأخرج عبد الرزاق، وأحمد، والبخارى، والنسائى عن ابن عباس ومسلم عن ابن عمر وعن عائشة رفعوه لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم أن يصلوها هكذا يعنى العشاء نصف الليل.(٢)

ومنه أيضاً صلاة جوف الليل الآخر.

أخرج محمد بن نصر فى كتاب الصلاة وآدم فى الثواب عن حسان بن عطية مرسلاً والديلمى عن ابن عمر مرفوعاً ركعتان يركعهما ابن آدم فى جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتها عليهم.

ومنه أيضاً السواك بالأسحار.

أخرج أبو نعيم فى كتاب السواك بسند فيه ابن لهيعة عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم أن يستاكوا بالأسحار يعنى لأوجبت عليهم الاستياك عند القيام للتهجد فى وقت السحر

ومنه أيضاً السواك عند الحاجة إليه.

أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن بعض أصحاب النبى ﷺ رفعه لولا أن أشق على أمتى لفرضت على أمتى السواك كما فرضت عليهم الطهور.

---

(١) أخرجه أبو داود (١/١١٤)، والنسائي في المجتبى (١/٢٦٨)، والطبراني في الكبير (١٢/١٥٨).
(٢) أخرجه البخاري (١/٢٠٨ رقم ٥٤٥).

وأخرج الطبرانى فى "الكبير" وأبو نعيم عن جعفر بن تميم بن العباس أو ابن تمام بن العباس عن أبيه مرفوعاً [١٢٠] ما لكم تأتونى قلحا استاكوا فلولا أن أشق على أمتى لفرضت عليهم السواك كما فرضت عليهم الصلاة.(١)

وأخرج ابن منيع عن أبى أمامة مرفوعاً لولا أن أشق على أمتى لجعلت السواك عليهم عزمة.

وأخرج الطبرانى فى الكبير وابن عساكر فى تاريخه عنه أيضاً مرفوعاً تسوكوا فإن السواك مطيبة للفم مرضاة للرب الحديث وفيه ولولا أنى أخاف أن أشق على أمتى لفرضته عليهم وإنى لأستاك حتى إنى لقد خشيت أن أحفى مقاديم فمى.(٢)

وأخرج ابن جرير عن أبى سعيد مرفوعاً لولا أن أثقل على أمتى لفرضت عليهم السواك.

ومنه أيضاً الوضوء عند كل صلاة.

أخرج أحمد والنسائى والحاكم فى "المستدرك" بسند صحيح عن أبى هريرة مرفوعاً لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك.(٣)

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦٤/٢).

(٢) أخرجه الطبراني (٢٠٩/٨)، وابن عساكر (٢٨٠/١٥).

(٣) أخرجه الهيثمي في زوائده (٢٢١/١) وقال رواه أحمد، ولأبي هريرة حديث في الصحيح غير هذا وفيه محمد ابن عمر بن علقمة وهو ثقة حسن الحديث وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إن كان قاله لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء قال أبو هريرة لقد كنت أستن قبل أن أنام وبعدما أستيقظ وقبل أن آكل وبعد ما آكل حين سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قال رواه أحمد ورجاله ثقات.

فهذه أحاديث عدة وهى كما قال غير واحد صريحة فى أن الأمر وعدمه إليه وأنه لو أراد أن يأمر بهذه الأشياء أو بغيرها أمر إيجاب وفرض لفعل ولزم ذلك الأمة لكنه ترك رفقا بأمته وشفقة عليهم وهذا مما يدل على تفويض الأمر إليه عموما على كلام أهل الله ومقالهم أو خصوصا على دعوى كثير من علمائنا رضوان الله عليهم أو على أن له أن يحكم باجتهاده على ما قرره غير واحد وجرى عليه.

وفى "التيسير" فى الكلام على حديث لأمرهم بالسواك والطيب عند كل صلاة ونصه تمسك به كما قبله يعنى من الأحاديث من ذهب إلى أن للمصطفى الحكم باجتهاده لجعله [١٢١] المشقة سببا لعدم أمره انتهى.

ومما يدل على ذلك أيضاً إخباره بأنه ترك الأمر بقتل الكلاب لكونها أمة من الأمم فكره إفنائها وإعدامها بالكلية لتسبيحها لله عز وجل ودلالتها بذواتها عليه سبحانه وعلى عجيب صنعه.

أخرج أحمد وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وابن ماجه عن عبد الله بن مغفل مرفوعاً لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها أخبثها الأسود البهيم.[١] قال فى "التيسير" إسناده حسن.

وأخرج الطبرانى فى " الأوسط " عن على مرفوعاً: لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم.[٢]

وأخرج البيهقى فى " السنن " عن جابر مرفوعاً: لولا أن الكلاب أمة من الأمم أكره أن أفنيها لأمرت بقتلها، ولكن اقتلوا منها كل أسود بهيم ذى عينين بيضاوين.[٣]

---

(١) أخرجه أحمد (٨٥/٤)، وأبو داود (١٠٨/٣)، والترمذي (٧٨/٤)، وفي الكبرى للنسائي (٣/ ١٤٨)، وابن ماجه (١٠٦٩/٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٦٢/١).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/٦).

وأخرج أحمد عنه أيضاً مرفوعاً: لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها.

وأخرج الطبراني في " الكبير " عن عبد الله بن مغفل المزني مرفوعاً: لولا أن الكلاب أمة من الأمم أكره أن أعدمها لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها كل أسود بهيم فإنه شيطان.. الحديث.

ومما يدل عليه أيضاً إخباره بأنه لو عاش ولده إبراهيم عليه السلام لوضع الجزية عن كل قبطي ولم يرقق له خالا.

أخرج أبو نعيم في " الحلية " عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلاً، وابن سعد في " طبقاته " والدارقطني عن الزهري مرسلاً: لو عاش إبراهيم لوضعتُ الجزية عن كل قبطي. على بناء وضعت للفاعل، وفي " التيسير " أنه يصح بناؤه [١٢٢] للفاعل وللمفعول.

وأخرج ابن سعد في " طبقاته " عن مكحول مرسلاً: لو عاش إبراهيم ما رق له خال. قال في " التيسير ": أي لأعتقت أخواله القبطيين جميعا إكراماً له. انتهى.

ومما يدل عليه أيضاً وعده بأنه إن عاش أمر بكذا أو نهى عن كذا أو فعل كذا.

أخرج البيهقي في " الشعب " عن داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده أنه عليه السلام قال في يوم عاشوراء: لئن بقيت أمرت بصيام يوم قبله أو يوم بعده.[1]

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٤/٢٨٧).

وأخرج ابن جرير عن عمر مرفوعاً: لئن عشت لأنهى أن يسمى نافع وبركة ويسار.[1]

وأخرج ابن ماجه والحاكم فى المستدرك عنه أيضاً مرفوعاً: لئن عشت إن شاء الله لأنهين أن يسمى رباح ونجيح وأفلح ويسار.[2]

وأخرج مسلم وابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً: لئن بقيت - وفى رواية لئن عشت - إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر يعنى من المحرم مع اليوم العاشر. فلم يأت المحرم القابل حتى توفى ﷺ.[3]

وأخرج الترمذى والحاكم فى " المستدرك " عن عمر مرفوعاً: لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب.[4]

وأخرج ابن سعد فى " طبقاته " عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود مرسلاً: لئن بقيت لا أدع بجزيرة العرب دينين.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٣/٥) وقال أبو عيسى هذا حديث غريب هكذا رواه أبو أحمد عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر عن عمر ورواه غيره عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ وأبو أحمد ثقة حافظ والمشهور عند الناس هذا الحديث عن جابر عن النبي ﷺ وليس فيه عن عمر.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٢٢٩/٢)، والحاكم في المستدرك (٣٠٥/٤) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

(٣) أخرجه مسلم (٧٩٧/٢ رقم ١١٣٤)، وابن ماجة (٥٥٢/١).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٠٥/٤) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه ولا أعلم أحدا رواه عن الثوري يذكر عمر في إسناده غير أبي أحمد، وأخرجه الترمذي (٤/ ١٥٦) وقال هذا حديث حسن صحيح .

وأخرج الطبراني فى " الكبير " عن ابن عباس، وأحمد عنه عن أمه أم الفضل: أنه عليه السلام قال لأم حبيبة: لئن بلغت بنية العباس هذه وأنا حي لأتـــزوجنها.[١]

ومما يدل عليه أيضاً إخباره بأنه أراد أن يفعل بعض أشياء لترجح عنده ثم تركها [١٢٣] مخافة الفتنة أو جزع بعض الناس أو لغير ذلك.

أخرج أحمد والشيخان والنسائى عن عائشة مرفوعاً: لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم.[٢]

وأخرج أحمد عنها أيضاً مرفوعاً: لولا أن قومك حديثوا عهد بشرك أو بجاهلية لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض، وجعلت لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً، وزدت فيها من الحجر ستة أذرع، فإن قريشاً اختصرتها حين بنت الكعبة.[٣]

وأخرج الباوردى عن البراء بن عازب، والشافعى والبيهقى فى " المعرفة " عن الحارث بن عبد الرحمن بلاغا: لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وأبو داود، والترمذى وقال حسن غريب والطحاوى، والدارقطنى، والطبرانى فى " الكبير " عن أسامة بن زيد الليثى عن الزهرى

---

(١) أخرجه أحمد (٣٣٨/٦)، والهيثمي في زوائده (٢٧٦/٤) وقال رواه أحمد والطبراني وزاد فقبض قبل أن تبلغ فتزوجها الأسود بن عبدالله فولدت له رزق بن الأسود ولبابة بنت الأسود سمتها باسمها أم الفضل وأبو يعلي وفي إسنادهما الحسين بن عبدالله بن عباس وهو متروك وقد وثقه ابن معين في رواية.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٤/٢ رقم ١٥٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٧٩/٦).

عن أنس: أن رسول الله ﷺ مر على حمزة وقد مثل به فقال: لولا أن تجد صفية فى نفسها لتركته حتى تأكله العافية حتى يحشر من بطونها.(١)

وأخرج الطبرانى فى " الكبير " والحاكم فى " المستدرك " عن ابن عباس مرفوعاً: لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من حواصل الطير وبطون السباع.(٢)

وأخرج الطبرانى فى " الكبير " أيضاً عن عبد الله بن جعفر مرفوعاً: لولا أن تحزن لذلك نساؤنا لتركنا حمزة بالعراء لعافية الطير والسباع.(٣)

ومما يدل عليه أيضاً إخباره بأنه هم بالنهى عن بعض الأفعال أو بفعل بعض العقوبات أو الأشياء [١٢٤] ثم ترك ذلك لما عرض له مما يرجح الترك.

أخرج مالك فى " الموطأ " وأحمد ومسلم والأربعة عن جذامة - بذال معجمة أو مهملة وهو الصحيح - بنت وهب الأسدية - وهى أخت عكاشة بن محصن الأسدى لأمه - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: لقد هممت أن أنهى عن الغيلة - أى بكسر فسكون، وهى على الصحيح وطء الرجل امرأته أو جاريته وهى ترضع، لا إرضاع المرأة الحامل لصبى ذكر أو أنثى خلافاً لابن السكيت - حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم.(٤) وفى لفظ لأحمد ومسلم لقد هممت أنهى عن الغيلة فنظرت فى الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئا وقال إن الغالب فى وطء المرضع عدم إضرار لبن الموطوءة بالولد وإذا كان كذلك فلا ينهى

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٨/٣)، وأبو داود (١٩٥/٣)، والترمذي (٣٣٦/٣) وقال حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث أنس إلا من هذا الوجه، والطبراني في الكبير (١٤٤/٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢١٨/٣)، والطبراني في الكبير (١٤٢/٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٦٢/١١).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٦/٢ رقم ١٤٤٢)، ومالك في الموطأ (٦٠٧/٢).

عنه نظرا للغالب والنادر لا حكم له بخلاف إرضاع الحامل فإنه مضر بالولد بالعيان والمشاهدة فينهى عنه ولذا لا يصح حمل الحديث عليه.

وأخرج أحمد وابن أبي شيبة ومسلم عن ابن مسعود مرفوعاً: لقد هممت أن آمر رجلاً يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم.(١)

وأخرج الطبرانى فى " الكبير " عنه أيضاً مرفوعاً: لقد هممت أن آمر بلالاً فيقيم الصلاة ثم أنصرف إلى قوم يسمعون النداء فلا يجيبوا فأحرق عليهم بيوتهم.(٢)

وأخرج أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً: أثقل الصلاة – وفى رواية إن أثقل الصلاة – على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلى بالناس ثم أنطلق معى برجال ومعهم حزم من حطب [١٢٥] إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار.(٣)

وأخرج أحمد عن ابن أم مكتوم مرفوعاً: إنى لأهم أن أجعل للناس إماما ثم أخرج فلا أقدر على إنسان يتخلف عن الصلاة فى بيته إلا أحرقته عليه.(٤)

وأخرج أبو داود الطيالسى فى " مسنده " عن جابر مرفوعاً: لقد هممت أن آمر صارخا يصرخ بالصلاة ثم أتخلف على رجال يتخلفون عن الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم. ولهذا الحديث روايات أخر وطرق عديدة ومخرجون.(٥)

---

(١) أخرجه مسلم (٤٥٢/١ رقم ٦٥٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٧١/١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٤/١ رقم ٦٢٦)، ومسلم (٤٥١/١ رقم ٦٥١).

(٤) أخرجه أحمد (٤٢٣/٣).

(٥) أخرجه الطيالسي في مسنده (٢٣٨/١).

وأخرج أحمد، والطبرانى، والبزار عن ابن عباس مرفوعاً: لا أهب هبة إلا من أنصارى أو قرشى أو ثقفى. ورجال أحمد رجال الصحيح.(١)

وأخرجه الترمذى، والنسائى، والبيهقى، وعبد الرزاق، وابن أبى شيبة من حديث أبى هريرة بلفظ: لقد هممت أن لا أقبل هدية... الحديث. وقال العراقى فى الكلام على حديث الترمذى: رجاله ثقات.(٢)

وأخرجه أبو داود من حديثه أيضاً بلفظ: وأيم الله لا أقبل بعد يومى هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجرا قرشيا أو أنصاريا أو دوسياً أو ثقفياً.(٣)

وسببه أن أعرابياً أهدى له بكرة فعوضه عنها ست بكرات فتسخط ذلك، فلما بلغ النبى ﷺ قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن فلاناً أهدى إلى ناقة، وهى ناقتى أعرفها كما أعرف بعض أهلى، ذهبت منى يوم كذا، فعوضته منها ست بكرات فظل ساخطا، وأيم الله... الحديث.

والعلماء رضى الله عنهم فى هذا ونحوه يجعلونه من باب الوحى المخير أو من باب الاجتهاد لأن له ﷺ أن يحكم باجتهاده، وأهل الله يقولون هو من نتيجة [١٢٦] التفويض الباطنى الذى جعله الله له، وقد علم كل أناس مشربهم، والكل على هدى.

ومما يدل عليه أيضاً أحاديث أخر فى أمور متفرقة.

أخرج أحمد، وابن أبى شيبة، والبخارى فى العلم وغيره، ومسلم، وأبو داود، وابن الجارود، من حديث أبى هريرة مرفوعاً: إن الله حبس عن مكة القتل أوالفيل، وسلط عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنون، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى، ألا

(١) أخرجه أحمد (١/٢٩٥)، والطبراني في الكبير (١١/١٨).
(٢) أخرجه الترمذي (٥/٣٧٠)، والنسائي في المجتبى (٦/٢٧٩)، والبيهقي (٦/١٨٠)، وابن أبي شيبة (٦/٤١٣)، وعبد الرزاق (٩/١٠٥).
(٣) أخرجه أبو داود (٣/٢٩٠).

وإنها أحلت ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتى هذه حرام، لا يختلى شوكها ولا يعضد شجرها، ولا تلتقط ساقطتها إلا لمنشد... الحديث.(١) وفيه فقال رجل من قريش: إلا الإذخر إلا الإذخر يا رسول الله فإنا نجعله فى بيوتنا وقبورنا. فقال النبى ﷺ: إلا الإذخر.

وأخرج أحمد، والشيخان، وأبو داود، والنسائى عن ابن عباس مرفوعاً: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وبيوتهم قال إلا الإذخر.(٢)

فإن هذا الاستثناء يتبادر إلى الذهن أنه منه عليه الصلاة والسلام وأنه ليس عن وحى لعدم مضى زمن يتأتى فيه النظر والاجتهاد، وإن قيل إنه يمكن أن يكون بواسطة [١٢٧] جبريل نـــزل به فى أسرع من طرفة عين أو إن الله نفث به فى روعه فإنه بمجرد احتمال، ولذا استدل به العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه " الميزان " كما يأتى عنه على أن الحق تعالى جعل له أن يشرع من قبل نفسه ما شاء، قال: ولو أن الله تعالى لم يجعل له أن يشرع من قبل نفسه لم يتجرأ ﷺ أن يستثنى شيئا مما حرمه الله تعالى فافهم. انتهى.

ولهذا الحديث نظائر منها: ما أخرجه البخارى من حديث سلمة بن الأكوع الأسلمى قال لما أمسوا يوم فتحوا خيبر أوقدوا النيران فقال عليه السلام على ما أوقدتم

---

(١) أخرجه البخاري (١/٥٣ رقم ١١٢)، ومسلم (٢/٩٨٩ رقم ١٣٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣/١٠٢٥ رقم ٢٦٣١)، ومسلم (٢/٩٨٦ رقم ١٣٥٣).

هذه النيران؟ قالوا لحوم الحمر الإنسية قال أهريقوا ما فيها واكسروا قدورها فقام رجل من القوم فقال نهريق ما فيها ونغسلها فقال النبى ﷺ أو ذاك.(١)

وأخرج البخارى من حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن النبى ﷺ قال فى أسرى بدر لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له.(٢)

وأخرج البيهقى عن جبير بن مطعم مرفوعاً: لو كان المطعم حياً ثم كلمنى فى هؤلاء لأطلقتهم له يعنى أسارى بدر قال سفيان وكانت له عند النبى ﷺ يد وكان أجزى الناس باليد.

وأخرج الشيخان من حديث جابر بن عبد الله أنه عليه السلام قال وذلك فى حجة الوداع لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معى الهدى لأحللت. هذا لفظ البخارى، ولفظ مسلم لم أسق الهدى وجعلتها عمرة.(٣)

وعند ابن حبان فى صحيحه من حديث جابر أيضاً قد بلغنى الذى [١٢٨] قلتم وإنى لأبركم وأتقاكم ولولا الهدى لحللت ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى ولا حللت مع الذين حلوا من العمرة.(٤)

وأخرج أحمد من حديث عائشة قالت دخل على النبى ﷺ يوماً فقال لقد صنعت اليوم شيئا وودت أنى لم أفعله دخلت البيت فأخشى أن يجىء الرجل من أفق الآفاق فلا يستطيع دخوله فيرجع وفى نفسه منه شىء.(٥)

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٣٧/٤ رقم ٣٩٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٣/٣ رقم ٢٩٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٤/٢ رقم ١٥٦٨)، ومسلم (٨٨٨/٢ رقم ١٢١٨).

(٤) أخرجه ابن حبان (٢٥٥/٩).

(٥) أخرجه أحمد (١٥٣/٦).

وأخرج أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والبيهقى فى " السنن " عن عائشة أيضاً قالت: خرج النبى ﷺ من عندى وهو قرير العين طيب النفس فرجع إلى وهو حزين فقلت له فقال إنى دخلت الكعبة وددت أنى لم أكن فعلت إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى وفى رواية أخرى ذكرها فى الجمع وعزاها لأحمد وأبى داود وابن ماجه والحاكم عن عائشة إنى دخلت الكعبة ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما دخلتها إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى.(١)

وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء قال اشتكى النبى ﷺ فأمر أبا بكر فصلى بالناس فصلى النبى ﷺ للناس قاعداً وجعل أبا بكر وراءه بينه وبين الناس فصلى الناس وراءه قياماً فقال النبى ﷺ لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما صليتم إلا قعوداً بصلاة إمامكم ما كان إن صلى قائماً فصلوا قياماً وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً.(٢)

وأخرج النسائى والطبرانى فى " الكبير " وابن عساكر فى [١٢٩] " تاريخه " من حديث أبى الدرداء مرفوعاً لولا أن أشق على المؤمنين ولا أجد ما أحملهم عليه ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدى ما قعدت خلف سرية ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل.(٣)

وأخرج أحمد عن أبى هريرة مرفوعاً والذى نفس محمد بيده لولا أشق على المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزوا فى سبيل الله ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعونى ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدى.(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/٢٢٣)، والبيهقي (٥/١٥٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢/٤٥٨).

(٣) أخرجه النسائي في المجتبى (٦/٣٢)، وابن عساكر (٤٥/٣١٦).

(٤) أخرجه أحمد (٢/٣١٣).

وأخرج أبو داود الطيالسى فى " مسنده " والترمذى فى المناقب وقال حسن والحاكم فى " المستدرك " وصححه وتعقب عن حذيفة قال قالوا يا رسول الله لو استخلفت قال إن أستخلف عليكم فعصيتموه عذبتم الحديث.

وفى رواية إن أستخلف عليكم خليفة فتعصوه ينـــزل العذاب الحديث.

وأخرج الخطيب وابن عساكر فى " تاريخيهما " عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله استخلف علينا بعدك رجلا. قال: إن استعملت عليكم رجلاً فأمركم بطاعة الله فعصيتموه كانت معصيته معصيتى، ومعصيتى معصية الله، وإن أمركم بمعصية الله فأطعتموه كانت لكم الحجة عليه يوم القيامة، ولكن أكلكم إلى الله عز وجل.[1]

وأخرج الترمذى فى التفسير وقال حسن غريب عن على بن أبى طالب قال لما نـــزلت ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** ﴾ [المجادلة:١٢] قال لى النبى ﷺ ما ترى ديناراً أى اجعل عليهم ديناراً قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال [١٣٠] فكم قلت شعيرة من ذهب قال إنك لزهيد يعنى قليل المال قدرت على قدر حالك قال فنـــزلت ﴿ **أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ** ﴾ [المجادلة:١٣] الآية. قال: فبى خفف الله عن هذه الأمة.[2]

إرادة الرسول ﷺ من إرادة الله

فهذه أحاديث أخرى وهى أيضاً دالة على التفويض إليه لظهور التصرف فيها عن اختياره ومراده وإن كان لا يخرج فى أحواله عن مراد الحق تعالى وحكمه لمحة لأن إرادته تابعة لإرادته تعالى وعلومه كلها مستفادة من علمه سبحانه ويستحيل طروء شىء من الدواعى النفسانية أو نحوها على جنابه الكريم حاشاه ﷺ بل دواعيه كلها له

(١) أخرجه ابن عساكر (٦٠/٤٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٤٠٦).

تعالى وحده من غير التفات لشيء سواه في كل وقت وكل حال فلا يتصور منه حكم مضاد لحكم الله أو مغاير له ولو مغايرة ما أصلاً فافهم.

ومن هذا المعنى قوله تعالى ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ [آل عمران:١٥٩] فأمره الله بمشاورتهم وإن كان غنيا عنهم وعنها تأليفا لقلوبهم وتطييبا لنفوسهم ثم قال له ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [آل عمران:١٥٩] يعني والله أعلم إذا عزمت على فعل شيء مما أشاروا به عليك لموافقته لرأيك أو من غير ما أشاروا به لعدم الموافقة فامض لفعله متوكلا على الله معتمدا في أمورك كلها على جنابه سبحانه فإن عزيمتك لا تخطئ ورأيك الظاهر لك لا يكون إلا صوابا لعصمتك ورجحان عقلك على جميع العقول ففي ضمن هذا أمره بعد المشاورة بالرجوع لعزمه والعمل برأيه دون رأي غيره المخالف له وقد كان عليه السلام يستشيرهم [١٣١] ويعمل بآرائهم الموافقة له وربما خالف بعض الآراء رأيه فرجع إلى رأيه لعلمه بصدقه وصوابيته وقد كان الأغلب عليهم الموافقة لنورانية بواطنهم بمشاهدتها له.

فإن قلت: إنه كان في بعض الأحيان يرى رأيا ويأمر بالعمل بمقتضاه فيقولون له إن كان هذا أمر الله عز وجل فالتسليم لأمر الله وإن كان هو الرأي والحرب والمكيدة فإنا نرى فيقول بل هو الرأي والحرب والمكيدة ويرجع لرأيهم. قلنا: هذا إنما هو تنـــزل من جنابه الكريم وإظهار لخلاف ما يراه حتى يختبر عقولهم ويرى ما عندهم ويظهر مزيتهم وفضلهم ويقتدى به في ذلك الأمراء والملوك الذين يأتوا بعده لأن آراءهم غير معصومة فإذا رأوا رأيا شاوروا فيه فإن ظهر خلافه رجعوا إليه وأرغموا نفوسهم بذلك وإن أبت اقتداء به عليه الصلاة والسلام لا أنه عليه السلام يرى رأيا ويكون خطأ هذا ما لا يتصور أصلاً لعصمته.

وقد ذكر العلماء كما يأتي أن اجتهاده كغيره من الأنبياء معصوم وأنه لا يجوز عليهم الخطأ فيه ونحن نقول إن آراءهم التي يرونها وإن كانت خالية عن التروي والاجتهاد كذلك تنـــزيها لمنصبهم عن الخطأ مطلقاً فاقدر قدر هذا المنصب ولا تغتر

ببعض الظواهر فإنه زلت بها أقوام لم تؤيد بنور من الملك العلام وقد أخرج ابن عدى والبيهقى فى " الشعب " بسند حسن عن ابن عباس قال: لما نـزلت ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] قال رسول الله [١٣٢] ﷺ أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتى، فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا.

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى " سننه " عن الحسن: فى قوله ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] قال: قد علم الله أنا ما به إليهم من حاجة. ولكن أراد أن يستن به من بعده.

وأخرج سعيد بن منصور والبخارى فى " الأدب " وابن المنذر بسند حسن عن ابن عباس: أنه قرأ ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ ﴾.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] قال: أمر الله نبيه إذا عزم على أمر أن يمضى فيه ويستقيم على أمر الله، ويتوكل على الله.

وأخرج ابن أبى حاتم عن جابر بن زيد وأبى نهيك: أنهما قرآ ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ لَكَ يَا مُحَمَّد عَلَى أَمرٍ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

وفى " الخصائص الكبرى " للسيوطى: قال الماوردى: اختلف فيما يشاور فيه فقال قوم فى الحرب ومكايدة العدو خاصة، وقال آخرون: فى أمور الدنيا والدين، وقال آخرون: فى أمور الدين تنبيها لهم على علل الأحكام وطريق الاجتهاد. انتهى.

ومما يدل على ما سبق أيضاً ما فى كتب السير نقلاً عن ابن إسحاق وغيره من: أنه عليه السلام لما رجع من بدر ووصل إلى الصفراء أمر عليا بقتل النضر بن الحارث، فقتل كافرا صبراً، وفى ذلك تقول بنته - على الصحيح - وقيل أخته قتيلة، وكانت شاعرة محسنة: وذكر أبو عمر أنها أسلمت يوم الفتح من قصيدة ترثيه بها: [١٣٣]

أمحمد يا خير طين كريمة ... في قومها والفحل فحل معرف

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المخنق

فيقال إن النبى ﷺ لما سمع هذه القصيدة بكى حتى اخضلت لحيته الشريفة، وقال: لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه. وفى رواية الزبير بن بكار فى كتاب " النسب ": فرق لها رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه، وقال: يا أبا بكر لو سمعت شعرها ما قتلت أباها. فإن هذا يدل أيضاً على أن القتل وعدمه مفوضان إليه إذ لو لم يكن كذلك لم يفرق الحال بين بلوغ شعرها إليه وعدم بلوغه.

من أسمائه ﷺ المشرع والشارع

وقد ذكروا فى أسمائه ﷺ من جملتها "**المشرع**" و"**الشارع**" اسم فاعل من شرَّع الشيء بالتشديد يشرعه تشريعا وشرعه بالتخفيف يشرعه شرعا، إذا أظهره وأوضحه لأنه شرع الدين والأحكام وأظهرها وبينها، وأمر ونهى وحرم وحلل ووضع، كما قال تعالى فى حقه ﴿ **يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر:٧] وقال ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور:٦٣] فأسند إليه الأمر والنهى والتحليل والتحريم والوضع والإيتاء وحذر من مخالفته وأوعد عليها إما لظهور ذلك من قبله وبيانه بلسانه ولكونه الواسطة فيه وإن كان له تعالى حقيقة كما يقوله [١٣٤] العلماء وإما لأنه وكيله المفوض وخليفته المطلق فله أن يفعل ما شاء من ذلك من قبل نفسه كما يقوله العارفون والأولياء وإن كان فى الحقيقة راجعا إليه تعالى وصادرا منه لقوله ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم:٣،٤] وانظر ما تقدم عن الكبريت الأحمر للشعرانى عن الشيخ محيى الدين من أن الله تعالى أعطى خلفاءه من الأنبياء التشريع فإذا أعطى التشريع للأنبياء فبالجدير أن يكون له ﷺ أصالة ولهم تبعا فافهم.

ما صدر منه ﷺ من الدين والشرائع والأحكام

واعلم أن ما صدر منه ﷺ من الدين والشرائع والأحكام وغيرها من سائر الأمور أنواع ثلاثة.

أحدها: أن يكون ما فعله من ذلك بوحى من الله وهو أعنى الوحى مراتب عشرة:

الأولى: منها الرؤيا الصادقة وهى التى ليس فيها ضغث فى النوم وهى مبدأ الوحى يرى فيها من يخبره عن الله بشىء أو شيئا يدل على أمر ما فيعمل عليه لأن رؤيا الأنبياء وحى بدليل ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات:١٠٢]

الثانية: إلقاء الملك فى روعه وقلبه الشىء من غير رؤية له ولا سماع لكلامه بدليل حديث: إن روح القدس - يعنى جبريل - نفث فى روعى أى أوقع فى قلبى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، الحديث أخرجه أبو نعيم فى " الحلية " والطبرانى من حديث أبى أمامة الباهلى، وأخرجه بنحوه البزار من حديث حذيفة، والحاكم فى " المستدرك " وصححه، وابن أبى الدنيا فى كتاب " القناعة " والعسكرى فى " الأمثال " من حديث ابن مسعود.[1]

الثالثة: سماعه لصوت الملك [١٣٥] من غير رؤية له.

الرابعة: رؤيته له فى صورته التى خلقه الله عليها فيكلمه ويعرف كلامه.

الخامسة: رؤيته له فى صورة أخرى كصورة دحية أو غيره من الرجال أو صورة نخل أو غير ذلك من الصور فيخاطبه فيعى ما يقول له.

وقد ذكر العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه " العهود المحمدية " وفى " كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان " وغيرهما من بعض كتبه أنه لا

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٢٥/١١)،والطبراني في الكبير (١٦٦/٨).

يجمع بين رؤية الملك وسماع خطابه إلا الأنبياء فقط وأما الولى فإن رأى شخصه لا يكون مكلما له وإن كلمه لا يرى شخصه وأصله للشيخ الأكبر فى " فتوحاته " ونصه فى الباب الثامن والستين ومائتين: وأهل الله يشاهدون تنــزل الأرواح على قلوبهم، ولا يرون الملك النازل إلا أن يكون المنــزل عليه نبياً أو رسولا، فالولى يشهد الملائكة، ولكن لا يشهدها ملقية عليه، أو يشهدون الإلقاء ويعلمون أنه من الملك من غير شهود، فلا يجمع بين رؤية الملك والإلقاء منه إلا لنبى أو رسول، وبهذا يفترق عند القوم ويتميز النبى من الولى. انتهى منه بلفظه.

وقال فى الباب الثالث والخمسين وثلاثمائة بعد ما ذكر أن الأولياء لهم من الله الإلهام لا الوحى وإن الإلهام خبر إلهى وإخبار من الله للعبد على يد ملك مغيب عن هذا الملهم، وأنه قد يلهم من الوجه الخاص ما نصه: فالرسول والنبى يشهد الملك ويراه رؤية بصر عندما يوحى إليه، وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه رؤية بصر، فيلهمه [١٣٦] الله به ما شاء أن يلهمه، أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط، وهو أجل الإلقاء وأشرفه، وهو الذى يجتمع فيه الرسول والولى أيضاً. انتهى بلفظه أيضاً.

وقال فى الباب الرابع والستين وثلاثمائة ما نصه: وصل: وأما من قال من أصحابنا وذهب إليه كالإمام أبى حامد الغزالى وغيره بأن الفرق بين النبى والولى نــزول الملك، فإن الولى ملهم والنبى ينــزل عليه الملك مع كونه فى أمور يكون ملهما، فإنه جامع بين الولاية والنبوة، فهذا غلط عندنا من القائلين به، ودليل على عدم ذوق القائلين به، وإنما الفرقان إنما هو مما ينــزل به الملك لا فى نــزول الملك، فالذى ينــزل به الملك على الرسول والنبى خلاف الذى ينــزل به الملك على الولى التابع، ثم ذكر أن الملك قد ينــزل على الولى التابع بالاتباع وبإفهام ما جاء به النبى مما لم يتحقق هذا الولى بالعلم به، وقد ينــزل عليه بتعريف صحة ما جاء به النبى، وسقمه مما قد وقع عليه أو توهم أنه صحيح عنه أو ترك لضعف الراوى وهو صحيح فى نفس الأمر وقد ينــزل عليه بالبشرى من الله بأنه من أهل السعادة والفوز وبالأمان إلى آخر ما قال ولم يذكرها هنا فى هذا الملك النازل على الولى بشىء هل يراه الولى رؤية بصر أو لا يراه،

وإنما يحس بأثره، وهذا هو الظاهر جمعا بين كلاميه، وإن كان الأول هو المتبادر من إطلاقه.

وأقول: قد ثبت فى السنة الغراء جمع الصحابة وليسوا بأنبياء ولا برسل بين رؤية الملك المتمثل بصورة [١٣٧] البشريين وسماعهم لكلامه وذلك بحضرة النبى ﷺ كما فى حديث سؤال جبريل للنبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان بمحضر الصحابة وهم يرونه بأبصارهم ويسمعون كلامه إلا أن الخطاب فيه كان للنبى دونهم، وقد قال الحافظ فى " فتح البارى " فيه أن الملك يجوز أن يتمثل لغير النبى ﷺ فيراه ويتكلم بحضرته وهو يسمع قال، وقد ثبت عن عمران بن حصين أنه كان يسمع كلام الملائكة. انتهى.

وفى " الاستيعاب " لأبى عمر بن عبد البر فى ترجمة عمران هذا ما نصه: وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول عنه أهل البصرة أنه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتوى. انتهى.

فظاهره أنه كان يجمع بين رؤيتهم وسماع كلامهم، وقد ورد أيضاً أنها كانت تسلم عليه فلما اكتوى رفع ذلك، فلما زال أثر الكى عاد إليه وورد أنها كانت تصافحه.

وفى " الطبقات " للمناوى فى ترجمة القطب سيدى إبراهيم الدسوقى نقلاً عنه قال: وليت القطبانية فرأيت المشرقين وما تحت التخوم وصافحت جبريل. انتهى.

ففيه مصافحة الملائكة للصحابة والأولياء وتسليمها عليهم، ولا بعد فى ظهورها لهم عند ذلك بل هو الظاهر، وفيه أيضاً لقاء الأولياء لسيدنا جبريل عليه السلام بعد وفاته ﷺ وما اشتهر من أنه لا ينــزل إلى الأرض بعد وفاته ﷺ لا أصل له إلا ما ورد فى خبر ضعيف جدا أنه قال للنبى ﷺ [١٣٨] قبيل وفاته وطأتى بالأرض، ومن الدليل على بطلانه ما للطبرانى فى " الكبير " عن ميمونة بنت سعد قالت: يا رسول الله هل

يرقد الجنب؟ قال: ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ، فإني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل. ففيه أنه يحضر كل من مات من هذه الأمة إلا أن يمنع من حضوره مانع.

ولنعيم بن حماد عن النبى ﷺ فى وصف الدجال قال: فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا ميكائيل بعثنى الله لأمنعه من حرمه. ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريل بعثنى الله لأمنعه من حرم رسوله.(١)

نزول جبريل خاص بالأنبياء

وأخرج ابن المنذر عن الضحاك فى قوله ﴿ تَنَـزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر:٤] قال: الروح جبريل. راجع " الإعلام بنـزول عيسى عليه السلام " للحافظ السيوطى، وكذا ما اشتهر من أنه لا ينـزل على الأولياء، وأن نـزوله خاص بالأنبياء لا أصل له ولا يصح، بل ينـزل على الأولياء ويصافحهم كما سبق عن سيدى إبراهيم الدسوقى ويسلم عليهم، ويأتيهم بالأمر والنهى كما فى قوله ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ ﴾ [آل عمران:٤٢] يعنى جبريل وحده كما أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر عن ابن عباس ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ عمران يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢،٤٣] إلى قوله ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ [آل عمران:٤٥] فأفاد أن الملائكة أى جبريل منهم نـزلت عليها بالأمر وهو قوله ﴿ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾ [آل عمران:٤٣] إلى آخر الآية والظاهر المتبادر منه [١٣٩] أيضاً أنها جمعت بين رؤيتهم وسماع خطابهم ويؤيده ما فى " الدر المنثور " قال: أخرج ابن أبى

---

(١) ذكره نعيم بن حماد في الفتن (٢/٥٤٤).

حاتم عن قتادة فى قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ ﴾ [آل عمران:٤٥] قال شافهتها الملائكة بذلك، والصحيح أنها لم تكن نبية، بل نفى النبوة عن جميع النساء.

الفرق بين النبى والولى

وفى " الإبريز " فى الكلام على هذه الآية نقلاً عن شيخه قال وأما ما ذكروه فى الفرق بين النبى والولى من نـــزول الملك وعدمه فليس بصحيح لأن المفتوح عليه سواء كان نبياً أو ولياً لابد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبونه وكل من قال أن الولى لا يشاهد الملك ولا يكلمه فذاك دليل على أنه غير مفتوح عليه انتهى منه بلفظه.

فظاهره الجمع بينهما للولى وهو ظاهر كلام غير واحد من الفحول وفى كتاب " الأسرار لأحد مفاتيح الكنوز الأربعة " وهو العارف بالله سيدى عبد الرحمن الشامى قضايا جمع له فيها بين رؤية الملائكة ومخاطبتهم فراجعه والله أعلم.

ثم ظاهر كلام الشيخ الأكبر السابق فى الفرق بين النبى والولى: أن الولى لا ينـــزل عليه الملك بالأمر والنهى، واعترضه مؤلف " الإبريز " وقال: إنه غير ظاهر، فإن الولى ينـــزل عليه الملك بالأمر والنهى، ولا يلزم منه أن يكون ذا شريعة كما فى قصة مريم، فإن الملك نـــزل عليها بالأمر وليست نبية كما سبق. انتهى كلامه.

وعليه فالصواب فى الفرق بين النبى والولى وإن كان كل منهما ينـــزل عليه جبريل أوغيره من الملائكة فيراه ببصره ويسمع خطابه بالأمر أو النهى أو غيرهما [١٤٠] على ما تحرر أن النبى ينـــزل عليه الملك بالنبوة وبما يناسبها، ويتبعها من الأحوال والأقوال والشرائع، والولى لا يأتيه بنبوة ولا بما يناسبها، وإنما ينـــزل عليه بغير ذلك مما يناسب حال الولاية مما تقدم أو نحوه فاعرفه.

السادسة: سماعه لكلام الله تعالى من غير أن يراه، وهو خطاب إلهى يلقيه على السمع لا على القلب، فيدركه من ألقى إليه، فيفهم منه ما قصد به من أسمعه ذلك وقد يحصل له ذلك فى صورة التجلى فتخاطبه تلك الصورة الإلهية وهى عين الحجاب

فيحصل له من ذلك الخطاب علم ما يدل عليه ويعلم أن ذلك حجاب وأن المتكلم من وراء ذلك الحجاب علم ما يدل عليه ويعلم أن ذلك حجاب وأن المتكلم من وراء ذلك الحجاب.

السابعة: تكليم الله له كفاحا أى مواجهة من غير حجاب.

الثامنة: مخاطبته له تعالى فى المنام كما فى عدة أحاديث.

التاسعة: إلقاؤه تعالى بنفسه الشيء فى روعه وقلبه على جهة التحديث فيحصل له من ذلك علم بأمرها وهو الذى تضمنه ذلك الحديث بناء على أن هذا الإلقاء يسمى وحيا، واستدل له بآية ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وحياً** ﴾ [الشورى:٥١] يعنى إلقاء فى الروع، وهو المسمى إلهاما، وهو شيء يلقيه الله فى قلب من يشاء من خلقه بلا واسطة ملك ولا إشارته مقرون بخلق علم ضرورى أنه منه تعالى وقد يكون هذا الإلقاء بواسطة الملك ولكنه خارج عن هذه المرتبة بل هو المرتبة الثانية من المراتب السابقة ومن علامته مطلقاً انشراح الصدور أن لا [١٤١] يعارضه معارض من خاطر آخر وهو داع إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر فى حجة ومن النبى حجة قاطعة مطلقاً ومن العامى ليس بحجة مطلقاً ومن الولى المحفوظ فى سائر أحواله الظاهرة والباطنة إذا لم تكن فيه مخالفة لحكم شرعى فيه أقوال رجح غير واحد من الصوفية منها أنه حجة فى حقه لا فى حق غيره والأرجح عند العلماء من الأصوليين والمتكلمين والفقهاء أنه من غير النبى ليس بحجة مطلقاً لكونه لاثقة بخواطر غير المعصوم.

وفى "كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان" ما نصه: وسألونى هل لمن تصفت نفسه من الكدورات العمل بالإلهام فأجبتهم نعم له العمل بالإلهام لكن بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما لا مطلقاً وقد زل فى هذا الباب خلق كثير فضلوا وأضلوا ولنا فى ذلك مؤلف سميته حد الحسام فى عنق من أطلق إيجاب العمل بالإلهام وهو مجلد لطيف انتهى.

وقال قبله فى موضع آخر بعد ما ذكر فيه أن النبوة لا تأتى علومها إلا على يد ملك بخلاف الولاية فإنه ليس فيها واسطة بين الله وبين عبده ما نصه: وإنما كانت مع هذا الشرف العظيم أنـزل من النبوة لعدم عصمة صاحبها ولذلك قال علماؤنا إن العمل بالأحاديث التى جاءتنا من الشارع على يد هؤلاء المحدثين أتم وأكمل وأصح مما أخذناه نحن عن الله بالإلهام انتهى بلفظه فيهما.

العاشرة: ما يناله بالرأى والاجتهاد بأن ينظر فى الأحكام المنصوصة ويستنبط الحكم المحتاج إليه منها بناء على أنه مجتهد وهى مسألة مختلف فيها فى الأصول جوازاً ووقوعا [١٤٢] والصحيح عندهم وهو مذهب مالك والشافعى وأحمد وعامة أهل الحديث والأصول ونقل عن أبى يوسف من أصحاب أبى حنيفة جواز الاجتهاد له كغيره من النبيين والمرسلين ووقوعه منهم من غير تقييد بانتظار الوحى ولا بشىء وقيل يمتنع وهو مذهب الأشاعرة وأكثر المتكلمين لقوله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣،٤] ولقدرهم على اليقين بانتظار الوحى والقادر على اليقين فى الحكم لا يجوز له الاجتهاد ورد بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم الوحى عليه كان كالوحى لا نطقا بالهوى وبأن إنـزال الوحى ليس فى قدرتهم ثالثها الجواز والوقوع فى الآراء والحروب فقط والمنع فى غيرها جمعا بين الأدلة ورابعها أنه فيما لم يوح إليه من حكم الواقعة متعبد بانتظار الوحى فإن انقضت مدة الانتظار ولم يوح إليه فيها بشىء كان ذلك دلالة على الإذن له فى الاجتهاد فيعمل حينئذ فيها برأيه واجتهاده وعليه أكثر أصحاب أبى حنيفة وهو الأصح عندهم ثم قيل مدة الانتظار ثلاثة أيام ورد بأنه لا دليل عليه وقيل لخوف فوات الغرض وذلك يختلف بحسب الحوداث وهو الصحيح.

خامسها: الوقف عن القول بأنه يجتهد أو لا يجتهد لتعارض الأدلة وعلى الصحيح عند الجمهور من الجواز مطلقاً أو بقيد الانتظار فمذهب أكثر العلماء والمحققين وقال الرازى وغيره أنه الحق وجزم به الحليمى والبيضاوى وذكر السبكى أنه الصواب لأنهم معصومون فى اجتهادهم وأنه لا يجوز عليهم الخطأ فيه ولا يقع منهم أصلاً تنـزيها

لمنصب النبوة عن الخطأ فى الاجتهاد بل يقررون بعده [١٤٣] عليه إما بالسكوت وإما بالتنبيه على أنه حق فيصير بمنـــزلة الوحى صرح بذلك غير واحد وقيل بالتفرقة بين النبى ﷺ وبين غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالنبى ﷺ لا يجوز عليه الخطأ لأنه ليس بعده نبى يستدرك خطأه وغيره من الأنبياء يجوز عليه ولا يخفى بعده وقيل قد يقع منهم جميعا الخطأ فى الاجتهاد ولكنهم لا يقرون عليه بل ينبهون عليه فى الحال وهو مختار الآمدى وابن الحاجب واستبشعه غير واحد بل صرحوا بأنه خطأ.

وفى "المواهب اللدنية" فى ذكره لمراتب الوحى ما نصه: ثم مرتبة أخرى وهى العلم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد بالأحكام لأنه اتفق أى من المحققين على أنه عليه الصلاة والسلام إذا اجتهد أصاب قطعاً وكان معصوماً من الخطأ وهذا خرق للعادة فى حقه دون الأمة قال وهو يفارق النفث فى الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه انتهى.

وفى "روح البيان" لدى قوله تعالى ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الأنعام:٥٠] ما نصه: والوحى ثلاثة:

ما ثبت بلسان الملك والقرآن من هذا القبيل، وما ثبت بإشارة الملك من غير أن يبينه بالكلام وإليه الإشارة بقوله عليه السلام إن روح القدس نفث فى روعه أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، والثالث ما تبدى لقلبه أى ظهر لقلبه بلا شبهة إلهاما من الله تعالى بأن أراه الله بنور من عنده كما قال ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء:١٠٥] وأبى الأشعرية وأكثر [١٤٤] المتكلمين أن يحكم عليه السلام بالاجتهاد كما تدل عليه الآية إذ ثبت بها أنه لا يتبع إلا الوحى والجواب أنه جعل اجتهاده عليه السلام وحياً باعتبار المال فإن تقريره عليه السلام على اجتهاده يدل على أنه هو الحق كما إذا ثبت بالوحى ابتداء انتهى منه بلفظه ومن الحنفية من جعل

الاجتهاد منه عليه السلام وحياً باطنا و لم يجعله من الوحى الظاهر وجعله شمس الأئمة السرخسى منهم مشابها للوحى وجعل الباطن ما ثبت بالإلهام.

تخيره ﷺ في بعض الأمور

ثانيها: أعنى الأنواع أن يكون ما صدر منه من ذلك بلا وحى من الله ولا اجتهاد منه ولكن اختياراً فى شىء خير فيه معين لأحد الأمرين أو الأمور المخير فيهما أو فيها لكونه الأيسر على الأمة أو الأصلح لهم أو الأليق بذاته الكريمة وهذا يدل له قول عائشة رضى الله عنها حسبما فى الموطأ، والصحيحين، وسنن أبى داود، وغيرها فى أثناء حديث وما خير رسول الله ﷺ بين أمرين وفى رواية أخرى عنها قالت ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما حتى يكون إثماً فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم أخرجها عبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، وابن عساكر.(١)

وفى أخرى قالت وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما أخرجها أبو يعلى وابن عساكر راجع مسند عائشة من "الجامع الكبير" وللطبرانى فى "الأوسط" عن أنس إلا اختار أيسرهما ما لم يكن لله فيه سخط.

فإن هذا الحديث كما ذكروه محتمل لأن يكون التخيير فيه من الكفار الذين لم يدخلوا فى طاعته ولا آمنوا به ولأن يكون من [١٤٥] المنافقين المظهرين للإسلام وعليهما فالاستثناء فيه أعنى قوله ما لم يكن إثما متصل وهو حينئذ ظاهر الوجه ومعناه إلا أن يكون أيسر الأمرين اللذين خير فيهما إثما فإنه يكون أبعد الناس منه ولا يختاره وإنما يختار الأيسر إذا خير بين أمرين جائزين مشروعين ولأن يكون من أمته المؤمنين فيكون قوله ما لم يكن إثما استثناء منقطعا لأنهم لا يخيرونه بين التـــزام فعل جائز مشروع والتـــزام فعل محرم ممنوع ويجوز أن يكون متصلا بمعنى أن يخيروه بين التـــزام

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٦/٣ رقم ٣٣٦٧)، ومسلم (١٣١٣/٤ رقم ٢٣٢٧)، ومالك (٢/ ٩٠٢)، وأبو داود (٢٥٠/٤)، وابن عساكر (٣٧٢/٣).

ما يجوز والتـــزام ما لا يجوز وهم يعتقدونه مما يجوز فيكون أبعد الناس من أن يبيح لهم ما لا يجوز بل يبين المنع منه ويحذرهم من إتيانه ويعدل بهم إلى الجائز وإن شق عليهم أو بمعنى ما لم يؤد ويجر إلى إثم أو ما لم يوقع فى إثم من غير شعور من المخيرين له بذلك فإن أدى إلى إثم أو أوقع فيه كان أبعد الناس من الإثم ويختار الأشد حينئذ ولا يكون من الله عز وجل وهو أظهر الوجوه وأنصعها فيكون الاستثناء أعنى الإخراج فى قوله ما لم يكن إثما منقطعا لأن الله تعالى لا يخيره فيما فيه إثم أو يكون مؤديا إليه والمعنى حينئذ لكن ما فيه إثم أو يوقع فيه لا يكون فيه تخيير وإنما يكون التخيير فيما عداه ويحتمل على بعد أن يكون متصلا بمعنى ما لم يفض إلى نقص فى العبادة أو تقصير فى كمالها فيكون المراد بالإثم فيه النقص والتقصير لا حقيقة الذنب لما قدمناه وإذا قلنا بهذا وأن التخيير واقع من الله تعالى فهو كما ذكره العلماء شامل لأمور كثيرة كتخييره بين إيجاب شىء وندبه أو بين تحريمه وإباحته [١٤٦] أو بين البقاء على العزيمة والرجوع إلى الرخصة فيختار من قبل نفسه الأيسر على أمته مخافة أن يعجزوا عنه إن أوجبه أو يقفوا فيه إن حرمه أو يترخصوا فيه إن أبقاه على العزيمة فيهلكوا وبين ما فيه شدة فى العبادة أو قصد فيها فيختار القصد تيسيرا عليهم وخوفا من أن يملوا فيقطعوا وما فيه عقوبتان فيختار الأخف رفقا بهم أو عقوبة وعفو فيختار العفو رحمة بهم لأنه بعث رحمة أو مصلحتان فيختار الأصلح لهم أو مثوبتان فيختار الأكثر ثوابا فى حقهم أو مصلحة أو مثوبة وما لا شىء فيه فيختار المصلحة أو المثوبة محبة فيهم وبين الاستغفار لأحد وعدمه فيختار الاستغفار رجاء المغفرة له وبين أن يدخل نصف أمته الجنة والشفاعة فيختار الشفاعة لأنها أعم وأوسع وأشمل وبين الملك والعبودية فيختار العبودية لما فيها من التواضع لله تعالى الذى هو أليق بالعبد وبين الاتساع فى الدنيا والاقتصار منها على الكفاف فيختار الكفاف وإن كانت السعة أسهل وأحب إلى النفس خوف الاشتغال عن كمال التفرغ للعبادة وبين بقاء ذاته الكاملة فى الدنيا مخلدة وانتقالها عنها إلى الدار الآخرة فيختار الانتقال رغبة عن الدنيا ومحبة فى ربه تعالى وشوقاً إليه.

وقد صرح ﷺ فى هذا الباب بأمور كثيرة خيره الله تعالى فيها بالتخيير الخاص بل وبأمور استشاره الحق عز وجل فيها تكرمة له وإظهارا لشرفه ومزيته بالرجوع إلى خيرته.

ولنذكر ها هنا جملة منها ليتنبه بها إلى باقيها فنقول:

أخرج [١٤٧] الشيخان البخارى فى ذكر الملائكة من بدء الخلق تاماً وفى التوحيد مختصراً، ومسلم فى المغازى والنسائى فى البعوث، والطبرانى من حديث عائشة أنه عليه الصلاة والسلام لما لقى من قومه ما لقى وذلك عند خروجه من الطائف ناداه جبريل فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى إليك ربك لتأمرنى بأمرك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين أى وهما جبلا مكة أبو قبيس ومقابله وهو قعيقعان قال النبى ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له.(١)

وأخرج أحمد، وابن سعد فى "طبقاته" والحاكم فى "الكنى" والطبرانى فى "الكبير" والبغوى والباوردى وأبو نعيم فى "الحلية" وابن عساكر وغيرهم عن أبى عسَيب أى كعظيم وهو مولى للمصطفى ﷺ ويقال له أبو عصيب مرفوعاً أتانى جبريل بالحمى والطاعون أى وخيرنى فى أن أجعلهما بالمدينة أو غيرها فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام الحديث.(٢)

وأخرج الطبرانى بسند حسن، والبيهقى فى "الزهد" وغيره من طريق عطاء عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال يوماً لجبريل وهو معه على الصفا ما أمسى لآل محمد سفة

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٠/٣ رقم ٣٠٥٩)، ومسلم (١٤٢٠/٣ رقم ١٧٩٥).

(٢) أخرجه أحمد (٨١/٥)، وابن سعد في طبقاته (٦١/٧)، والطبراني في الكبير (٣٩١/٢٢).

من دقيق ولا كف من سويق فأتاه إسرافيل فقال إن الله قد سمع ما ذكرت فبعثنى إليك بمفاتيح خزائن الأرض وأمرنى أن أعرض عليك إن أحببت [١٤٨] أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت فإن شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً فأومأ إليه جبريل أن تواضع فقال بل نبياً عبداً ثلاثاً.(١)

وأخرج الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر مرفوعاً لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى ولا يهبط على أحد بعدى وهو إسرافيل وعندى جبريل فقال أنا رسول ربى(٢) إليك أمرنى أن أخيرك إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكا فنظرت إلى جبريل فأومأ إلى بيده أن تواضع فقلت نبياً عبداً فلو أنى قلت نبياً ملكا ثم شئت لسارت الجبال معى ذهباً.(٣)

وأخرج ابن حبان فى "صحيحه" من حديث أبى هريرة قال جلس جبريل إلى النبى ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينـــزل فقال له جبريل هذا الملك ما نـــزل منذ خلق قبل الساعة فلما نـــزل قال يا محمد أرسلنى إليك ربك أملكاً أجعلك أم عبداً رسولاً فقال له جبريل تواضع لربك يا محمد فقال رسول الله ﷺ لا بل عبداً رسولا وهذا الملك قيل هو إسرافيل عليه السلام للتصريح به فى الروايتين السابقتين بناء على أنه لم يقرن بنبوته قبل فى ابتداء الوحى وصحح وقيل غيره بناء على ما ذهب إليه الشعبى من أنه قرن بنبوته ابتداء إسرافيل ثم بعده جبريل والله أعلم.

وأخرج ابن سعد فى "طبقاته" وأبو يعلى وابن عساكر عن عائشة مرفوعاً يا عائشة لو شئت لسارت معى جبال الذهب جاءنى ملك إن حجزته لتساوى الكعبة

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٨/٧).

(٢) فى نسخة ربك.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٤٨/١٢).

فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً فنظرت إلى جبريل [١٤٩] فأشار إلى أن ضع نفسك فقلت نبياً عبداً.(١)

وأخرج ابن سعد والخطيب عن عائشة رفعته يا عائشة لو شئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة.(٢)

وأخرج ابن سعد فى "طبقاته" عن عطاء قال دخل عمر بن الخطاب على النبى ﷺ ذات يوم وهو مضطجع على ضجاع من أدم محشو ليفاً وفى البيت أهبة ملقاة فبكى عمر فقال ما يبكيك يا عمر قال أبكى إن كسرى فى الخز والقز والديباج وقيصر فى مثل ذلك وأنت حبيب الله وخيرته كما أرى فقال لا تبك يا عمر فلو أشاء أن تسير الجبال معى ذهبا لسارت ولو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافراً منها شيئا.(٣)

وأخرج العسكرى عن الحسن عن على قال قال رسول الله ﷺ أتانى ملك فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهباً فرفع رأسه إلى السماء وقال لا يا رب أشبع يوماً فأحمدك وأجوع يوماً فأسألك.

وأخرج أحمد، والترمذى وقال حسن، وابن سعد فى "طبقاته" وأبو نعيم والطبرانى فى "الكبير" والبيهقى فى "الشعب" عن أبى أمامة مرفوعاً عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يل رب ولكنى أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك.(٤)

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٤٦٥/١)،وابن عساكر (٤٧٤).

(٢) خرجه ابن سعد في طبقاته (٤٥٦/١).

(٣) المأرجع السابق (٤٦٦/١).

(٤) أخرجه أحمد (٢٥٤/٥)، والترمذي (٥٧٥/٤) وقال هذا حديث حسن، وابن سعد في طبقاته (٣٨١/١)، والطبراني في الكبير (٢٠٧/٨)، والبيهقي في شعبة (١٧٢/٢).

وأخرج أحمد، والبخارى فى مواضع، ومسلم فى الفضائل، وغيرهم عن أبى سعيد الخدرى قال خطب النبى ﷺ فقال إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله فبكى [١٥٠] أبو بكر فقال يا أبا بكر لا تبك إن أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر الحديث.[١]

وفى رواية الترمذى عن أبى سعيد قال إن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال إن عبداً خيره الله تعالى بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر زاد فى رواية وقال يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا الحديث.

وأخرج الطبرانى فى "الكبير" عن أبى واقد مرفوعاً خير عبد من عبيد الله بين الدنيا وملكها ونعيمها وبين الآخرة فاختار الآخرة فقال أبو بكر بل نفديك يا رسول الله بأموالنا وأنفسنا.[٢]

وأخرج أحمد، والترمذى وقال حسن غريب واللفظ له، والطبرانى فى "الكبير" والبغوى وابن السنى فى "عمل اليوم والليلة" عن ابن أبى المعلى عن أبيه أن رسول الله ﷺ خطب يوماً فقال إن رجلاً خيره ربه بين أن يعيش فى الدنيا ما شاء أن يعيش ويأكل فى الدنيا ما شاء أن يأكل وبين لقاء ربه فاختار لقاء ربه قال فبكى أبو بكر الحديث.[٣]

(١) أخرجه البخاري (١/١٧٧ رقم ٤٥٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/٢٤٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣/٤٧٨)، والترمذي (٥/٦٠٧) وقال وفي الباب عن أبي سعيد وهذا حديث حسن غريب، والطبراني في الكبير (٢٢/٣٢٨).

وأخرج أحمد وغيره من حديث أبي مويهبة وهو مولى لرسول الله ﷺ قال قال لى رسول الله ﷺ يا أبا مويهبة أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد - أى البقاء فى الدنيا إلى انقضائها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة.[١]

وأخرج عبد الرزاق، والبيهقى عن طاوس مرسلاً نصرت بالرعب وأعطيت الخزائن وخيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتى وبين التعجيل فاخترت التعجيل.[٢]

وأخرج الشافعى، والبيهقى، والطبرانى بسند معضل من حديث على أن ملك [١٥١] الموت بعد ما استأذن عليه أى فى الدخول ولم يستأذن على آدمى قبله قال له إن الله أرسلنى إليك وأمرنى أن أطيعك فإن أمرتنى أن أقبض نفسك قبضتها وإن أمرتنى أن أتركها تركتها الحديث.[٣]

وأخرج البخارى، ومسلم من حديث عائشة قالت كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول إنه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذى غشى عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم فى الرفيق الأعلى فقلت إذاً لا يختارنا فعرفت أنه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح.[٤] وعند أبى الأسود فى المغازى عن عروة أن جبريل نـــزل إليه فى تلك الحالة فخيره.

وأخرج أحمد، والبخارى، والترمذى، والنسائى، وابن أبى حاتم، والنحاس، وابن حبان، وابن مردويه، وأبو نعيم فى "الحلية" عن ابن عباس قال سمعت عمر يقول لما

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٨٨).
(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/٤٨)، وعبد الرزاق (١١/٩٩).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/١٢٩).
(٤) أخرجه البخاري (٤/١٦١٣ رقم ٤١٧٢)، ومسلم (٤/١٨٩٤ رقم ٢٤٤٤).

توفى عبد الله بن أبي دعا رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام عليه فلما وقف قلت أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل كذا وكذا والقائل كذا وكذا أعدد أيامه ورسول الله ﷺ يتبسم حتى إذا أكثرت عليه قال يا عمر أخر عنى إنى قد خيرت قد قيل لى ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً** ﴾ [التوبة:٨٠] فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها الحديث.[١]

وأخرج ابن أبى حاتم عن الشعبى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لقد أصبت فى الإسلام هفوة ما أصبت مثلها قط أراد رسول الله ﷺ [١٥٢] أن يصلى على عبد الله بن أبى فأخذت بثوبه فقلت والله ما أمرك الله بهذا لقد قال ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾ [التوبة:٨٠] فقال رسول الله ﷺ قد خيرنى ربى فقال ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ** ﴾ الحديث راجع "الدر المنثور".

وأخرج أحمد بسند رجاله ثقات عن أبى موسى، وهناد، والترمذى وحسنه، والطبرانى فى "الكبير"، وابن حبان عن عوف بن مالك الأشجعى، وأحمد عن معاذ بن جبل مرفوعاً أتانى آت من عند ربى فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئا.[٢]

وأخرج أحمد، والطبرانى، والبزار عن معاذ وأبى موسى رفعاه إن ربى خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة أو شفاعة فاخترت لهم الشفاعة وعلمت أنها أوسع لهم وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٩/١ رقم ١٣٠٠)، وأحمد (١٦/١)، والترمذي (٢٧٩/٥) وقال حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه أحمد (٧٥/٢)، والطبراني في الكبير (٦٨/١٨).

وأخرج البغوى عن السليل الأشجعى قال وما له غيره وابن قانع عن أبى السليل وقال من قال السليل أخطأ مرفوعاً أتانى جبريل فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن شهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله.

وأخرج أحمد بسند رجاله ثقات رجال الصحيح عن ابن عمر، وابن ماجه بإسناد فيه مجهول عن أبى موسى مرفوعاً خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين أى المطهرين لا ولكنها للمذنبين الملوثين الخطائين وفى معنى هذه الأحاديث أحاديث أخر ذكرها فى "كنز العمال".(١)

وأخرج [١٥٣] أحمد، وأبو بكر الشافعى فى "الغيلانيات" وأبو نعيم، وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان قال سجد رسول الله ﷺ يوماً فلم يرفع رأسه حتى ظننا أن نفسه قد قبضت فيها فلما رفع قال إن ربى استشارنى فى أمتى ماذا أفعل بهم فقلت ما شئت يا رب هم خلقك وعبادك فاستشارنى الثانية فقلت له ذلك فاستشارنى الثالثة فقلت له ذلك فقال لى إنى لن أخزيك فى أمتك يا أحمد الحديث. وفيه فلم أجد شكراً إلا هذه السجدة وقد ذكره بتمامه فى "الخصائص الكبرى" وفى "الجمع" وفى "كنز العمال". (٢)

وأخرج الطبرانى فى "الكبير" عن معاذ مرفوعاً يا معاذ رأيت أى سجودى له تعالى قال نعم قال تدرى لم ذلك إنى صليت ما كتب لى ربى وأتانى ربى فقال يا محمد ما أفعل بأمتك قلت ربى أنت أعلم فأعادها على ثلاثاً أو أربعاً فقال لى فى آخرها ما أفعل

---

(١) أخرجه أحمد (٧٥/٢)، وابن ماجه (١٤٤١/٢).

(٢) أخرجه (٣٩٣/٥).

بأمتك قلت أنت أعلم يا رب قال إنى لا أحزيك فى أمتك فسجدت لربى وربك شاكر يحب الشاكرين.[(١)]

ما صدر من النبي ﷺ بلا وحى ولا اجتهاد ولكن باختيار من نفسه

وأحاديث هذا الباب كثيرة: ثالثها أن يكون ما صدر منه من ذلك بلا وحى ولا اجتهاد أيضاً ولكن باختيار من نفسه ورأى من عنده نظرا إلى التفويض العام الباطنى الواقع له من الله تعالى فى أن يشرع من قبل نفسه ما شاء أو يحكم بما شاء وقد سبق عن الشيخ الأكبر أن الأنبياء أعطاهم الحق تعالى التشريع وتقدم أيضاً عن العارف بالله الشعرانى التصريح بأن الحق تعالى جعل له ﷺ أن يشرع من قبل نفسه ما شاء كما فى حديث تحريم شجر مكة بل نقول إن هذا التفويض العام الباطنى واقع منه [١٥٤] تعالى له ﷺ فى المملكة الربانية بأسرها وكرة العالم بأجمعها لأنه خليفته الأكبر فى جميع المملكة ووكيله العام فى كل ما يعرض لها من خير أو شر وغيره من جميع الخلفاء والمتصرفين والمأذونين بالتولية والعزل والإعطاء والمنع وغيرها من نبى ورسول وقطب وولى دون مرتبته ومندرجون تحت وكالته وخلافته ومأمورون من قبل الله تعالى ببيعته والدخول فى حزبه وطاعته ونظيره ولله المثل الأعلى ملك عظيم فى غاية الملك والعظمة له مملكة واسعة جدا وجنود لا تنحصر ورعايا متنوعة فى أقطار شاسعة وعوالم مختلفة ثم إنه لم يكن بينه وبين رعاياه وجنوده مناسبة أصلاً ولا مشاكلة فى أمر ما وارتفع شأنه عن أن يتنـزل إليهم بنفسه ويأمرهم وينهاهم بذاته فجعل بينه وبينهم واسطة من جنسهم انتخبه من جميعهم واصطفاه من سائرهم وجعله واسطة عقدهم وقطب دائرتهم ومحل جميع شؤنه وأحكامه وأسراره وما يبرز عنه فكان هذا الواسطة يأخذ عنه ويتلقى كل ما يريد أن يفعله أو يأمر به ثم ينـزل به إلى رعاياه ممتثلاً فيهم أمره منفذاً فيهم أحكامه ثم إن الملك لغناه عن العالمين وعزة هذا الواسطة لديه وعظيم محبوبيته عليه وعلمه بنـزاهته من سائر الأدناس وطهارته من النقائص وجميع الأرجاس

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٢/٢٠).

واتصافه بسائر الكمالات وموافقته له فى كل الحالات فوض إليه أمر مملكته إبراما وحلا إعطاء ومنعا عزلا وتولية وغير ذلك وأنــزله فيها منــزلته وأمر أهلها [١٥٥] كلهم على لسانه بالسماع له والطاعة والانقياد لأمره وأعلمهم بأن طاعته طاعته وبيعته بيعته وأنه فى مجاز القول هو وإن من خرج عن طاعته لمحة أو عن دائرته لحظة استحق منه الوبال العظيم والنكال الأليم وصدقه فيما بلغ عنه بالآيات والعلامات وأيده بالدلائل القاطعات ولحسن أدب هذا الواسطة وكمال شرفه وإن كان له التفويض من الملك لم يتصرف فيهم فى أكثر الحالات وأغلب الأوقات إلا بأمره الخاص ولم يفعل معهم إلا ما يعلم موافقته لحضرة الاختصاص والملك مع ذلك يأمره وينهاه ويوجه خطاباته إليه إظهارا لعزته ورفعته وإعلاماً بأنه الملك الحقيقى وصاحب السلطنة الحقيقية وأن هذا الواسطة مولى من قبله لا غير وهو مع ذلك يلاطفه فى القول ويجاريه فى الأحوال ويظهر محبوبيته لديه ورفعة مكانته عنده وربما خيره فى شىء خاص تأكيدا للتخيير العام فيه وفى غيره زيادة فى شرفه وربما علم منه أنه يحب شيئا أو يريد أمراً فأصدر الأمر بموافقته إسعاداً له ومبالغة فى إرضائه وإعلاناً بأن مشيئته لا تخرج عن مشيئته وربما عاتبه على أمر وهو يعلم نــزاهته فى الظاهر والباطن لحكمة له فى ذلك وربما خاطبه بشدة والمقصود غيره من الرعايا سياسة فى ذلك ومبالغة فى زجرهم وردعهم إلى غير ذلك أفيكون هذا إن فعله الملك نقصا أو عيبا لا والله بل هو غاية الحكمة ونهاية الكمال وقد حكى التفويض فى المملكة الربانية بأجمعها عن غير [١٥٦] واحد من الأولياء الكبار.

ففى "روض الرياحين" لليافعى ما نصه: الحكاية الثامنة والأربعون بعد الأربعمائة قال المؤلف رضى الله تعالى عنه وكان الله له سمعت من غير واحد من الصالحين ومن الثقات يروون عن الشيخ أبى الغيث ﷺ أنه قال أتى الشيخ والفقيه السيدان الكبيران العارفان المشهوران المقدمان صاحبا عواجة إلى شيخى السيد الجليل العارف بالله الشيخ على المعروف بالأهدل رضى الله تعالى عن الجميع ونفعنا والمسلمين ببركتهم وطلبا منه أن يذهب معهما إلى بعض المواضع قال فوافقهما وذهبت أنا معهم فلما

كان بعض الليل إذا أنا أنظر الشيخ والفقيه فى الهواء فوقفا وفى يديهما سيفان مسلولان وأنا والشيخ رضى الله تعالى عنه فى الأرض ونحن سائرون فذكرت ما رأيت منهما للشيخ على فقال لى يا أبا الغيث هذان فى مقام التولية والعزل يوليان ويعزلان بإذن الله تعالى وسوف أرثهما أنا وترثنى أنت رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم قلت أى قال اليافعى يعنى أنه فوض إليهما فى التصرف فى المملكة بعد أن وفقا لموافقة مراد الحق عز وجل وقد بلغنى أنهما سمعا خطابا من قبل الحق عز وجل وهو يقول لهما إذا أردتما أن تفعلا شيئا فافعلا ولا تسألانى فإنى أكره أن أرى ذل السؤال فى وجوهكما رضى الله عنهما ونفعنا بهما انتهى منه بلفظه وفيما تقدم عن الشيخ أبى العباس التجانى أن معنى قول الجيلانى وأمرى بأمر الله إن قلت كن يكن وقول زروق:

وملكت أرض الغرب طرا بأسرها ... وكـــل بـــلاد الشرق فى طى قبضتى

[١٥٧] وقول الآخر:

يـــا ريـــح اســـكنى علـــيهم بإذنى

إلى غير ذلك من كلام السادات أن الله ملكهم الخلافة العظمى واستخلفهم الحق على مملكته تفويضاً عاماً أن يفعلوا فى المملكة كل ما يريدون ويملكهم الله تعالى كلمة التكوين متى قالوا للشيء كن كان من حينه انتهى.

وإذا كان هذا التفويض واقعاً للأولياء وما نالوه إلا من جهته ﷺ وبواسطته ومن بابه فكيف به عليه الصلاة والسلام بل لا شك أنه واقع له أيضاً وأنهم فيه دونه بمراتب لأن مراتبهم فيه لا تخلو من تحجير وإن مرتبته ﷺ هى الرتبة العليا والغاية القصوى التى لا رتبة فوقها ولا حجر فيها بوجه من الوجوه أصلاً وانظر إلى الصحابة رضوان الله عليهم وما هو معلوم من عوائدهم من الانقياد له ﷺ فى كل ما يشرعه أو يقوله أو يفعله من الأحكام وغيرها فى ماله ولو علموا أن ما شرعه أو قاله أو فعله هو من عنده لا من عند الله وما ذاك إلا لعلمهم بأنه عليه السلام نائب عن الله تعالى فى التشريع

وغيره وأن ما يقوله أو يفعله أو يشرعه من عنده كالذى يقوله أو يفعله أو يشرعه بوحى ظاهر من الله من غير فرق بينهما.

وانظر إلى ما أخرجه ابن عساكر فى "تاريخه" عن أبى هريرة قال جاء الحارث الغطفانى إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد شاطرنى تمر المدينة وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً فقال ﷺ حتى أستأذن السعود فدعا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسعد بن زرارة فقال ما قد تعلمون [١٥٨] أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وهذا الحارث الغطفانى يسألكم أن تشاطروه تمر المدينة فادفعوها إلى يوم ما فقالوا يا رسول الله إن كان هذا أمراً لله عز وجل فالتسليم لأمر الله وإن كان هذا أمراً من أمرك أو هوى من هواك فأمرنا لأمرك تبع وهوانا لهواك تبع وإلا والله لقد كنا نحن وإياهم فى الجاهلية على سواء ما كانوا ينالون منا تمرة ولا بسرة إلا بشراء أو قرى فكيف وقد أعزنا الله بك وبالإسلام فقال النبى ﷺ ها يا حارث قد تسمع الحديث.[١] ذكره بتمامه فى الجامع الكبير فى مسند أبى هريرة إلا أنه قال فى آخره فيه عثمان بن عثمان الغطفانى ضعيف انتهى.

يخص ﷺ من شاء بما شاء

وانظر أيضاً إلى ما ذكره الفقهاء كما يأتى عنهم من أن خصائصه عليه السلام أن له أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام أو غيرها يعنون به أن الله تعالى جعل له ذلك وهو إن تأملته من نتائج التفويض العام الذى جعل إليه وإن لم يصرح الفقهاء به لأن لهم حدودا يقفون عندها ولا يتجاوزونها ﴿ **ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ** ﴾ [النجم:٣٠] ولله عباد ميزهم بعلم خاص وسر مكنون وأطلعهم عناية منه بهم من عنايته بحبيبه المصطفى وإعلائه لقدره وشأنه على ما لم يطلع عليه غيرهم وله ﷺ مع ذلك عند ربه تعالى من علو القدر ورفعة المنـــزلة ما لا يعلمه سبحانه سواه.

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤١٢/١٢).

هل يجوز أن يفوض الله تعالى الحكم إلى نبي أو عالم؟

وقد صرح أرباب الأصول بأنه يجوز على الصحيح ومذهب الأكثرين خلافاً لجمهور المعتــزلة أن يفوض الله تعالى الحكم إلى نبى أو عالم بأن يقول له احكم بما تشاء فى الوقائع من غير اجتهاد ولا دليل فما صدر منك فهو حكمى فى عبادى ويكون إذ ذاك [١٥٩] قوله من جملة المدارك الشرعية وقالوا أنه لا مانع من ذلك لا عقلا ولا شرعا واختلفوا هل ذلك واقع أم لا؟ ومنهم من قال أنه واقع له ﷺ دون غيره ونص ابن الحاجب فى مختصر المنتهى له مسألة يجوز أن يقال للمجتهد احكم بما شئت فهو صواب وتردد الشافعى ثم المختار لم يقع لنا لو امتنع الكل لغيره والأصل عدمه قال شارحه العلامة المحقق عضد الملة والدين فى شرحه ما نصه: يجوز أن يفوض الحكم إلى مشيئة المجتهد من غير أن يكون له دليل يتمسك به بأن يقال له احكم بما شئت فهو صواب وتردد الشافعى ﷺ فى جواز التفويض وعدمه وجوز بعضهم تفويض الحكم إلى مشيئة النبى ﷺ فقط ومنهم من منع التفويض مطلقاً واختار المصنف الجواز وعدم الوقوع واحتج على الجواز بأنه لو امتنع تفويض الحكم إلى مشيئة المجتهد لكان امتناعه لغيره إذ لو امتنع لذاته للزم من فرض وقوعه محال لكن لا يلزم من فرض وقوعه محال فثبت أنه لو امتنع لكان لغيره والأصل عدم الغير انتهى المراد منه بلفظه ثم قال ابن الحاجب عقبه قالوا يؤدى إلى انتفاء المصالح لجهل العبد وأجيب بأن الكلام فى الجواز ولو سلم لزمت المصالح وإن جهلها قال شارحه المذكور ما نصه: المانعون من جواز تفويض الحكم إلى مشيئة المجتهد قالوا تفويض الحكم إلى مشيئة المجتهد يؤدى إلى انتفاء المصالح المقصودة من شرع الحكم لأن العباد جاهلون بالمصالح فيجوز أن يختاروا ما ليس بمصلحة أجاب بأن الكلام فى جواز تفويض الحكم إلى مشيئته [١٦٠] لا فى وقوعه ولا يلزم من الجواز انتفاء المصالح ولو سلم أن الكلام فى الوقوع لزمت المصالح وإن جهلها العبد لأن الشرع أخبر عن إصابته فما يختاره العبد يكون مصلحة انتهى بلفظه أيضاً.

ثم قال ابن الحاجب الوقوع قالوا ﴿ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [آل عمران:٩٣] وأجيب بأنه يجوز أن يكون بدليل ظنى قالوا قال صلوات الله عليه: لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها. فقال العباس: إلا الإذخر. فقال: إلا الإذخر.

وأجيب بأن الإذخر ليس من الخلا فدليله الاستصحاب أو منه ولم يرده وصح استثناؤه بتقدير تكريره لفهم ذلك أو منه وأريد ونسخ بتقدير تكريره بوحى سريع قالوا لولا أن أشق وأحجنا هذا لعامنا أو للأبد فقال للأبد ولو قلت نعم لوجبت.

ولما قتل النضر بن الحارث وأنشدته ابنته:

ما كان ضرك لو مننت وربما   من الفتى وهو المغيظ المحنق

قال عليه السلام لو سمعته ما قتلته وأجيب بجواز أن يكون خير فيه معينا ويجوز أن يكون بوحى قال شارحه المذكور ما نصه: القائلون بوقوع تفويض الحكم إلى مشيئته للمجتهد احتجوا بوجوه الأول قوله تعالى ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [آل عمران:٩٣] فإن الآية دلت على أن التحريم فوض إلى مشيئته أجاب بأنه يجوز أن يكون تحريمه على نفسه بدليل ظنى فإن الآية دلت على التحريم المطلق ولا تدل على التحريم من غير دليل.

الثانى: أن النبى ﷺ قال يوم فتح مكة إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر [١٦١] فقال عليه السلام إلا الإذخر فهذا الاستثناء صدر من النبى ﷺ من تلقاء نفسه لا لدليل وقوله لا يختلى أى لا يقطع والخلى مقصور الرطب من الحشيش الواحدة خلاة والإذخر نبت طيب الرائحة أجاب بأن الإذخر ليس من جنس الخلى فجواز اختلائه ليس مستفاداً من الاستثناء بل مستند إلى الاستصحاب والاستثناء الذى ذكره مؤكد للاستصحاب ولو فرضنا أن الإذخر من جنس الخلا يجوز أن لا يكون الإذخر مرادا فلا يكون داخلا تحت الخلى فى التحريم.

فإن قيل إذا لم يكن الإذخر مرادا لم يصح الاستثناء فإن عدم الإرادة ينافى صحة الاستثناء أجيب بأنا لو قدرنا أن استثناء النبى ﷺ تكرير لاستثناء العباس حتى يكون معناهما واحدا صح الاستثناء وإن لم يرده الرسول عليه السلام لفهم العباس إرادة الإذخر فيكون صحة الاستثناء لفهم العباس الإرادة لإرادة الرسول عليه السلام ولو سلم أن الإذخر من جنس الخلا وأريد منه وقدرنا أن تكرير الاستثناء لأجل الإرادة لم يلزم المدعى فإنه يجوز أن يثبت حرمة الإذخر بالعام ونسخ بوحى سريع.

فإن قيل الناسخ يجب تأخره عن المنسوخ والوحى السريع على تقدير تحققه غير متأخر عنه فلا يكون ناسخا أجيب بأن الناسخ يجب أن يكون متأخرا عن الحكم والوحى السريع وإن كان غير متأخر عن قول الرسول لكنه متأخر عن الحكم فإن حرمة اختلاء الخلا ثابتة قبل تكلم الرسول عليه السلام بحرمته [١٦٢].

الثالث: قوله عليه السلام لولا أن أشق على أمتى لأمرهم بالسواك فإنه أسند الأمر إلى نفسه وهذا يدل على أنه مفوض إلى اختياره وإلا لما أسنده إلى نفسه.

الرابع: أنه لما قام سراقة بن مالك بن جعشم فى حجة الوداع وقال يا رسول الله أحجنا هذا لعامنا أم للأبد فقال عليه السلام للأبد ولو قلت نعم لوجبت ولولا أنه مفوض إلى مشيئته لما وجب بقوله نعم

الخامس: أنه لما قتل النضر بن الحارث جاءت ابنته إلى النبى ﷺ وأنشدته

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

فقال عليه السلام لو سمعته ما قتلته ولولا أن قتله مفوض إلى النبى ﷺ لما قال الرسول عليه السلام ذلك والغيظ غضب كامن للعاجز يقال غاظه فهو مغيظ والمحنق المغيظ وأحنقه غيره فهو محنق والجواب عن الوجوه الثلاثة أنه يجوز أن يكون الرسول مخيراً بين الأمرين على التعيين على معنى أنه خير بين أن يأمر بالسواك أو لا يأمر وبين أن يأمر بالحج فى كل سنة وبين أن لا يأمر وكذا فى قتل النضر بن الحارث فلا يلزم أن

يكون الحكم مفوضا إلى مشيئته أو يكون قول الرسول عليه السلام بالوحى لا من تلقاء نفسه فلا يكون من باب المتنازع فيه انتهى بلفظه أيضاً.

وقد بحث غير واحد من المحققين فى هذه الأجوبة فقال الكمال بن الهمام فى تحريره فى رد جواب الوجه الأول لو كان تحريم ما حرم إسرائيل على نفسه عن اجتهاد ظنى لم يكن كل الطعام حلا لبنى إسرائيل قبل إنــزال التوراة [١٦٣] لأن الدليل يظهر الحكم لا ينشئه لقدمه وقال غيره فى رد جواب الوجه الثانى إن الظاهر من اللغة وهو الظاهر والمتبادر من الحديث أن الإذخر من جنس الخلى وأنه أريد دخوله تحته فى التحريم أولاً ولكن استثناه الشارع منه ثانيا لموافقة عمه سيدنا العباس فى المصلحة التى ذكرها والظاهر المتبادر أن ذلك من نفسه الطاهرة لا بوحى وكونه بوحى سريع فى تجويز عقلى مخالف للظاهر فلا يعول عليه.

وقال الكمال أيضاً فى " التحرير " فى رد أول جواب الوجوه الثلاثة الأخيرة وفى آخر كلامه إيماء إلى رد الثانى أيضاً ما نصه: لا يخفى أن الأول رجوع عن الدعوى وهى أنه أى التفويض لم يقع واعتراف بالخطأ أى من نفى الوقوع فالحق أنه وقع ولا ينافى ما تقدم من أنه متعبد بالاجتهاد لأن وقوع التفويض فى أمور مخصوصة لا ينافيه وإذن فكونه كذلك أى مفوضا إليه فى الإذخر أسهل مما تكلف وأقرب إلى الوجود انتهى.

وبحث معه شارحه ابن أمير الحاج وقال ما نصه: كلام المصنف يوهم أن القول ما قاله القائلون بالوقوع وليس كذلك فإن الذى يظهر كون محل النــزاع هو الوقوع كليا لأنه المتنازع فى جوازه أولاً ثم وقوعه ثانيا كما هو ظاهر جواب مانعيه وموضع المسألة لا جواز التفويض فى الجملة أولاً ثم وقوعه ثانيا ليترتب عليه بهذه الجزئيات صحة قول القائلين بالوقوع وعدم صحة قول مانعيه وحينئذ فالحق الأبلج أنه إنما يثبت الوقوع بثبوت سمع يفيده للمكلف أو مجتهد أو [١٦٤] نبى على الاختلاف فى ذلك والقطع بانتفائه أى السمع على التقديرين الأولين أى للمكلف والمجتهد والظاهر انتفاؤه

على التقدير الثالث – أى للنبى مع ما يشده أى يعضده من وجود المنافى له من تحقق كونه متعبدا بالاجتهاد ثم لا يتعين عن وقوعه فى جزئيات خاصة وقوعه له كلياً ولا ينبغى أن يختلف فيه انتهى منه بلفظه.

وحاصله تسليم وقوع التفويض له ﷺ فى الجملة أى فى جزئيات مخصوصة قلت ولا شك فيه لدلالة الأحاديث الكثيرة عليه وبيان هذا ليس من محل النـــزاع وإن محله وقوعه كلياً أى فى جميع الجزئيات واستظهار أن هذا لم يقع وأكد ذلك بما ذكروه من أنه كان متعبداً بالاجتهاد فى الأمور التى لم ينـــزل عليه فيها وحى.

تخصيصه ﷺ لكثير من الناس بأشياء تفيد الوقوع له

وأقول كثرة الجزئيات الواردة فى هذا الباب التى منها ما تقدم فى الأخبار السالفة ومنها ما يأتى فى تخصيصه لكثير من الناس بأشياء تفيد الوقوع له ﷺ كلياً إلا أنه لم يكن يعمل على ذلك فى أغلب الأحوال وينتظر الوحى أدبا مع مولاه سبحانه وتعالى وقد يجتهد أحيانا إذا اقتضى الحال ذلك تشريعا للأمة وتعليما لهم ومعنى كونه كان متعبدا بالاجتهاد أنه كان مأمورا بالعمل بما يقتضيه كأنه وحى لا أنه كان يجب عليه أن يجتهد فى الأمور التى لا وحى فيها فإن ادعى هذا مدع كان مطالبا بالدليل الخاص عليه وليس بموجود كيف وقد قيل بمنع الاجتهاد عليه جملة كما سبق وقد يظهر هذه الفضيلة التى تفضل بها مولاه عليه ويعمل عليها [١٦٥] ويختار ما يظهر له من قبل نفسه من غير اجتهاد عند اقتضاء الحال ذلك أيضاً إعلانا بخلافته العظمى عن الله ونيابته عنه فى الأحكام وغيرها ويحل منصبه عليه السلام عند الخيرة من أن يخطر بباله غير الحق وما هو الواقع عند الله تعالى فافهم وقد تكلم على هذه المسألة أيضاً القرافى فى التنقيح وشرحه فقال فى التنقيح ما نصه: العصمة وهى أن العلماء اختلفوا هل يجوز أن يقول الله تعالى لنبى أو عالم احكم فإنك لا تحكم إلا بالصواب فقطع بوقوع ذلك موسى بن عمران من المعتـــزلة وقطع جمهور المعتـــزلة بامتناعه وتوقف الشافعى ﷺ فى امتناعه وجوازه ووافقه الإمام انتهى.

وقال فى شرحه ما نصه: حجة الجواز والوقوع قوله تعالى ﴿ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [آل عمران:٩٣] فأخبر الله تعالى أنه حرم على نفسه ومقتضى السياق أنه صار حراما عليه وذلك يقتضى أنه ما حرم على نفسه إلا ما جعل الله له أن يفعله ففعل التحريم ولو أن الله تعالى هو المحرم لقال إلا ما حرمنا على إسرائيل حجة المنع أن ذلك يكون تصرفاً فى الأديان بالهوى والله تعالى لا يشرع إلا المصالح لا اتباع الهوى. وأما قصة إسرائيل عليه السلام فلعله حرم على نفسه بالنذر ونحن نقول به حجة التوقف تعارض المدارك انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ أبو العباس أحلولوا المالكى فى شرحه أيضاً ما نصه: هذه المسألة تسمى بالعصمة كما ذكره المصنف - يعنى القرافى وتسمى بالتفويض والكلام فيها على الجواز [١٦٦] والوقوع وذكر المصنف فى شرح المحصول عن أبى يعلى الحنبلى أنه قال فى " العمدة " هذه المسألة مبنية على أنه عليه الصلاة والسلام هل له أن يجتهد أم لا فإن قلنا له الاجتهاد فهل له أن يختار ما خطر بباله من غير مدرك ويكون صوابا لأن الله تعالى أخبر بذلك أم لا قال ومذهبنا جوازه وقال ابن برهان من الشافعية مذهبنا جواز هذه المسألة ووقوعها وهذا خلاف ما نقل الإمام عن الشافعى من التوقف فى الجواز وعزا العراقى القول بعدم الجواز لجمهور المعتـــزلة وقيل إن تردد الشافعى فى الوقوع لا فى الجواز.

وقال ابن السمعانى يجوز للنبى دون العالم وعزاه ابن الحاجب للجبائى واختار هو وتاج الدين عدم ثبوت الوقوع لتطرق الاحتمال فيما يشعر بذلك من الظواهر انتهى منه بلفظه ونحوه له فى شرحه لجمع الجوامع لأن صاحبه تكلم عليها أيضاً.

ولنذكر ها هنا كلامه ممزوجاً بشرحه من كلام جلال الدين المحلى وغيره وإن كان فيه بعض تكرار مع ما سبق زيادة فى الإفادة والأيضاح:

قال رحمه الله مسألة يجوز على ما ذهب إليه الأكثرون فى الأصول وصححوه أن يقال أى من قبل الله عز وجل لنبى أو عالم أى على لسان نبى احكم بما تشاء أى فى

الوقائع بلا دليل فهو صواب أى فما حكمت به صواب موافق لحكمى بأن يلهمه الله إياه ويكون ما يجيء به هو حكم الله الأزلى فى نفس الأمر إذ لا مانع من جواز هذا القول لا سمعى ولا عقلى ويكون أى هذا القول مدركا شرعيا أى دليلا من جهة الشرع على أن حكم الله [١٦٧] فى المسألة هو ما يقوله ذلك المقول له ويسمى هذا القول بالتفويض لدلالته عليه والمسألة كلها بمسألة التفويض وتردد الشافعى ﷺ أى فيه قيل فى الجواز وقيل فى الوقوع أى قال الإمام وأتباعه تردده فى الجواز وتعقب بأنه كيف يتردد فيه وفرض المسألة قول الله فما حكمت به فهو صواب ولا مانع من العقل إذ لا يلزم من وقوعه محال فالأليق كما قاله الكمال بن الهمام وقال الزركشى فى البحر أنه الأصح أن تردده فى الوقوع مع الجزم بالجواز ونسب أن تردد الشافعى فى الوقوع للجمهور كما أنه نسب التردد فى الوقوع لهم ومقتضى كلام ابن برهان فى الأوسط أن مذهب الشافعى الجواز والوقوع لقوله مذهبنا جواز هذه المسألة ووقوعها وقال ابن السمعانى أى وأبو على الجبائى فى أحد قوليه يجوز أى هذا القول للنبى دون العالم أى لأن رتبته لا تبلغ أن يقال له ذلك والحق هو الجواز مطلقاً للنبى والعالم كما أفاده القول الأول ثم أى بعد جوازه سواء كان لنبى أو عالم المختار أى عند المصنف تبعا للآمدى وابن الحاجب أنه لم يقع أى خلافاً لموسى بن عمران من المعتـــزلة حيث جزم بوقوعه ولكن للنبى ﷺ خاصة ولمن جزم بوقوعه له ولغيره من الأنبياء مستندين إلى الأدلة التى سبق الجواب عنها لكن تقدم الخدش فى تلك الأجوبة والتنبيه على أنه قد يدعى أخذ وقوع التفويض الكلى من تتبع الجزئيات الواردة فى هذا الباب عن نبينا ﷺ لأن من تتبعها وتأملها استروحه منها لكثرتها [١٦٨] جدا وبعد الاحتمال فيها وإن كان متطرقا إليها ولا بعد فى ذلك ونبينا ﷺ أهل لكل خير وقد دل على وقوع ذلك لغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حيث الجملة الآية الشريفة وهى قوله ﴿ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [آل عمران:٩٣] وعضد هذا كشف الأولياء وفهمهم النورانى وبصيرتهم النافذة وإلهامهم الصادق وتلقيهم عن الله ورسوله فإنهم أخبروا حسبما تقدم عنهم أن الله تعالى أعطى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام أى من

حيث الجملة التشريع وأنه تعالى جعل لنبيه ﷺ أن يشرع من قبل نفسه ما شاء ووافقه من كلام أهل الأصول قول ابن برهان من أجلة الشافعية فى أوسطه مذهبنا جواز هذه المسألة ووقوعها ومن كلام فقهاء المذاهب قولهم إن من خصائصه ﷺ أن الله تعالى جعل له أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام وغيرها يعنون أنه جعل له أن يحلل لهذا ما حرم على غيره وأن يحلل على هذا ما أحل لغيره وأن يرخص لهذا فيما لم يرخص فيه لغيره ويقسم لهذا من المواهب والعطايا والعلوم ونحوها ما لم يقسم لغيره وهكذا والمتبادر من كلامهم أن له أن يفعل ذلك باختياره ومن قبل نفسه من غير استناد إلى وحى ولا دليل وحاشاه أن يفعل شيئا عن هوى والله يقول ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم:٣] والنطق فرض مثال فلا يفعل شيئا أصلاً ولا يهم به قط عن هوى بل لا يتحرك إلا بحق ولا يسكن إلا به لأن أوصافه من أوصاف الله ونعوته من نعوته وحركاته وسكناته كلها به ومنه وعنه [١٦٩] وإليه وممن صرح بأن له أن يشرع من قبل نفسه العارف بالله الأصولى المحدث الصوفى سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى أوائل كتابه " الميزان " فإنه قال فيه كما سبق عنه أن الحق تعالى جعل له ﷺ أن يشرع من قبل نفسه ما شاء كما فى حديث تحريم شجر مكة وهذا هو عين التفويض الكلى فليتأمل فإنه خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا للشاربين.

ثم وجدتهم ذكروا فى المسائل التى وقع الاختلاف فيها بين إمامى أهل السنة والجماعة أبى الحسن الأشعرى، والشيخ أبى منصور الماتريدى وهى ثلاثة وسبعون مسألة على ما جمعه بعض العلماء فى رسالة له وذكره أيضاً جماعة من الأساتذة وإن كان بعضها قد يرجع إلى بعض إن من جملتها قول جمهور الماتريدية خلافاً لجمهور الأشاعرة أنه يجوز أن يعمل النبى ﷺ فى الأحكام الشرعية بالوحى أو الرأى أو الاجتهاد وإن اختلف فى تفصيله راجع شرح الخادم للطريقة المحمدية أواخر الفصل الأول من الفصول الثلاثة للباب الثانى من أبواب الكتاب الثلاثة.

تنبيه

وها هنا أمر ينبغى التنبيه له ويتأكد على كل مسلم أن يعمل عليه وهو ما ذكره العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى " كشف الغمة " أول كتاب النكاح ونصه: ثم اعلم أن كل ما مال إلى تعظيم رسول الله ﷺ لا ينبغى لأحد البحث فيه ولا المطالبة بدليل خاص فيه فإن ذلك سوء أدب فقل ما شئت فى رسول الله ﷺ على سبيل المدح لا حرج [١٧٠] انتهى منه بلفظه.

فاعلم هذا ولا تستغرب فى حقه ﷺ فضيلة أى فضيلة كانت واكتف فيها بأدنى إشارة وأقل دليل تكتب من المحبين العارفين بمقداره ﷺ وبما له عند الله من المكانة التى لا تدرك ولا تعرف ولا تشم رائحتها لنبى أو ملك فضلاً عن غيرهما ما لم يزاحم ذلك وصفا من أوصافه الربوبية فإنها تجل عن أن يشاركها مخلوق فى وصف أو شيء والله يتولى هدانا بمنه آمين ثم إنه يصدق على ما اختاره ﷺ من قبل نفسه فى هذين النوعين الأخيرين أنه بوحى من الله تعالى أيضاً لدخولهما فى مراتب الوحى العشرة السابقة بكون التخيير والتفويض الجزئى أو الكلى فيهما لا يكون إلا بمرتبة منها وما يكون به أحدهما به يكون ثبوت ذلك الحكم المختار له لأن اختياره بإذن منه تبارك وتعالى.

وقد ذكر بعض أرباب القلوب مراتب الوحى على وجه آخر غير الوجه السابق على ما تقدم مراتب أخرى فأحببت أن أذكر كلامه هنا لعزته وغرابته.

قال رحمه الله إن الذات العلية فى حضرة الطمس والعما الذاتى الذى لا ظهور فيه لاسم ولا صفة إلا الذات بالذات فى الذات عن الذات لا شيء غير ذلك لا مطمع لأحد من المخلوقات فى إدراكها ومعرفتها ولا يعلم ذاته تعالى فى تلك الحضرة إلا هو سبحانه لا غير والتعريف للمخلوقات إنما هو بمرتبة الألوهية وهى مرتبة ظهور اتصافه تعالى بالأسماء والصفات وطلبه العكوف على عبادته تعالى من جميع المخلوقات والخضوع تحت [١٧١] كبريائه وعظمته والتذلل لكمال عزته والخمود تحت قهره وسطوه بتسليم القياد إليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا منازع له فى حكمه منازعة

تدفع ما أراد من جميع العبيد وهذا التعريف له خمس مراتب: ظاهر، وباطن، وباطن باطن، وباطن باطن باطن، وباطن باطن باطن باطن، فالتعريف بظاهر الألوهية لأصحاب الحجاب من جميع الأكوان فكلها تقر له بالألوهية وتعترف بأنهم عبيد مقهورون تحت حكمه وهذا الأمر فيهم جبلة من أصل خلقتهم وتواتر بذلك أولهم وآخرهم والتعريف بالباطن الأول للصديقين والعارفين ممن دون الأقطاب والأغوات خرقوا حجاب الظواهر وبلغوا من باطن الألوهية إلى مرتبة حق اليقين فما الكون كله عندهم إلا صفات الله وأسماؤه حقيقة لا اعتقاداً فتجلى لهم سبحانه ببواطن أسمائه وصفاته وأفاض عليهم أسرارها فاختطفوا عن دائرة البشرية وصلت جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأفعالهم وأحوالهم وأقوالهم بالله محضا وحيث كانوا بالله كانوا فى جميع أمورهم لله وفيه وعنه موتى عن جميع ما سواه فهذه هى غاية الصديقين فى التعريف ليس لهم مطمع فى الوصول إلى ما وراء هذه المرتبة.

والتعريف بالباطن الثانى للأقطاب والأغوات ومن فى معناهم من الأفراد وأهل القربة تجلى عليهم سبحانه بالسر المصون والغيب المكنون الذى تنقطع الأعناق دون ذكره وأسرار هذا الباطن الثانى وعلومه ومعارفه لو تبدى منها لأكابر الصديقين مقدار هبة لذابوا من هيبة الجلال [١٧٢] وصاروا محض العدم فى أسرع من طرفة العين.

والتعريف بالباطن الثالث للنبيين والمرسلين تجلى عليهم سبحانه بسر السر وغيب الغيب مما لو تبدى منه للأقطاب والأغوات مقدار هبة لذابوا.

والتعريف بالباطن الرابع له ﷺ دون غيره فهو حضرته الخاصة به التى لا مطمع للأقطاب والنبيين أن يشموا منها رائحة ولو تبدى منها مقدار هبة لأكابر الرسل فضلاً عن غيرهم لذابوا واضمحلوا فى أسرع من لمحة.

الوحي من الله لكلٍ على قدر مرتبته

ثم الوحى من الله هو لأصحاب هذه المراتب الخمس كلها كل على قدر مرتبته فأما أصحاب المرتبة الأولى وهم جميع الخلق المحجوبون أصحاب ظاهر الألوهية فوحى الله إليهم ما يعطيهم فى حال المنام يكشف لهم عما شاء من أمور الغيب فى وقت ما لا فى جميع الأوقات وأما أصحاب باطن الألوهية وهم الصديقون والعارفون فوحيه إليهم أن كشف لهم أحوال الغيب جهارا وأشعرهم بما أسر به إليهم من أسرار وحقائق الأطوار وأذاقهم لذة المساررة بتبدى تلك الأسرار والحقائق ولكن وإن بلغوا من وحى الله إليهم ما بلغوا تقصر رتبتهم عن رتبة الأقطاب ومن ذكر معهم كما أن الأقطاب وإن بلغوا من وحى الله إليهم ما بلغوا تقصر رتبتهم عن رتبة النبيين كما أن رتبة النبيين فى ذلك تقصر عن رتبة الرسل وإن بلغت فى الوحى ما بلغت تقصر عن رتبته ﷺ فوحى الله إليه ﷺ فى مرتبة لا يساويه فيه مخلوق ولا يشم أحد رائحة وحيه فى تلك المرتبة ثم إنه يسمع السر المصون أى الكلام الأزلى [١٧٣] جهارا كما رأى بعينى رأسه السر المصون أى الذات العلية جهاراً.

ثم الوحى للنبيين من حيث ما هو هو أقسام عديدة لأنه تارة يكون لمجىء الملك وهو أنواع ثلاثة لأنه يأتى الرسول فإما أن يخبره بقول الله الذى نشأ به الأمر وهذا هو القرآن وإما أن يخبره بأمره مجرداً عن القول المذكور وهو ما عداه وإما أن يلقى إليه بطريق النفث فى الروع وهو الإلهام الملكى وهو قطعى بجميع أنواعه وتارة يكون بالإلقاء أى إلقاء الله تعالى بنفسه الشيء فى الروع وهو الإلهام الإلهى الخالى عن واسطة الملك وإشارته وهو أيضاً أنواع ثلاثة لأنه إما مقرون باللقاء أى المكالمة والمحادثة معه تعالى بالسر وهى مرتبة مصونة عند أهلها لا تذكر ولا يعلمها إلا أهلها يتلقى فيها الرسول بسره الأمر الإلهى من الله تعالى بلا واسطة ملك من غير سماع لكلامه تعالى وإما مقرون بالتلقى وهو توجه الرسول بكلية باطنه إلى حضرة الحق تعالى فى طلب الحكم فى شيء أو العلم به كشفا فيجاب من الحين أن الحكم فيه كذا وكذا وإما مجرد عنهما وهو ما يكون بطريق الورود بغتة من غير لقاء ولا توجه ولا سؤال يرد عليه

الوارد فى حضرته من عند الله تعالى فجأة فيلقى إلى سره ما يلقى من التعريفات والأسرار والعلوم وكشف الغيوب وتحقيق الأمور وصاحب هذا الإلقاء بأنواعه لا يعلم من أين يدخل عليه ولا كيفية دخوله وهو أيضاً قطعى بجميع أنواعه.

وتارة يكون بسماع السر المصون أى الكلام الأزلى جهارا وهو الرتبة العليا [١٧٤] فى الوحى ولا مرتبة فوقها وهو أيضاً أنواع ثلاثة إما أن يكون مع المواجهة من غير حجاب وإما مع حجاب الصورة المتجلى فيها وإما بدون مواجهة ولا رؤية صورة بل يسمع الخطاب ولا يرى له ملقيا فيعلم أنه من عند رب الأرباب سبحانه وتارة يكون من فيض المقام الذى تقتضيه المشاهدة وتارة يكون بالنظر فى مراتب الأسماء والصفات وما تطلبه أو تستحقه من الخواص فيأخذ منها فيضا إلهيا روحيا ربانيا يعلم به حكم الغيب وصريح الأمر الإلهى وهذا هو المسمى عندهم بطريق الأسرار وهو علم ثابت للرسل عليهم الصلاة والسلام من النظر فيما ذكرناه مهما أمرهم الحق تعالى بأمر أو نهاهم بنهى أو كشف لهم عن حقيقة أو غيب أطلعهم على سره ضراً ونفعاً وطيباً وخبيثاً ونوراً وظلمة وخاصيته بحسب ما تقتضيه أسماؤه وصفاته فيعلم الرسل من ذلك خواص الأسماء والصفات وما تطلبه من فعل أو ترك أو ضر أو نفع أو غير ذلك فإذا نــزل بالرسول أمر ولم يأته فيه وحى من قبل الله تعالى نظر إليه فإن وجد فيه سر النفع بمقتضى الأسماء والصفات أمر به وإن وجد سر الضر بمقتضاها أيضاً نهى عنه وإن وجد فيه خاصية كذا علم أن حاله كذا وهكذا وتارة يكون بالنظر فى قواعد الحكمة السارية فى الوجود وهو طريق النسب فإن الأشياء فى الحضرة الإلهية كلها متناسبة على قانون لا تنافره الحكمة، فلا يتأتى فى الوجود من طريق الحكمة أن تلد الآدمية حمارا أو جملا ولا عكسه لعدم التناسب، والاقتطاع الإلهى [١٧٥] وإن كان أمراً خارقا لا يتوقف على وجود شيء ولا على عدمه لأنه اقتطاع بحكم المشيئة وهى لا تتوقف على شيء لكنه تعالى جعل له فى عالم الحكمة نسبا حكميا أن لا يقع إلا فى قابلية طبيعية لا غير فإن الزرع مثلا لا يصح زراعته على الحجر الصلد والصخرة الصماء ثم يتخللها زرع كامل ويخرج كما هو فى التراب الطيب لعدم النسبة القابلية له ولا يتأتى مثلا

خروج الزرع بعد بذره فى أرض إلا بتراب طيب وقذف ماء أو ندى فيه ثم تنمية الرياح والشمس له إلى أن يصير زرعا كاملا وبدون هذه الأمور لا يخرج زرعا كاملا لعدم المناسبة بفقد القابلية الطبيعية وهكذا وهذا أمر معلوم للرسل عليهم الصلاة والسلام يعرفون به الأحكام المناسبة وغيرها والجارية على قواعد الحكمة والغير الجارية وهى المنافرة لها وهو أمر قطعى عندهم كالذى قبله وتارة يكون بالنظر فى اللوح المحفوظ أو فى القلم الأعلى إذا كان الأولياء ينظرون فيهما ويأخذون الأشياء عنهما بطريق الأولوية، وتارة بالاطلاع على سر القدر والأعيان الثابتة واستعداداها فيعلم من ذلك كل نفس وما قسم لها وعين الحكم فى كل نازلة من النوازل إلى غير ذلك ويمكن رجوع هذا لطريق الأسرار السابق وتارة يكون بالنيابة بحكم المرتبة يعنى ينوب عن الله فى الأمر والنهى وغيرهما لحكم مرتبته بذلك وهى الخلافة فيوحى إلى نفسه من نفسه لكونه نبياً وخليفة ووكيلا مفوضا وهذه النيابة لا تذكر وذوقها عزيز الوجود إلى هذه المرتبة فى الوحى تشير [١٧٦] جميع الأحاديث القدسية فهذه هى مراتب الوحى للنبيين والمرسلين وهم فيها على قدر مراتبهم ودرجاهم وبالنظر فيها يعرف كمال اجتهادهم بأهم لا يفارقون هذه المراتب ولا يخرجون عنها ومن كان كذلك كان حكمه هو حكم الله تعالى فى باطن الأمر لكونه أخذ الحكم عن الله والخطأ فى الحكم لا يتأتى إلا بممازجة الطباع البشرية لنور العقل وتخبطه فى بعض دواعى الهوى ووقوعه فى شىء من بنيات الطرق المحذر منها ومن تخلص منها عرف حكم الله فى النوازل بتأييد إلهى ونور ربانى قال تعالى ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ [الأنفال:٢٩] وهذا الفرقان هو نور يمد به من أحبه من خلقه فيظهر له بذلك النور صورة الحق والباطل وأصحاب هذا إذا أدركتهم العناية الإلهية مهما نظروا فى نازلة لمعرفة حكم الله فيها تبدوا لهم كسوهًا الباطنية إما بأنوار عظيمة المقدار فيعلمون من ذلك أنه واجبة أو ضعيفة فيعلمون أهًا مستحبة وإما بظلام متراكم فيعلمون أهًا محرمة أو خفيف فيعلمون أهًا مكروهة وإما بلا نور ولا ظلام فيعلمون أهًا مباحة.

اجتهاده ﷺ ليس كاجتهاد غيره

وإن عرفت هذا عرفت أن اجتهاده ﷺ فى الأمور ليس كاجتهاد غيره فإنه عليه السلام حيثما أخذ الحكم والأمر من أى أقسام الوحى كان كان آخذا له عن الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكيف ما حكم فهو حكم الله لا يتطرق إليه الغلط ولا السهو ولا الضلال بوجه من الوجوه أصلاً ولذا قال تعالى ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور:٥٤] فكل أحكامه ﷺ وجميع تصرفاته [١٧٧] بطريق الوحى ليس فيها شيء من مخامرة الهوى ولا من طباع البشرية التى تخرج عن الحق ولذا برأه الله تعالى من الهوى بقوله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣،٤] وغيره من جميع النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على هذا المهيع انتهى كلامه بما أدمجته فيه من غيره وزدته بيانا وأيضاحا وهو نفيس غاية.

وفى " الفتوحات " فى الباب الخامس والثمانين ومائتين قال ما نصه: واعلم أنه ما من جنس من أجناس الجماد في السماء والأرض وإن كان الكل عندنا أحياء ولكن نجرى على المعهود المتعارف فى الحس الغالب وقال تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء:٤٤] وقال ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٤] وقال ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رجلاً ﴾ [الأنعام:٩] وقال ﴿ لو كان فى لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾ [الإسراء:٩٥] وقال ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم:٤] أى بلحنهم، والوحى على ضروب شتى، ويتضمنه هذا المنزل فمنه ما يكون متلقى بالخيال كالمبشرات فى عالم الخيال وهو الوحى فى النوم، فالمتلقى خال والنازل كذلك، والوحى كذلك ومنه ما يكون خيالا فى حس على ذى حس ومنه ما يكون معنى يجده الموحى إليه فى نفسه من غير تعلق حس ولا خيال بمن نزل به وقد يكون كتابة، ويقع كثيراً للأولياء، وبه كان يوحى لأبى عبد الله قضيب البان ولأبى زكريا البجائى بالمعرة بدير القرة ولبقى بن مخلد تلميذ أحمد بن حنبل صاحب " المسند " ولكن كان

أضعف الجماعة فى ذلك فكان لا يجده إلا بعد القيام من النوم مكتوبا فى ورقة. انتهى منه بلفظه.

قلت: والكامل إذا تخلق بالأسماء [١٧٨] الإلهية وتحقق بها يصير ملحوظا من جانب الأزل محفوظا بالكلية عن أن يلم به الخطأ أو يعرض له الزلل لكونه تخلق فى جميع حركاته وسكناته بأسماء الحق وتحقق فى ذاته وصفاته بطهارته عن أحكام ما سوى الحق بحيث لم يبق له فعل سوى فعل حق بحق لحق قال تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:١٧] وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح:١٠] وقال ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى ﴾ [النجم:٣] لتحققه بجميع ذراته وسائر حالاته بالحق تعالى ومن وصل لهذه المرتبة لا تكون له إرادة ممتازة عن إرادته تعالى بل هو مرآة إرادة ربه وغيرها من الصفات وحينئذ لا تخرج أحكامه عن أحكامه ولا تصرفاته الباطنية عن تصرفه ويقع ما يريده من غير احتياج إلى قول ولا دعاء لموافقة إرادته لإرادة ربه وهو تعالى فعال لما يريد.

قال الصدر القونوى فى كتابه " النصوص " ما نصه: إن الكمل ومن شاء الله من الأفراد أهل الاطلاع على اللوح المحفوظ بل وعلى المقام القلمى بل وعلى حضرة العلم الإلهى فيشعرون بالمقدر كونه سبق العلم بوقوعه فلابد فلا يسألون مستحيلا غير مقدر الوجود ولا تنبعث هممهم إلى طلب ذلك والإرادة له قال وإنما قلت والإرادة له من أجل أن ثمة من يتوقف وقوع الأشياء على إرادته وإن لم يدع ولم يسأل الحق فى حصوله وقد عاينت ذلك من شيخنا ﷺ يعنى الشيخ الأكبر سنين كثيرة فى أمور لا أحصيها وأخبرنى ﷺ أنه رأى النبى ﷺ فى بعض وقائعه وأنه [١٧٩] بشره قال له الله أسرع إليك بالإجابة منك إليه بالدعاء انتهى المراد منه بلفظه وراجعه.

من خصائصه ﷺ أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام

ولنتعرض ها هنا لبيان ما أشرنا إليه لبعض فقهاء المذاهب من أن من خصائصه عليه الصلاة والسلام أن له أن يخص من نفسه أى من عنده وباختيار من شاء بما شاء من الأحكام وغيرها يعنون بالغير الأموال من الذهب والفضة وبقية المعادن والدواب والأنعام والأرض والألبسة والفرش والأمتعة وما شاكلها والعلوم اللدنية والأسرار الغيبية والإمدادات الباطنية والمواهب العرفانية والمقامات والأحوال وما شابهها فالكل ملك من أملاكه ولو كان بيد الغير فالنبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم يتصرف فيه بما شاء وكيف شاء خصوصية من الله تعالى له ومنحة ربانية منحه إياها.

قال الحافظ السيوطى رحمه الله فى " كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب " وهو " الخصائص الكبرى " له باب اختصاصه ﷺ بأنه يخص من شاء بما شاء من الأحكام ثم ذكر من الأحاديث ما يشهد له فيما نذكر جميعه إن شاء الله تعالى مع زيادات كثيرة ثم قال باب اختصاصه ﷺ بأنه كان يآخى بين من شاء ويثبت بينهم التوارث وليس ذلك لغيره ثم ذكر ما يشهد له أيضاً مما نذكره إن شاء الله تعالى.

وقال العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه " كشف الغمة " فى الباب الأول من أبواب النكاح فى بيان جملة من [١٨٠] خصائصه ﷺ مما ذكره فى آخره أنه نقله عن خط شيخه السيوطى فى القسم الثامن مما اختص به من الكرامات والفضائل ما نصه: وكان له أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين وكما رخص فى النياحة لخولة بنت حكيم وفى الإحداد أى فى تركه لأسماء بنت عميس وأسلم رجل على أنه لا يصلى إلا صلاتين فقبل منه ذلك وخص نساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن لكونهن غرائب لا مأوى لهن كما تقدم فى كتاب الفرائض بيانه، وكان أنس يصوم من طلوع الشمس لا من طلوع الفجر فالظاهر أنها خصوصية له وأصام أطفال بيته وهم رضع. انتهى منه بلفظه.

وقال صاحب " المواهب اللدنية " فى الكلام على خصائصه ﷺ ما نصه: ومن خصائصه عليه السلام أنه كان يخص من شاء بما شاء من الأحكام زاد شارحه العلامة المحقق المحدث أبو عبد الله محمد بن عبد الباقى الزرقانى المصرى المالكى عقبه وغيرها يعنى غير الأحكام مما ذكرناه آنفا ثم مثل فى " المواهب " لذلك بأمثلة وزاد عليه شارحه المذكور نقلاً عن الحافظ السيوطى أمثلة أخرى مما نذكر بعد جميعه إن شاء الله تعالى.

وقال فى " شرح الموطأ " له فى ترجمة النهى عن ذبح الضحية قبل انصراف الإمام فى الكلام على حديث أبى بردة بن يسار فى ذلك ما نصه: وفيه أن له ﷺ أن يخص من يشاء بما شاء ثم ذكر له أمثلة عديدة فانظره وفى " شرح مسلم " للنووى فى الكلام على حديث الترخيص لأم عطية فى مساعدة آل فلان فى النياحة [١٨١] ما نصه: هذا محمول على الترخيص لأم عطية فى آل فلان خاصة كما هو ظاهر ولا تحل النياحة لغيرها ولا لها فى آل فلان كما هو صريح فى الحديث وللشارع أن يخص من العموم من شاء بما شاء جواب الحكم فى هذا الحديث انتهى منه بلفظه وقد نقله الحافظ فى فتح البارى مسلما له كما نقله الأبى فى شرح مسلم باختصار.

وقال بعده ما نصه: قلت ولا يبعد ما ذكر من التخصيص وهو واضح على القول بأنه يصح أن يقال للمجتهد احكم بما شئت فهو حكم الله، ومثل هذا الاستثناء المذكور الاستثناء فى قوله للعباس إلا الإذخر حين قال العباس إلا الإذخر يا رسول الله ومن التخصيص ببعض الآحاد قوله فى الأضحية تجزئك ولن تجزى أحداً بعدك انتهى بلفظه أيضاً وقد نقله السنوسى فى إكماله مختصراً مسلما.

وقال الشيخ الإمام العلامة الشهير سيدى المهدى الفاسى فى شرحه لدلائل الخيرات الصغير وهو المسمى بمطالع المسرات فى الكلام على اسمه ﷺ وكيل ما نصه: ويحتمل أن يكون المراد أى بهذه التسمية التفويض إليه فى الأحكام الشرعية فيحكم باجتهاده حسبما ذكروا فى خصائصه أنه يجوز أن يقال له احكم بما تشاء فما حكمت

به فهو صواب موافق لحكمي على ما صححه الأكثرون فى الأصول وليس ذلك لغيره انتهى منه بلفظه.

وعبارته فى "الشرح الكبير" وهو المسمى بتحفة الأخيار ومعونة الأبرار المعتكفة على دلائل الخيرات وشوارق الأنوار ويحتمل أن يكون المراد بالتفويض إليه فى الأحكام الشرعية فيحكم باجتهاده وفى [١٨٢] "أنموذج اللبيب" للحافظ السيوطى ومن الخصائص أنه يجوز أن يقال للنبى احكم بما تشاء فما حكمت به فهو صواب موافق لحكمى على ما صححه الأكثرون فى الأصول وليس ذلك للعالم على ما اختاره السمعانى لقصور رتبته انتهى ولو أبدل قوله فيهما باجتهاده بقوله بما شاء لكان أنسب بما بعده لأن موضوعه كما سبق الحكم بما يشاء من غير دليل وهو لا يسمى اجتهادا.

وقد ذكر بعض شراح مختصر خليل فى الزكاة فى الكلام على زكاة المعدن عند استطرادهم لقضية إقطاع النبى ﷺ تميم بن أوس الدارى قرية عينون بنواحى بيت المقدس قبل فتحه وإمضاء عمر ذلك له لما فتحه أن الله تعالى ملكه الأرض كلها وفى عبارة الدنيا والجنة يقطع منهما ما أراد لمن أراد خصوصية له ونص الشيخ عبد الباقى الزرقانى فى شرحه لدى قوله فى الزكاة وحكمه للإمام إلى قوله إلا مملوكة لمصالح فله تنبيه إقطاعه ﷺ تميما الدارى بعض أرض بنواحى بيت المقدس قبل فتحه من خصائصه عليه الصلاة والسلام كما فى خصائص السيوطى الصغرى ونصه وكان يقطع الأراضى قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها وأفتى الغزالى بكفر من عارض أولاد تميم الدارى فيما أقطعهم انتهى زاد المناوى فى شرحها ونقله عنه ابن العربى فى القانون وأقره انتهى المراد منه بلفظه.

وعبارة كشف الغمة فى الخصائص نقلاً عن خط السيوطى وكان يقطع الأراضى قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها وله أن يقطع أرض الجنة من باب أولى [١٨٣] ﷺ انتهى ووجه كون إقطاع النبى ﷺ تميما من الخصائص كونه إقطاعا جازما لا تقدير فيه ولا تعليق حسبما يظهر من كلامهم وإقطاع غيره من الأئمة لأرض الحرب لابد

فيه من التعليق على الفتح إذ لا تصرف لهم فى أرض الحرب ما دامت أرض حرب وكونه إقطاعا ماضيا يلزم الأئمة بعده إنفاذه مطلقاً وإن كانت أرضه أرض معدن وفرضنا أنه صولح أهل الأرض عليها وغيره من الأئمة إنما يقطع أرض المعدن على ما ذهب إليه المالكية ومن وافقهم انتفاعا بحيث لا يبيعها من أقطعها ولا تورث عنه وبهذا تعلم ما فى قول بعض المتأخرين من أصحابنا المالكية لا يظهر كون إقطاع تميم قبل الفتح من الخصائص على مذهبنا لما ذكره ابن يونس من الاتفاق على أن المعدن فى أرض الحرب حكمه للإمام وكذا فتيا الغزالى فى ذلك ليست على مذهبنا لما ذكره ابن عرفة من أن من أقطعه الإمام معدنا لا يورث عنه انتهى.

فإن كلام ابن يونس إنما هو فى أرض العرب يعنى التى أسلم أهلها عليها وتصحف ذلك لصاحب التوضيح وهو الشيخ خليل بأرض الحرب وأرض الحرب لا تصرف فيها للإمام إلا أن يعلق الأمر فيها على الفتح وفتيا الغزالى مبنية على أن إقطاعه عليه السلام لتميم تمليك له كما ذكرنا لا انتفاع وعليه فلابد من حمل أهل المذهب ذلك على الخصوصية، والله أعلم.

وقد عدوا مما خص به ﷺ غيره من الأحكام أشياء كثيرة منها جعله شهادة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأنصارى [١٨٤] الأوسى ثم الخطمى بشهادة رجلين ولذا لقب ذا الشهادتين.

أخرج أبو داود واللفظ له، والنسائى، وابن خزيمة من طريق الزهرى عن عمارة بن خزيمة بن ثابت الأنصارى أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبى ﷺ أن النبى ﷺ ابتاع فرساً من أعرابى فاستتبعه النبى ﷺ ليقبضه ثمن فرسه فأسرع رسول الله ﷺ المشى وأبطأ الأعرابى فطفق رجال يعترضون الأعرابى فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبى ﷺ ابتاعه فنادى الأعرابى رسول الله ﷺ فقال إن كنت مبتاعا هذا الفرس وإلا بعته فقام النبى ﷺ حين سمع نداء الأعرابى فقال أوليس قد ابتعته منك فقال الأعرابى لا والله ما بعتكه فقال النبى ﷺ بلى قد ابتعته منك فطفق الأعرابى يقول هلم شهيداً فقال خزيمة

بن ثابت أنا أشهد أنك قد بايعته فأقبل النبى ﷺ على خزيمة فقال بم تشهد فقال بتصديقك يا رسول الله فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين.(١)

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو يعلى، وابن خزيمة، والطبرانى فى "الكبير" والباوردى، والحاكم فى "المستدرك" والبيهقى فى "السنن" وابن عساكر فى "تاريخه" عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن أبيه أن النبى ﷺ اشترى فرساً من سواء بن الحارث فجحده فشهد له خزيمة فقال [١٨٥] النبى ﷺ ما حملك على الشهادة و لم تكن معه حاضرا فقال صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقا فقال النبى ﷺ من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه.(٢)

وأخرج الدارقطنى من طريق أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن أبي عبد الله الجدلى عن خزيمة بن ثابت قال لما نسخت الصحف فى المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها فوجدها مع خزيمة الذى جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾.(٣) [الأحزاب:٢٣]

وأخرج أبو يعلى عن أنس قال افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس ومنا من جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين الحديث وفى حديث النعمان بن بشير عند الحارث بن أبي أمامة فى مسنده فجعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين فلم

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/٣٠٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٢٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠/١٤٦)، والطبراني في الكبير (٤/٨٧).

(٣) أخرجه الدارقطني (١/١٨٧).

يكن فى الإسلام من تجوز شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة وفى رواية أخرى لمحمد بن أبى عمر العدنى فى مسنده فأجاز النبى ﷺ شهادته بشهادة رجلين حتى مات خزيمة.(١)

قال فى شرح المواهب ففيه أنه يخص من شاء بما شاء انتهى.

ترخيصه ﷺ فى النياحة لأم عطية

ومنها ترخيصه فى النياحة لأم عطية وهى نسيبة بنت الحارث الأنصارية أخرج أحمد، ومسلم فى الجنائز عنها قالت لما نـزلت هذه الآية ﴿ **يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً** ﴾ [الممتحنة:١٢] إلى [١٨٦] ﴿ **وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوف** ﴾ [الممتحنة:١٢] قالت كان منه – تعنى من العصيان النياحة – فقلت يا رسول الله إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدونى فى الجاهلية فلابد لى من أن أسعدهم فقال إلا آل فلان.(٢)

وفى رواية النسائى فى كتاب البيعة عن أم عطية قالت لما أردت أن أبايع رسول الله ﷺ قلت إن امرأة أسعدتنى فى الجاهلية فأذهب فأسعدها ثم أجيئك فأبايعك قال اذهبى فأسعديها قالت فذهبت فساعدتها ثم جئت فبايعت رسول الله ﷺ.(٣)

ولأحمد قال اذهبى فكافئيهم وقد تقدم عن النووى أن هذا محمول على الترخيص لأم عطية فى غير آل فلان خاصة وقال الشيخ أبو الحسن السندى الحنفى فى حاشية النسائى قالوا يعنى العلماء هذا الترخيص خاص فى أم عطية وللشارع أن يخص من شاء انتهى.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٥/٣٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢/٦٤٦ رقم ٩٣٦)، وأحمد (٥/٨٥).

(٣) أخرجه النسائي في المجتبى (٧/١٤٨).

والدليل على عدم عموم هذا الحكم حديث النسائى فى الجنائز عن أنس أن رسول الله ﷺ أخذ على النساء حين بايعهن أن لا ينحن فقلن يا رسول الله إن نساء أسعدتنا فى الجاهلية أفنسعدهن فقال رسول الله ﷺ لا إسعاد فى الإسلام نعم جاء الترخيص لغير أم عطية فوقع عند ابن مردويه من حديث ابن عباس أنه رخص فى النياحة أيضاً لخولة بنت حكيم وعند الترمذى من طريق شهر بن حوشب الإذن فيها أيضاً لأم سلمة الأنصارية وهى أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية بعدما راجعته مرارا قالت ثم لم أنح بعد وعند أحمد والطبرانى [١٨٧] من طريق مصعب بن نوح أنه أذن فيها أيضاً لعجوز لهم كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ وحينئذ فهذه الخصوصية ثابتة لأم عطية ولغيرها من النسوة الثلاث بعدها.

قلت وفى الحديث أيضاً كل نائحة تكذب إلا أم سعد أى ابن معاذ أخرجه ابن سعد فى "طبقاته" عن محمود بن لبيد وأورده فى "الجامع الصغير" قال شارحه المناوى فى "التيسير" ومن خصائص المصطفى أن يخص من شاء بما شاء انتهى.(١)

وأورده ابن الأثير فى نهايته بلفظ كل نادبة كاذبة إلا نادبة سعد قال الندب أن تذكر النائحة الميت بأحسن أوصافه وأفعاله انتهى.

وفى "الجامع" أيضاً كل نادبة كاذبة إلا نادبة حمزة أى ابن عبد المطلب عم المصطفى ﷺ أخرجه ابن سعد عن سعد بن إبراهيم مرسلاً قال فى التيسير بعده فإنها غير كاذبة فى ندبه فلها النوح عليه فرخص لها بخصوصها وللشارع أن يخص من العموم انتهى.

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/٤٢٨).

ترخيصه ﷺ فى ترك الإحداد بعد ثلاثة أيام لأسماء بنت عميس

ومنها ترخيصه فى ترك الإحداد بعد ثلاثة أيام لأسماء بنت عميس الخثعمية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها لما قتل زوجها جعفر بن أبى طالب.

أخرج أحمد فى مسنده من طريق الحكم بن عتيبة عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عميس قالت لما أصيب جعفر أتانا النبى ﷺ فقال أمى: البسى ثوب الحداد ثلاثاً ثم اصنعى ما شئت.[1]

وأخرج أيضاً بسند قوى وصححه ابن حبان عنها قالت دخل على ورسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر بن أبى طالب فقال [١٨٨] لا تحدى بعد يومك. وفى رواية له ولابن حبان والطحاوى قالت لما أصيب جعفر أتانا النبى ﷺ فقال تسلبى ثلاثاً فصحف الكلمة وتكلف تأويلها وإنما هى تسلبن من التسلب بمعنى لبسها السلاب وهو ثوب أسود تغطى به المحد رأسها أى البس الثلاب وأحدى على زوجك ثلاثاً ثم اصنعى ما شئت وفى رواية البيهقى وغيره فأمرنى رسول الله ﷺ أن أتسلب ثلاثاً وأعل البيهقى هذا الحديث بالانقطاع فقال لم يثبت سماع عبد الله بن شداد من أسماء قال الحافظ فى الفتح وهذا تعليل مدفوع فقد صححه أحمد لكنه قال إنه مخالف للأحاديث الصحيحة فى الإحداد انتهى.

وأغرب ابن حبان فساق الحديث بلفظ تسلمى بالميم بدل الموحدة وفسره بأنه أمرها بالتسليم لأمر الله وقال إنه لا مفهوم لقوله ثلاثاً ثم اصنعى بعد الثلاث ما شئت فأباح لها ترك الإحداد بعد الثلاث مع وجوبه على المرأة ما دامت فى عدتها من وفاة زوجها فكان ذلك خصوصية لها منه ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣٨/٦).

ترخيصه ﷺ فى التضحية بالعناق

ومنها ترخيصه فى التضحية بالعناق وهو الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها سنة لأبى بردة هانئ بن نيار بكسر النون وتخفيف التحتية بعدها البلوى الحارثى حليف بنى حارثة من الأنصار وخال البراء بن عازب.

أخرج البخارى فى العيد والأضاحى، ومسلم فى الذبائح وغيرهما من حديث البراء بن عازب وفيه أن أبا بردة قال للنبى ﷺ يا رسول الله فإن عندنا عناقا لنا جذعة هى أحب إلى من شاتين أفتجزى عنى قال نعم ولن تجزى عن أحد بعدك قال فى إرشاد السارى أى غيرك لأنه لا بد فى تضحية [١٨٩] المعز من الثنى قال فهو مما اختص به أبو بردة كما اختص خزيمة بقيام شهادته مقام شاهدين انتهى.

وللبخارى فى هذا الحديث ألفاظ من جملتها قول البراء فقام خالى أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله إنى ذبحت قبل أن أصلى وعندى جزعة خير من مسنة قال اجعلها مكانها أو قال اذبحها ولن تجزئ جزعة عن أحد بعدك.

وقوله فقام رجل فقال يا رسول الله إنى ذبحت عندى جزعة خير من مسنة قال اذبحها ولا تفى عن أحد بعدك وقوله قال أبى أبو بردة فإن عندى عناقا جزعة هى خير من شاتى لحم فهل تجزىء عنى قال نعم لن تجزيء عن أحد بعدك وقوله فقال أى أبو بردة إن عندى داجنا جزعة من المعز قال اذبحها ولن تصلح لغيرك.

وأخرج الشيخان، والنسائى، وابن ماجه من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ من ذبح قبل الصلاة فليعد فقام رجل وهو أبو بردة المذكور فقال هذا يوم يشتهى فيه اللحم وذكر من جيرانه فكأن النبى ﷺ صدقه قال وعندى جزعة أى من المعز أحب إلى من شاتى لحم فرخص له النبى ﷺ.[1]

---

(١) أخرجه البخاري (١/٣٢٥ رقم ٩١١)، ومسلم (٣/١٥٥٤ رقم ١٩٦٢).

قال أنس فلا أدرى أبلغت الرخصة من سواه أم لا وكأنه لم يسمع قوله له فى حديث البراء بن عازب المتقدم ولن تجزىء عن أحد بعدك المؤذن بعدم بلوغها من سواه لكن يعارضه ما وقع فى عدة أحاديث من التصريح بنظير ذلك لغيره من عدة أشخاص.

أخرج البخارى فى الأضاحى فى باب قسمة الإمام الأضاحى بين [١٩٠] الناس، ومسلم من حديث عقبة بن عامر الجهنى قال قسم النبى ﷺ بين أصحابه ضحايا فصارت لعقبة جزعة فقلت يا رسول الله صارت لى جزعة قال ضحى بها.

وفى رواية لهما عن عقبة أن النبى ﷺ أعطاه غنما يقسمها على صحابته ضحايا فبقى عتود أى وهو الصغير من أولاد المعز إذا قوى ورعى وأتى عليه حول أو الجزع من المعز ابن خمسة أشهر فذكره للنبى ﷺ فقال ضحى به أنت.

قال فى "إرشاد السارى" زاد البيهقى فى روايته من طريق يحيى بن بكير عن الليث ولا رخصة لأحد فيها بعدك انتهى.

وفى سنن أبى داود وصححه ابن حبان من حديث زيد بن خالد الجهنى قال قسم رسول الله ﷺ فى أصحابه ضحايا فأعطانى عتودا جزعا قال فرجعت به إليه فقلت إنه جزع قال ضحى به فضحيت به.

وفى "حياة الحيوان" للدميرى فى ترجمة العتود أن الخصوصية بهذا وقعت لثلاثة أبى بردة وعقبة ابن عامر وزيد بن خالد وهم المذكورون فى الأحاديث السابقة.

وفى "الأوسط" للطبرانى من حديث ابن عباس أنه ﷺ أعطى سعد بن أبى وقاص جزعا من المعز فأمره أن يضحى به، وأخرجه الحاكم من حديث عائشة وسنده ضعيف وفى كامل ابن عدى فى ترجمة إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة من حديث عائشة أن النبى ﷺ بعث إلى سعد بن أبى وقاص بقطيع من غنم يقسمها بين أصحابه فبقى منها تيس [١٩١] فضحى به والتيس الذكر من المعز إذا أتى عليه حول فهو رابع.

وفى حديث لعويمر بن أشقر المازنى أن النبى ﷺ أذنه أن يضحى بجزع من المعز أخرجه ابن حبان وغيره فهو خامس.

وأخرج أبو يعلى، والحاكم عن أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله هذا جزع من الضأن مهزول، وهذا جزع من المعز سمين وهو خيرهما أفأضحى به فقال ضحى به فإن لله الخير وسنده ضعيف.[1]

وهو يحتمل أن يكون سادساً ويمكن الجمع بين حديثى أبى بردة وعقبة وبين غيرهما باحتمال أن يكون ذلك فى ابتداء الأمر مجزياً ثم تقرر الشرع بأن الجزع من المعز لا يجزىء واختص أبو بردة وعقبة بالرخصة فى ذلك لكن يبقى التعارض بين حديثيهما ويمكن الجمع بأن خصوصية أحدهما نسخت بثبوت الخصوصية للآخر ويحتمل أن الخصوصية حصلت لواحد ثم للثانى وهكذا فيكون المخصوص بذلك خمسة أو ستة والخصوصية للثانى نسخت الخصوصية للأول والثالث للأول الثانى وهكذا والله أعلم.

ترخيصه ﷺ في جعله التعليم صداقاً للزواج

ومنها ترخيصه للرجل الذى كان عنده وقد عرضت امرأة نفسها عليه ﷺ فلم يقبلها فى أن يتـــزوجها بتعليمه إياها ما معه من القرآن بأن يجعل التعليم صداقاً خصوصية له ذكره جماعة وهى أعنى الخصوصية مذهب أبى حنيفة وأصحابه ومالك وأحمد فى رواية صحيحة عنه والليث وإسحاق ومكحول لأنهم منعوا أن يكون التعليم صداقاً لأحد فإن وقع ذلك ونـــزل عندهم فمنهم من قال يصح النكاح ويرجع فيه إلى [١٩٢] مهر المثل كمن تـــزوج امرأة ولم يسم لها مهراً وهو مذهب أبى حنيفة ومنهم من قال يفسخ قبل البناء ويثبت بعده بمهر المثل وهذا قول مالك وكره ذلك ابن القاسم من أصحابه وهو مشهور المذهب وأجازه أصبغ والجواز هو الصحيح عند ابن

---

(١) أخرجه الهيثمي (٤/٢٠) وقال أخرجه أبو يعلى (٩٢/١١) من رواية حنش العبدي ولم أجد من ترجمة.

العربى وهو مذهب الشافعى، وأحمد فى الرواية الأخرى والظاهرية وعلى القولين أعنى الكراهة والجواز فلا خصوصية للرجل ويمضى بعد الوقوع والإمضاء هو قول أكثر الأصحاب كما فى جواهر ابن شاس والمشهور كما قاله ابن الحاجب ويؤيد الخصوصية ما أخرجه سعيد بن منصور فى سننه من مرسل أبى النعمان الأزدى قال زوج رسول الله ﷺ امرأة على سورة من القرآن وقال لا تكون من أحد بعدك مهرا قال فى الخصائص الكبرى وهو مرسل وفيه من لا يعرف انتهى.

وقال فى "الفتح" هذا مع إرساله فيه من لا يعرف انتهى. وانظر ما ذكروه من أنه مرسل مع كون راويه وهو أبو النعمان الأزدى صحابى وليس بتابعى.

وفى "الإصابة" فى ترجمة أبى النعمان هذا وقرأت بخط أبى إسحاق الصيرفينى قال روى على بن حرب عن أبى معاوية حدثنا أبو عرفجة القابسى عن أبى النعمان الأزدى أن رجلاً خطب امرأة فقال النبى ﷺ أصدقها قال ما عندى شيء قال أما تحسن سورة من القرآن فأصدقها السورة ولا تكن لأحد بعدك مهراً.(1)

قال الحافظ ثم رأيت فى كتاب أبى على ابن السكن ساقه بسنده إلى يعقوب بن إبراهيم الدورقى عن أبى معاوية وقال هذه الزيادة لا تحفظ إلا فى هذه الرواية انتهى.يعنى أن التصريح بالخصوصية [١٩٣] خاص بهذه الرواية، وغيرها من الروايات بهذه الحديث فى الصحيحين وغيرهما ليس فيه تصريح بها.

وقد أخرج أبو داود عن مكحول قال ليس هذا لأحد بعد النبى ﷺ.

وأخرج أبو عوانة عن الليث بن سعد نحوه وهذا على أن الباء فى قوله أنكحتكها بما معك من القرآن للتعويض ومنهم من جعلها للسببية أو بمعنى اللام أى بسبب أو لأجل ما معك من القرآن من غير صداق ولا مهر فيكون خاصا بهذا الرجل أيضاً وعلى هذا انفصل الأبهرى وقبله الطحاوى ومن تبعهما كأبى محمد بن أبى زيد لكون

(1) أخرجه ابن حجر في الإصابة (٤١٤/٧).

النبى ﷺ كان يجوز له نكاح الواهبة فكذلك يجوز له أن ينكحها لمن شاء من غير صداق ونحوه للداودى قال أنكحها إياه بغير صداق لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

قلت ونظيره على هذا قصة أبي طلحة مع أم سليم الآتية على الأثر حيث تــزوجته على إسلامه بلا صداق.

ترخيصه ﷺ لأم سليم فى تــزوج أبى طلحة

ومنها ترخيصه لأم سليم بنت ملحان الأنصارية وهى أم أنس خادم رسول الله ﷺ فى تــزوج أبى طلحة زيد بن سهل الأنصارى على إسلامه.

أخرج النسائى قال فى "فتح البارى" بسند صحيح من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خطب أبو طلحة أم سليم فقالت والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لى أن أتــزوجك فإن تسلم فذاك مهرى ولا أسألك غيره فأسلم فكان ذلك مهرها.(١)

قال فى "الإصابة" وقد رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن جعفر وسليمان بن المغيرة وحماد بن سلمة كلهم [١٩٤] عن ثابت مطولاً انتهى.(٢)

وأخرج النسائى أيضاً من طريق عبد الله بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس قال تــزوج أبو طلحة أم سليم فكان صداق ما بينهما الإسلام أسلمت أم سليم قبل أبى طلحة فخطبها فقالت إنى قد أسلمت فإن أسلمت نكحتك فأسلم فكان صداق ما بينهما ترجم عليه النسائى وعلى ما قبله بقوله التــزويج على الإسلام.(٣)

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (٦/١١٤).
(٢) أخرجه ابن حجر في الإصابة (٢/٦٠٨).
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٣/٣١٢).

وفى "المستدرك" وغيره عن أنس أن أم سليم تـــزوجت أبا طلحة على إسلامه قال ثابت ما سمعت بامرأة كانت أكرم منها فى الإسلام.(١)

وأخرج أحمد فى مسنده من طريق حماد بن سلمة عن ثابت وإسماعيل بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك أن أبا طلحة خطب أم سليم - يعنى قبل أن يسلم - فقالت يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد نبت من الأرض قال بلى قالت أفلا تستحيى تعبد شجرة إن أسلمت فإنى لا أريد منك صداق غيره قال حتى أنظر فى أمرى فذهب ثم جاء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقالت يا أنس زوج أبا طلحة فزوجها.

قال فى "الإصابة" ولهذا الحديث طرق متعددة قال وقال ابن سعد أخبرنا خالد بن مخلد حدثنى محمد بن موسى عن عبد الله بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك قال خطب أبو طلحة أم سليم فقالت إنى قد آمنت بهذا الرجل وشهدت بأنه رسول الله فإن تابعتنى تـــزوجتك قال فأنا على ما أنت عليه فتـــزوجته أم سليم وكان صداقه الإسلام انتهى.

ترخيصه ﷺ لسهلة بنت سهيل فى إرضاع سالم بن معقل الفارسى

ومنها ترخيصه لسهلة بنت سهيل بن عمرو القرشية العامرية فى إرضاع سالم بن معقل الفارسى الاستخارى [١٩٥] المهاجرى الأنصارى ولاء مولى زوجها أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشى العبشمى بعدما كبر واستحلى وشهد بدرا ليدخل عليها ويخرج بذلك الرضاع وتصير به محرماً له خصوصية له ولها.

أخرج البخارى فى النكاح وفى غزوة بدر من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة فى تبنى أبى حذيفة بن عتبة سالماً وفيه: فجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشى ثم العامرى - وهى امرأة أبى حذيفة بن عتبة - النبى ﷺ فقالت يا رسول الله

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٩٦/٢).

إنا كنا نرى سالماً ولداً وقد أنـــزل الله فيه ما قد علمت قال: البخارى فذكر - يعنى - أبا اليمان الحديث ولم يذكره هو - أعنى - البخارى ورواه أبو داود من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة وأم سلمة وقال: الحميدى فى الجمع أخرجه البرقانى فى كتابه بطوله من حديث أبى اليمان بسنده بزيادة فكيف ترى يا رسول الله فقال أرضعيه فأرضعته خمس رضعات فكان بمنـــزلة ولدها من الرضاعة فبذلك كانت عائشة رضى الله عنها تأمر بنات أخيها وأختها أن يرضعن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها وإن كان كبيراً خمس رضعات فيدخل عليها وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبى ﷺ أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد من الناس حتى يرضع فى المهد وقلن لعائشة والله ما ندرى لعلها رخصة من رسول الله ﷺ لسالم دون الناس. راجع فتح البارى وشرح العينى للبخارى.(١)

وأخرج مسلم من طريق القاسم بن محمد عن عائشة أن سالماً مولى أبى حذيفة كان [١٩٦] مع أبى حذيفة وأهله فى بيتهم فأتت سهلة بنت سهيل النبى ﷺ فقالت إن سالماً قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما عقلوه وإنه يدخل علينا وإنى أظن أن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئاً فقال لها النبى ﷺ أرضعيه تحرمى عليه ويذهب الذى فى نفس أبى حذيفة فرجعت إليه فقالت إنى قد أرضعته فذهب الذى فى نفس أبى حذيفة.(٢)

وفى رواية له من طريق القاسم أيضاً عن عائشة قالت جاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو إلى النبى ﷺ فقالت يا رسول الله إنى أرى فى وجه أبى حذيفة من دخول سالم وهو حليفه فقال النبى ﷺ أرضعيه قالت وكيف أرضعه وهو رجل كبير فتبسم رسول الله ﷺ وقال قد علمت أنه رجل كبير. زاد عمرو أى الناقد فى حديثه وكان قد شهد بدراً وفى رواية ابن أبى عمر فضحك رسول الله ﷺ وفى رواية هارون بن سعيد الأيلى فقال أرضعيه فقالت إنه ذو لحية فقال أرضعيه يذهب ما فى وجه أبى حذيفة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/١٩٥٧ رقم ٤٨٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢/١٠٧٦ رقم ١٤٥٣).

وأخرج أحمد من حديث سهلة امرأة أبي حذيفة أنها قالت قلت يا رسول الله إن سالماً مولى أبي حذيفة يدخل على وهو ذو لحية فقال رسول الله ﷺ أرضعيه فقالت كيف أرضعه وهو ذو لحية فقال أرضعيه فأرضعته فكان يدخل عليها.[1]

وأخرج مالك فى الموطأ واللفظ له من حديث عروة بن الزبير، وعبد الرزاق، وأحمد من حديثه عن عائشة أن سهلة بنت سهيل وهى امرأة أبي حذيفة [١٩٧] وهى من بنى عامر بن لؤى جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إنا كنا نرى سالماً ولداً وكان يدخل على وأنا فضل تعني مكشوفة الرأس والصدر وليس لنا إلا بيت واحد فماذا ترى فى شأنه فقال لها رسول الله ﷺ أرضعيه خمس رضعات أى مرات من الرضاع فيحرم بلبنها وكانت تراه ابناً من الرضاعة قال عروة فأخذت بذلك عائشة أم المؤمنين فى من كانت تحب أن يدخل عليها من الرجال فكانت تأمر أختها أم كلثوم ابنة أبي بكر وبنات أخيها أن يرضعن من أحبت أن يدخل عليها من الرجال وأبى سائر أزواج النبى ﷺ أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد من الناس وقلن لا والله ما نرى الذى أمر به رسول الله ﷺ سهلة بنت سهيل إلا رخصة من رسول الله ﷺ فى رضاعة سالم وحده لا والله لا يدخل علينا بهذه الرضاعة أحد فعلى هذا كان أزواج النبى ﷺ فى رضاعة الكبير.[2]

وأخرج أحمد، ومسلم عن أم سلمة زوج النبى ﷺ أنها كانت تقول أبى سائر أزواج النبى ﷺ أن يدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة وقلن لعائشة والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصة فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا.[3]

---

(١) أخرجه أحمد (٣٥٦/٦).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٦٠٥/٢)، وعبد الرزاق (٤٦٠/٧)، وأحمد (٢٧٠/٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٠٨٧/٢ رقم ١٤٥٤)، وأحمد (٣١٢/٦).

قال فى "فتح البارى" وهذا العموم يعنى قولها وأبى سائر أزواج النبى ﷺ مخصوص [١٩٨] بغير حفصة كما سيأتى فى أبواب الرضاع انتهى.

وقال بعد فى باب من قال لا رضاع بعد حولين ذكر الطبرى فى تهذيب الآثار فى مسند على هذه المسألة وساق بإسناده الصحيح عن حفصة مثل قول عائشة وهو مما يخص به عموم قول أم سلمة أبى سائر أزواج النبى ﷺ أن يدخلن عليهن بتلك الرضاعة أحداً أخرجه مسلم وغيره انتهى.

وقد وافق بقية الأزواج الطاهرات جماهير العلماء ومعهم فى ذلك داود الظاهرى على ما حكاه ابن حزم وغيره عنه وقالوا لا رضاع إلا ما كان فى الحولين أو ما هو فى حكمهما على اختلافهم فى ذلك وحديث سهلة السابق قال ابن المنذر ولا يخلو أن يكون منسوخاً وبنسخه جزم المحب الطبرى فى أحكامه وقال الشافعى وغيره هو مخصوص بسالم وكذا أخرج الحاكم عن ربيعة قال كانت رخصة لسالم قال عياض ولعل سهلة حلبت لبنها فشربه من غير أن يمص ثديها ولا التقت بشرتاهما.

قال النووى وهو حسن ويحتمل أنه عفى عن مسه للحاجة كما خص بالرضاعة مع الكبر قال فى إرشاد السارى ظاهر قوله ﷺ أرضعيه يقتضى ذلك لا الحلب انتهى.

قلت فى "الإصابة" فى ترجمة سهلة نقلاً عن ابن سعد فى "طبقاته" ما توافق ترجيح عياض ونصه أخرج ابن سعد عن الواقدى عن محمد بن عبد الله ابن أخى الزهرى عن أبيه قال كانت تحلب فى مسعط أو إناء قدر رضعة فيشربه سالم فى كل يوم حتى مضت خمسة أيام فكان بعد يدخل عليها [١٩٩] وهى حاسر رخصة من رسول الله ﷺ وآله لسهلة انتهى.

وقد نصر مذهب عائشة فى هذا وبالغ فى ذلك ابن حزم الظاهرى ونقله عن على وهو من رواية الحارث عنه ولذلك ضعفه ابن عبد البر، وممن ذهب إليه عطاء والليث بن سعد قال ابن عبد البر لم يختلف عنه فى ذلك وقد حكى أن امرأة أتته وقالت إنى

أريد الحج وليس معى ذو محرم فقال لها اذهبى إلى زوجة رجل ترضعك فيكون زوجها أباك فتحجى معه.

ونقل التاج بن السبكى أن والده التقى قال لامرأة أرادت أن تحج مع كبير أجنبى أرضعيه تحرمى عليه وفيه دلالة على أنه كان يرى مذهب عائشة وقد نقله الطبرى فى تهذيب الآثار أيضاً عن عبد الله بن الزبير والقاسم بن محمد وعروة فى آخرين، وقال الأبى فى شرح مسلم قال ابن العربى ذهب إلى ما ذهبت إليه عائشة أن رضاع الكبير يحرم عطاء والليث لحديث سهلة هذا قال ولعمرى إنه لقوى ولو كان خاص بسالم لقال لها ولا يكون لأحد بعدك كما قال لأبى بردة فى شأن الجزعة انتهى ومنهم من قال رضاع الكبير يفيد رفع الاحتجاب منه ومال إلى هذا القول ابن المواز من أصحابنا المالكية والله أعلم.

ترخيصه ﷺ تعجيل صدقة عامين لعمه العباس

ومنها ترخيصه فى تعجيل صدقة عامين لعمه سيدنا العباس ﷺ.

أخرج ابن سعد فى "طبقاته" وأحمد، والدارمى، وأبو داود فى باب تعجيل الزكاة والترمذى، وابن ماجه، وابن جرير وصححه، وابن خزيمة، والحاكم فى "المستدرك" والضياء المقدسى [٢٠٠] والدارقطنى، وغيرهم عن على أن العباس ﷺ سأل النبى ﷺ فى تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له فى ذلك وفى رواية فأذن له فى ذلك قال أبو داود روى هذا الحديث هشيم عن منصور بن زاذان عن الحكم عن الحسن بن مسلم عن النبى ﷺ وحديث هشيم أصح انتهى.[1]

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢٦/٤)، وأحمد (١٠٤/١)، وأبو داود (١١٥/٢)، وابن ماجه (٥٧٢/١)، وابن خزيمة (٨٤/٤)، والحاكم (٣٧٥/٣).

وأخرج الترمذى أيضاً من طريق الحكم ابن حجل الأزدى عن حجر العدى عن على أن النبى ﷺ قال لعمر إنا قد أخذنا زكاة العباس عام الأول لهذا عام قال الترمذى وفى الباب عن ابن عباس.(١)

وأخرج عبد الرزاق عن على أن النبى ﷺ تعجل من العباس صدقة عامين.

وأخرج ابن سعد فى "طبقاته" عن الحكم بن عتيبة مرسلاً أن رسول الله ﷺ تعجل من العباس صدقة سنتين.

وقد قال الترمذى اختلف أهل العلم فى تعجيل الزكاة قبل محلها فرأى طائفة من أهل العلم ألا يعجلها ومنهم من قال أحب إلى أن لا يعجلها وبه يقول سفيان وقال أكثر أهل العلم إن عجلها قبل محلها أجزأت عنه وبه يقول الشافعى وأحمد وإسحاق انتهى.(٢)

قلت قال بجواز تعجيل الزكاة قبل الحول إذا وجد النصاب الأئمة الثلاثة أبو حنيفة والشافعى وأحمد نظرا إلى أنه فعل خير واعتبار كمال الحول إنما جعل توسعة لصاحب المال فإذا اختار إخراجها قبل كمال الحول لم يمنع من ذلك وأيضاً هى شبيهة بالحقوق الواجبة المؤجلة فيجوز إخراجها قبل الأجل على جهة التطوع، وقد احتج الشافعى [٢٠١] لرأيه بحديث على السابق وأنه عليه السلام رخص للعباس فى تعجيل صدقته قبل أن تحل وقال بالمنع من التعجيل مالك نظرا إلى أن تقديم الزكاة كتقديم

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٣/٣) قال أبو عيسى لا اعرف حديث تعجيل الزكاة من حديث إسرائيل عن الحجاج بن دينار إلا من هذا الوجه وحديث إسماعيل بن زكريا عن الحجاج عندي أصح من حديث إسرائيل عن الحجاج بن دينار وقد روي هذا الحديث عن الحكم بن عتيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا.

(٢) وقد اختلف أهل العلم في تعجيل الزكاة قبل محلها فرأى طائفة من أهل العلم أن لا يعجلها وبه يقول سفيان الثوري قال أحب إلي أن لا يعجلها وقال أكثر أهل العلم إن عجلها قبل محلها أجزأت عنه وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق. (المرجع السابق)

الصلاة قال فى سماع أشهب فى الذى يعجل زكاة ماله إنه كمن صلى الظهر قبل الزوال أو الصبح قبل طلوع الفجر أليس يعيد قال فكذلك الذى يؤدى زكاة ماله قبل أن يحول على ماله الحول ابن المواز تجزئه إن أخرجها قبل الحول بيوم أو يومين قال ابن حبيب أو عشرة وروى عيسى عن ابن القاسم أو شهرا ونحوه وفى المبسوط الشهران ونحوهما ابن رشد الأظهر أنها تجزئه قبل الحول بيسير لأن الحول توسعة فليس كالصلاة انتهى نقله المواق فى شرح مختصر خليل.

والمشهور عندنا هو مذهب المدونة جواز إخراج زكاة العين والماشية دون غيرهما قبل الحول بيسير والأظهر قول ابن القاسم إن حد اليسير الشهر ونحوه وعليه درج خليل فى مختصره فى قوله على ما فى بعض نسخه أو قومت بشهر فى عين وماشية يعنى أنها تجزئ وعليه فالرخصة المذكورة لسيدنا العباس وهى من خصوصياته.

قال ابن رشد ظاهر هذه الرواية أنها لا تجزئه وإن كان قرب الحول قال ابن نافع ولو ساعة وقال وفى "الفتوحات" ما نصه: وصل فى فعل تعجيل الصدقة قبل وقتها قال به بعض الأئمة لحديث أبى داود عن على بن أبى طالب ﷺ أن العباس سأل رسول الله ﷺ فى تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له وقال مرة فأذن له وتكلم فى هذا الحديث ولو صح فهى رخصة فى قضية [٢٠٢] عين لا يقاس عليها انتهى.

وعاد السيوطى كغيره ممن ذكر الخصائص أنهم لا يقتصرون فيها على مذهبهم بل يذكرون ما قيل أنه خصوصية ولو كان القول بها ضعيفا فى المذهب أو خارجا عن المذهب.

ترخيصه ﷺ لأم أيمن أن تقول عند الدخول سلام أو السلام عليكم

ومنها ترخيصه لأم أيمن مولاة مارية القبطية سريته ﷺ فى أن تقول عند الدخول سلام أو السلام عليكم وهى غير أم أيمن بركة الحبشية مولاته ﷺ وحاضنته خلافاً لمن وهم فظن أنها هى وغير أم أيمن بركة الحبشية خادم أم حبيبة.

أخرج ابن سعد فى "طبقاته" عن جعفر بن محمد عن أبيه وهو محمد الباقر قال كانت أم أيمن إذا دخلت على النبى ﷺ أن قالت سلام اللا عليكم فأرخص لها النبى ﷺ أن تقول السلام عليكم ومن وجه آخر أنها كانت عسراء اللسان وفى "الإصابة" بعد ذكر أم أيمن حاضنته عليه السلام وأم أيمن خادم أم حبيبة ما نصه: أم أيمن أخرى كانت مولاة مارية أم إبراهيم ولد النبى ﷺ ذكرها إسحاق بن راهويه فى مسنده بسند مرسل أخبرنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان هو الثورى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال كانت أم أيمن جارية لأم إبراهيم ولد النبى ﷺ فكانت إذا دخلت قالت سلام اللا عليكم فرخص لها النبى ﷺ أن تقول السلام عليكم انتهى.

وظن ابن التلمسانى فى حاشيته على الشفا أنها هى أم أيمن حاضنته عليه السلام فقال فى ترجمتها ما نصه: وكانت لا تبين بعض الكلام لحبسة فى لسانها [٢٠٣] وكانت إذا دخلت على النبى ﷺ تقول سلام اللا عليكم تعنى سلام الله عليكم فأرخص لها النبى ﷺ أن تقول سلام عليكم أو السلام عليكم وذلك تكرمة لها انتهى.

وهذا كلامهم فى هذا المحل وما دريت وجه الخصوصية فيه فإن الأعجمى وعسر اللسان يرخص له أيضاً فى مثل هذا بل لفظ السلام عليكم هو المشروع فى التحية لكل مسلم وفى الخروج من الصلاة لكل مصل فأين الخصوصية هنا والله أعلم.

إذنه ﷺ لعلى ﷺ فى الجمع بين اسمه وكنيته للولد الذى يولد له بعده

ومنها إذنه لعلى ﷺ فى الجمع بين اسمه وكنيته للولد الذى يولد له بعده ﷺ وهو محمد ابن الحنفية مع ورود أحاديث عدة فى النهى عن الجمع بينهما.

أخرج أحمد حدثنا وكيع حدثنا فطر عن المنذر عن ابن الحنفية قال: قال على يا رسول الله أرأيت إن ولد لى بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك قال نعم فكانت رخصة من رسول الله ﷺ لعلى.(١)

(١) أخرجه أحمد (١/٩٥).

وقال أبو داود في سننه حدثنا عثمان وأبو بكر ابنا أبي شيبة قالا حدثنا أبو أسامة عن فطر عن منذر عن محمد ابن الحنفية قال: قال على رحمه الله قلت يا رسول الله إن ولد لى من بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك قال نعم لم يقل بها أبو بكر قلت قال على عليه السلام للنبى ﷺ.(١)

وقال الترمذى حدثنا محمد ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا فطر بن خليفة حدثنا منذر وهو الثورى عن محمد ابن الحنفية عن على بن أبي طالب أنه قال يا رسول الله أرأيت إن ولد لى ولد بعدك أسميه محمداً [٢٠٤] وأكنيه بكنيتك قال نعم قال فكانت رخصة لى قال الترمذى هذا حديث صحيح.

وفى الجمع فى مسند على عنه قال قلت يا رسول الله أرأيت إن ولد لى ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك فقال نعم فكانت رخصة من رسول الله ﷺ لعلى أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وقال صحيح وأبو يعلى والحاكم فى الكنى والطحاوى والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن والضياء المقدسى انتهى.

وأخرج ابن سعد فى "طبقاته" عن منذر الثورى قال سمعت محمد ابن الحنفية قال كانت رخصة لعلى قال يا رسول الله إن ولد لى ولد بعدك أسميه باسمك وأكنه بكنيتك قال نعم.(٢)

وأخرج أيضاً وابن عساكر فى "تاريخه" عن محمد ابن الحنفية قال وقع بين على وطلحة كلام فقال طلحة لعلى من جرأتك على رسول الله ﷺ سميت باسمه وكنيت بكنيته وقد قال رسول الله ﷺ لا يجتمعان وفى لفظ وقد نهى رسول الله ﷺ أن يجمعهما أحد من أمته بعده فقال إن الجرىء من افترى على الله ورسوله ادع لى فلانا وفلانا

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٢/٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٩١/٥).

لنفر من قريش فجاءوا فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال لعلى إنه سيولد لك من بعدى غلام وفى لفظ ولد وقد نحلته اسمى وكنيتى ولا يحل لأحد من أمتى بعده.

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن الربيع بن منذر عن أبيه قال كان بين على وبين طلحة كلام فقال على إنى لجرىء على الله وعلى رسوله يا فلان ادع لى فلاناً وفلاناً فدعى نفراً من قريش فقال تشهدون قالوا نشهد [٢٠٥] أن رسول الله ﷺ قال سمى باسمى وكنى بكنيتى ولا تحل لأحد بعدك.

وأخرج أيضاً عن محمد ابن الحنفية قال وقع بين طلحة وبين على كلام فقال لعلى إنك تسمى باسمه وتكنى بكنيته وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك أن يجمعا لأحد من أمته فقال على إن الجرىء من اجترأ على الله وعلى رسوله يا فلان ادع لى فلانا وفلانا فجاء من أصحاب رسول الله ﷺ نفر من قريش فشهدوا أن رسول الله ﷺ رخص لعلى أن يجمعهما وحرمهما على أمته من بعده.

وأخرج البيهقى فى السنن وفى الدلائل، وابن الجوزى فى الواهيات، والخطيب، وابن عساكر فى تاريخيهما عن على قال: قال لى النبى ﷺ يا على سيولد لك بعدى غلام قد نحلته اسمى وكنيتى.

وأخرج ابن عساكر والمخلص الذهبى عن محمد ابن الحنفية عن أبيه على قال: قال رسول الله ﷺ إن ولد لك غلام فسميه باسمى وكنه بكنيتى وهو رخصة لك دون الناس.

التكني بكنيته ﷺ

قلت وفى هذه المسألة مذاهب فالذى فى نص الشافعى ﷺ هو المنع والتكنية بكنيته ﷺ مطلقاً بمن اسمه محمد وغيره فى حياته وبعده، وفى التيسير للمناوى أنه الأصح عند الشافعية ومن أتباع الشافعى من منع من الجمع بين الاسم والكنية وجوز الإفراد وهو ما رجحه ابن أبى الدم والرافعى وقال الإسنوى إنه الصواب وصاحب

"المواهب اللدنية" يشبه أن [٢٠٦] يكون هو الأصح والشيخ زكريا فى شرح الروض أنه الأقرب قال لما فيه من الجمع بين خبر الصحيحين من تسمى باسمى ولا تكتنوا بكنيتى وخبر تسموا باسمى فلا يكتنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى رواه ابن حبان وصححه، وصحح البيهقى إسناده قال أعنى الشيخ زكريا وأما تكنية على ﷺ ولده محمد ابن الحنفية بذلك فرخصة من النبى ﷺ كما قاله الشافعى وأصحابه انتهى.

قلت حديث تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى أخرجه أحمد، والشيخان، والترمذى، وابن ماجه عن جابر، والشيخان، وأبو داود، وابن ماجه عن أبى هريرة، والبغوى عن إدريس بن محمد بن يونس بن محمد بن أنس بن فضالة الأنصارى عن جده يونس عن أبيه محمد بن أنس. (١)

وأخرج الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس مرفوعاً سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى. (٢)

وحديث من تسمى باسمى فلا يكتنى بكنيتى ومن اكتنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى أخرجه أبو داود الطيالسى، وأحمد، وأبو داود، والترمذى وحسنه، وابن حبان فى صحيحه عن جابر، وأحمد، وأبو يعلى، والبيهقى فى "الشعب" عن أبى هريرة، وابن سعد فى "طبقاته" عن البراء بن عازب. (٣)

وأخرج الترمذى أيضاً وقال حسن صحيح عن أبى هريرة أن النبى ﷺ نهى أن يجمع أحد بين اسمه وكنيته ويسمى محمد أبا القاسم. (٤)

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢/١ رقم ١١٠)، ومسلم (١٦٨٢/٣ رقم ٢١٣١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٣/١٢).

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٤١/١)، وأحمد (٤٥٤/٢)، وأبو داود(٢٩٢/٤).

(٤) أخرجه الترمذي (١٦٣/٥) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد كره بعض أهل العلم أن يجمع الرجل بين اسم النبي ﷺ وكنيته وقد فعل ذلك بعضهم روي عن النبي ﷺ أنه=

وأخرج أحمد وابن حبان وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب عنه أيضاً مرفوعاً لا تجمعوا بين اسمى وكنيتى وقال فى الجامع أخرجه أحمد عن عبد الرحمن بن أبى عمرة قال فى التيسير وإسناده صحيح.

وأخرج ابن سعد فى "طبقاته" عنه أيضاً رفعه لا تسموا باسمى وتكنوا بكنيتى وقد ذكر البخارى محمد بن أنس بن فضالة الأنصارى الأوسى الظفرى فى الصحابة وقال لى يحيى بن موسى عن يعقوب بن محمد أنبأنا إدريس بن محمد بن يونس بن محمد بن أنس الظفرى حدثنى جدى عن أبيه قال قدم النبى ﷺ المدينة وأنا ابن أسبوعين فأتى به إليه فمسح برأسى وحج بى حجة الوداع وأنا ابن عشر سنين وقال دعا لى بالبركة وقال سموه باسمى ولا تكنوه بكنيتى.

وفى حديث آخر أخرجه ابن منده أنه عليه السلام قال فى حق بعض من ذهب به إليه حين ولد فسماه محمد ثم طلب منه أن يكنيه بأبى القاسم هو أبو سليمان لا أجمع له بين اسمى وكنيتى.

فهذه عدة أحاديث وهى شاهدة بالنهى عن الجمع بينهما وقد اختلف فيها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: للقرطبى أن هذا النهى المذكور فيها منسوخ بما أخرجه أحمد وأبو داود فى سننه عن عائشة قالت جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إنى قد ولدت غلاما فسميته محمداً وكنيته أبا القاسم فذكر لى أنك تكره ذلك فقال ما الذى أحل اسمى وحرم كنيتى أو ما الذى حرم كنيتى وأحل اسمى يعنى ما الموجب

=سمع رجلا في السوق ينادي يا أبا القاسم فألتفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لم أعنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكتنوا بكنيتي حدثنا بذلك الحسن بن علي الخلال حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وفي هذا الحديث ما يدل على كراهية أن الغرماء أبا القاسم.

لإباحة الاسم وتحريم الكنية والمراد لا موجب لذلك وحينئذ فحكمهما واحد وهو الإباحة، فالحديث على هذا مقتض فى الرخصة للجمع بينهما فى [٢٠٨] حال حياته ﷺ فيكون ناسخاً للنهى السابق ولذا أدخله أبو داود فى باب الرخصة فى الجمع بينهما ونظر فى هذا الشيخ مرتضى فى شرح الإحياء فى كتاب آداب النكاح فى الباب الثالث وقال ما نصه: وزعم القرطبى جواز التكنى بكنيته ﷺ مطلقاً يعنى لمن اسمه محمد ولغيره فى حياته ﷺ وقال النهى منسوخ بحديث الترمذى ما الذى أحل اسمى وحرم كنيتى وفيه نظر يظهر بالتأمل والله أعلم.

وقد ألفت فى تحقيق هذه المسألة جزءاً ليس عندى الآن انتهى وما دريت وجه هذا النظر إلا أنه احتمل عندى أن يكون المراد من الحديث الحث على النظر فى السبب الموجب لإباحة الاسم وتحريم الجمع بينه وبين الكنية حتى لا يستغرب الحكم فيهما فكأنه يقول لا ينبغى أن تنظر فى سبب ذلك حتى تستغربه فإن السبب الموجب لإباحة الاسم التبرك باسمه ﷺ والدخول بسببه فى حماه وقد أباح عليه السلام التسمية بأسماء الأنبياء وسمى ولده إبراهيم باسم أبيه إبراهيم الخليل عليه السلام بياناً للجواز وتبركا باسمه وتلذذا بذكره والسبب الموجب لتحريم التكنية بتكنيته لمن سمى باسمه ما فى ذلك من مزاحمة الرتبة الشريفة وإيهام الاشتراك معه ﷺ والتسوية بينه وبين غيره مع ما فيه من إيذائه ﷺ حيث يدعى من جمع بين اسمه وكنيته يا محمد يا أبا القاسم فيتوهم النبى ﷺ [٢٠٩] أنه يعنيه وهو يعنى غيره فإن من علم هذا السبب لا يستغرب الحكم بإباحة الاسم وتحريم الجمع بينه وبين الكنية والله أعلم.

القول الثانى: ذكره كثيرون من الشافعية وصححوه أن النهى المذكور محكم وغير منسوخ وهو على عمومه فى حياته ﷺ وبعد وفاته بدليل الرخصة فى ذلك للمولد الذى يولد لعلى بعده ﷺ دون غيره ويرد عليه أنه عليه الصلاة والسلام جمع بين اسمه وكنيته فى قيد حياته لمحمد بن طلحة بن عبد الله القرشى التيمى.

أخرج ابن منده من طريق يوسف بن إبراهيم الطلحى عن أبيه إبراهيم بن محمد بن طلحة أن طلحة قال سمى رسول الله ﷺ ابنى محمداً وكناه أبا القاسم.

وأخرج ابن قانع وابن السكن وابن شاهين وأبو نعيم من طريق محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عن إبراهيم بن محمد بن طلحة عن ظئر أبيه محمد بن طلحة قالت لما ولد محمد بن طلحة بن عبد الله أتيت به النبى ﷺ ليحنكه ويدعوا له وكان يفعل ذلك بالصبيان فقال لعائشة من هذا يا عائشة قالت هذا محمد بن طلحة فقال هذا سميى هذا أبو القاسم.

وأخرج أبو نعيم فى المعرفة عن عيسى بن طلحة قال حدثتنى ظئر محمد بن طلحة قالت لما ولد محمد بن طلحة أتينا به النبى ﷺ فقال ما سميتموه قلنا محمداً قال هذا سميى وكنيته أبو القاسم ويمكن أن يقال هذه خصوصية ثبتت لمحمد بن طلحة فى حياته ﷺ [٢١٠] وإن لم ينص عليها كما ثبتت الخصوصية الأخرى بالتنصيص عليها للولد الذى يولد لعلى بعده ﷺ لكن يخدش فيه أن جماعة من الصحابة ومن أبناء الصحابة كان كل واحد منهم يسمى محمداً ويكنى بأبى القاسم.

فحكى الواقدى كما ذكره غير واحد أن جماعة من الصحابة كان كل واحد منهم يسمى بمحمد ويكنى بأبى القاسم منهم أبو القاسم محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة العبشمى،وأبو القاسم محمد بن جعفر بن أبى طالب الهاشمى، وأبو القاسم محمد بن حاطب بن الحارث القرشى الجمحى.

وفى "الإصابة" فى ترجمة محمد بن طلحة أخرج الزبير بن بكار من طريق أبى راشد بن حفص الزهرى قال أدركت أربعة من أبناء الصحابة كل منهم يسمى محمداً ويكنى أبا القاسم: ابن أبى بكر وابن على وابن سعد وابن طلحة انتهى.

المحمديون الذين يكنون أبا القاسم

وفيها أيضاً فى ترجمة أبى القاسم محمد بن الأشعث بن قيس الكندى الكوفى ما نصه: وقال الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن بن زبالة كان المحمديون الذين يكنون أبا القاسم أربعة محمد بن على بن أبى طالب ومحمد بن طلحة ومحمد بن سعد ومحمد بن الأشعث انتهى.

وفى "الاستيعاب" فى ترجمة محمد بن أبى حذيفة قال الواقدى كان محمد ابن الحنفية ومحمد بن أبى حذيفة ومحمد بن الأشعث يكنون أبا القاسم انتهى.

وفيه أيضاً محمد فى ترجمة محمد بن جعفر قال الواقدى كان محمد بن جعفر بن أبى طالب ومحمد ابن الحنفية ومحمد بن الأشعث ومحمد بن أبى حذيفة كلهم يكنى أبا القاسم انتهى.

وفيه فى ترجمة محمد بن أبى بكر ذكر الواقدى قال حدثنا عمر [٢١١] ابن أبى عاتكة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن عائشة سمت محمد بن أبى بكر وكنته أبا القاسم.

وذكر أبو حاتم الحنظلى الرازى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى قال حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثى قال كان محمد بن أبى بكر قد سمى ابنه القاسم فكان يكنى بأبى القاسم وإن عائشة كانت تكنيه بها وذلك فى زمن الصحابة فلا يرون بذلك بأس انتهى.

وحاصله أن خمسة من الصحابة وهم محمد بن أبى حذيفة ومحمد بن جعفر ومحمد بن حاطب ومحمد بن طلحة ومحمد بن أبى بكر وثلاثة من أبنائهم وهم محمد بن على ومحمد بن سعد بن أبى وقاص الزهرى ومحمد بن الأشعث وهم من كبار التابعين قال فى التقريب ووهم من ذكره فى الصحابة كان كل واحد منهم يسمى محمداً ويكنى بأبى القاسم فيقدح ذلك فى هذا القول الثانى إلا أن يقال من فعل ذلك به منهم بإذنه

ﷺ فى حياته أو بعد وفاته عدى خصوصياته ومن فعل به بلا إذن منه وذلك بعد وفاته فلعل الفاعل فعله اجتهادا لكونه كان يرى أن النهى مخصوص بحياته كما هو مذهب الأكثرين من العلماء والله أعلم.

القول الثالث: لمالك وجمهور العلماء وهو اختيار النووى من الشافعية أن النهى عن ذلك مخصوص بحياته ﷺ وبعد وفاته تجوز التسمية باسمه والتكنية بكنيته أى الجمع بينهما لشخص واحد قال فى شرح المواهب لأنه ﷺ أذن لعلى وغيره أن يسموا من يولد لهم بعده محمداً ويكنوه بأبى القاسم فعلم من إذنه اختصاص النهى بحياته ودعوى [٢١٢] أنه خص به عليا لا دليل عليها إذ أباح ذلك لغيره أيضاً ولذا رجحه النووى فقال وهو الأقرب انتهى.

قلت: قوله وغيره انظر من هذا الغير الذى أذن له ﷺ أن يسمى من يولد له بعده باسمه ويكنيه بكنيته والمعروف أنه إنما أذن فى ذلك لعلى خاصة، وقوله إنه لا دليل على أنه خص بذلك على فيه نظر لقول ابن الحنفية فى رواية أحمد فكانت رخصة من رسول الله ﷺ لعلى وقول على فى رواية الترمذى المصححة فكانت رخصة لى وقول النبى ﷺ له فى شأن ولده المومئ إليه وقد نحلته اسمى وكنيتى ولا تحل لأحد بعده وفى لفظ بعدى وقوله له فى الرواية الأخرى ولا تحل لأحد بعدك وفى الأخرى فشيهدوا أن رسول الله ﷺ رخص لعلى أن يجمعهما وحرمهما على أمته بعده وفى الأخرى وهو رخصة لك دون الناس والله أعلم.

إذنه لعلى فى المكث فى المسجد جنباً

ومنها إذنه لعلى أيضاً ولمن يذكر معه فى المكث فى المسجد جنباً.

أخرج الترمذى فى المناقب، وأبو يعلى، والبيهقى فى السنن وضعفه من حديث أبى سعيد الخدرى، والبزار من حديث خارجة بن سعد عن أبيه أن النبى ﷺ قال لعلى يا على لا يحل لأحد أن يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك.

زاد الترمذى وقال على بن المنذر قلت لضرار بن صرد ما معنى هذا الحديث لا يحل لأحد يستترقه جنباً غيرى وغيرك قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وسمع منى محمد بن إسماعيل هذا الحديث [٢١٣] فاستغربه انتهى.

واعترض تحسينه بأن فيه عطية بن سعد العوفى الكوفى راويه عن أبى سعيد وهو ضعيف عند الجمهور وأجيب بأن الترمذى إنما حسنه باعتضاده بشواهد وقد قال فى اللآلئ المصنوعة قال النووى إنما حسنه الترمذى لشواهده انتهى.

وأخرج الطبرانى فى "الكبير" عن أم سلمة رفعته لا ينبغى لأحد أن يجنب فى هذا المسجد إلا أنا أو على.(١)

وأخرج ابن منيع فى مسنده عن جابر قال جاء رسول الله ﷺ ونحن مضطجعون فى المسجد فضربنا بعسيب كان فى يده رطبا وقال ترقدون فى المسجد إنه لا يرقد فيه فانجفلنا وانجفل معنا على فقال له رسول الله ﷺ تعالى يا على إنه يحل لك فى المسجد ما يحل لى يعنى من المكث فيه جنباً.

وقال القاضى إسماعيل بن إسحاق المالكى فى كتاب أحكام القرآن له عن المطلب وهو ابن عبد الله بن حنطب أن النبى ﷺ لم يكن أذن لأحد أن يمر فى المسجد ولا يجلس فيه وهو جنب إلا على بن أبى طالب لأن بيته كان فى المسجد قال فى اللآلئ وهو مرسل قوى.

وأخرج أبو يعلى عن أبى هريرة قال قال عمر بن الخطاب لقد أعطى على ثلاث خصال لأن تكون لى خصلة منها أحب إلى من أن أعطى حمر النعم قيل وما هى يا أمير المؤمنين قال تـــزويجه ابنته وسكناه فى المسجد مع رسول الله ﷺ لا يحل لى فيه ما

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٧٢/٢٣).

يحل له والراية يوم خيبر كذا عزو هذا الحديث فى كتاب الصفوة للشيخ عبد الرءوف المناوى فى موضعين. [٢١٤].

وأخرج الطبرانى فى "الكبير" وابن أبى شيبة فى "مسنده" من طريق محدوج بمهملتين وآخره جيم الذهلى عن جسرة بنت دجاجة حدثتنى أم سلمة قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى صرحة المسجد فنادى بأعلى صوته: ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلا للنبى وأزواجه وفاطمة بنت محمد وعلى، ألا بينت لكم ألا تضلوا.

وأخرجه البيهقى فى " سننه " وضعفه، وابن عساكر فى " تاريخه " عزاه لهما فى الجمع بعد أن أورده بلفظ: ألا لا يحل هذا المسجد لجنب ولا حائض إلا لرسول الله وعلى وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد بينت لكم الأسماء أن تضلوا.

وقد قال البيهقى فى سننه بعدما أخرجه: محدوج قال البخارى: فيه نظر. وقد روى من وجه آخر عن جسرة وفيه ضعف، ثم أخرج بسنده من طريق إسماعيل بن أمية عن جسرة عن أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ ألا إن مسجدى حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال إلا على محمد وأهل بيته على وفاطمة والحسن والحسين.

وأخرج ابن عساكر عنها أيضاً أن النبى ﷺ قال: إنى لا أحل المسجد لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وأزواجه وعلى وفاطمة.

وأخرج البخارى فى "تاريخه" والبيهقى فى "السنن" عن عائشة أن النبى ﷺ قال: إنى لا أحل المسجد – وفى لفظ لا يحل المسجد – لحائض ولا جنب إلا لمحمد وآل محمد.

وأخرج الزبير بن بكار فى " أخبار المدينة " عن أبى حازم الأشجعى مرفوعاً: إن الله أمر موسى أن يبنى مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا هو وهارون [٢١٥] وإن الله أمرنى أن أبنى مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وعلى وابنا على.

وأخرج ابن عساكر في " تاريخه " عن ابن أبي رافع عن أبيه وعمه عن أبيهما: أن النبى ﷺ خطب الناس فقال: إن الله أمر موسى وهارون أن يتبوءا لقومهما بيوتا، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ولا يقربوا فيه النساء إلا هارون وذريته، ولا يحل لأحد أن يقرب النساء فى مسجدى هذا ولا يبيت فيه جنبا إلا على وذريته.

وهذه الأحاديث يشد بعضها بعضا، وقد استفيد منها أن الرخصة لعلى وأهل بيته فاطمة والحسنين وله ﷺ ولأزواجه.

إذنه ﷺ لعلى ﷺ فى النوم قبل العشاء بخلاف غيره

ومنها: إذنه له أيضاً أعنى لعلى ﷺ فى النوم قبل العشاء بخلاف غيره، فإنه يكره له ذلك.

أخرج أحمد عن على قال: كنت رجلاً نئوما وكنت إذا صليت المغرب وعلى ثيابى ثمّ، فأنام قبل العشاء فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فرخص لى.(1)

وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن سُرية على قالت: كان على يتعشى ثم ينام وعليه ثيابه قبل العشاء.(2)

إذنه ﷺ لعلي ﷺ فتح باب من داره فى المسجد النبوى

ومنها: إذنه له فى فتح باب من داره فى المسجد النبوى دون غيره.

أخرج الترمذى فى المناقب وقال غريب، والنسائى فى "سننه الكبرى" والكلاباذى فى "معانى الأخبار" كلهم من طريق شعبة عن أبى يحيى عن عمرو بن ميمون عن ابن

(١) أخرجه أحمد (١/١١١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١/٥٦٤).

عباس: أن رسول الله ﷺ أمر بسد الأبواب – أى الشارعة – فى المسجد إلا باب على.[١]

وأخرج أحمد والنسائى أيضاً من طريق أبى عوانة الوضاح عن أبى بلج يحيى بن سليم عن عمرو بن ميمون قال قال ابن عباس عن النبى ﷺ فى أثناء حديث سدوا أبواب [٢١٦] المسجد إلا باب على قال ابن عباس وكان يدخل المسجد وهو جنب وهو طريقه ليس له طريق آخر.

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول سدوا الأبواب كلها إلا باب على وأومأ بيده إلى باب على.[٢]

وأخرج البزار من حديث على أنه عليه الصلاة والسلام أرسل إلى أبى بكر أن سد بابك ثم إلى عمر ثم إلى العباس ثم قال ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب على ولكن الله فتح باب على وسد أبوابكم قال فى الجمع وفيه أبو ميمونة مجهول وفى الباب عن زيد بن أرقم. أخرجه أحمد، والنسائى فى الكبرى، وسعيد بن منصور، والحاكم فى "المستدرك" وقال صحيح الإسناد والضياء المقدسى فى "المختارة".

وسعد بن أبى وقاص أخرجه أحمد، والنسائى، والطبرانى فى "الأوسط". وجابر بن سمرة أخرجه الطبرانى فى "الكبير". وابن عمر أخرجه أحمد، والنسائى بسند صحيح، والكلاباذى فى "معانى الأخبار" وعن غيرهم وهو حديث مشهور له طرق متعددة كل طريق منها على انفراده لا يقصر عن درجة الحسن ومجموعها يقطع بصحتها على طريقة كثير من أهل الحديث انظر القول المسدد لابن حجر واللآلئ للسيوطى.

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٤١/٥) وقال هذا حديث غريب لا نعرفه عن شعبة بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، والنسائي في الكبرى (١١٨/٥).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٥١/١٩).

إذنه ﷺ فى فتح خوخة فى المسجد لأبى بكر الصديق ﷺ

ومنها إذنه فى فتح خوخة فى المسجد لأبى بكر الصديق ﷺ أخرج أحمد، والشيخان، والترمذى وقال حسن صحيح وأبو حاتم وغيرهم عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً إن أمن الناس وفى لفظ من أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا [٢١٧] ولكن أخوة الإسلام لا يبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر.(١)

وأخرج أحمد، والبخارى، وأبى حاتم واللفظ له عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام خرج فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إنه ليس من الناس أحد أمن على بنفسه وماله من ابن أبى قحافة ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر لكن خلة الإسلام سدوا عنى كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر.(٢)

وأخرج الترمذى وقال غريب عن عائشة أن النبى ﷺ أمر بسد الأبواب إلا باب أبى بكر تعنى بالأبواب الخوخ لأنه أمر بسد الأبواب الشارعة فى المسجد كلها إلا باب على وبسد الخوخ الصغيرة المنفتحة فيه كلها إلا خوخة أبى بكر والأحاديث فى هذا صحيحة متواترة.

إذنه ﷺ للمجامع فى رمضان أن يأكل من كفارة نفسه

ومنها إذنه للمجامع فى رمضان أن يأكل من كفارة نفسه ويطعم أهله منها فيما قاله جماعة أو إسقاطه الكفارة عنه بالكلية فيما قاله آخرون.

---

(١) أخرجه البخاري (١/١٧٧ رقم ٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (١/١٧٨ رقم ٤٥٥)، وأحمد (١/٢٧٠).

أخرج البخارى فى عدة مواضع واللفظ له فى باب المجامع فى رمضان هل يطعم أهله من الكفارة إذا كانوا محاويج، ومسلم فى الصوم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه عن أبى هريرة قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال إن الآخر قد وقع على امرأته فى رمضان فقال أتجد ما تحرر رقبة قال لا قال أفتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال لا قال أفتجد ما تطعم به ستين مسكيناً قال لا قال فأتى النبى [٢١٨] ﷺ بعرق فيه تمر وهو الزنبيل قال أطعم هذا عنك قال على أحوج منى ما بين لابتيها أهل بيت أحوج منا قال فأطعمه أهلك.(١)

وفى رواية أبى قرة عن ابن جريج فقال كله ولابن إسحاق خذها وكلها وأنفقها على عيالك وهو محتمل لأن يكون قدمهم فى أكله والتقوت به على وجه الصدقة عليهم أو التمليك لهم لحاجتهم وتبقى الكفارة فى ذمته كما قاله غير واحد وعليه فلا خصوصية ولا أن يكون كفارة عنه ويكون مختصاً به لأكله هو ومن تلزمه نفقته من كفارة نفسه ولعدم وجود الستين مسكيناً كما نحا إليه إمام الحرمين وجماعة ولأن يكون إسقاطاً للكفارة بالكلية كما مال إليه آخرون.

وصرح به سيدى عبد الكريم الجيلى فى "الكمالات الإلهية" فى الكلام على تسميته ﷺ باسمه تعالى الغفار قائلاً وأما اسمه الغفار فإنه كان متصفاً به والدليل على ذلك غفرانه للأعرابى الذى وقع على أهله فى رمضان وأسقط عنه الكفارة انتهى.

ويدل له حديث على بلفظ فكله أنت وعيالك فقد كفر الله عنك لكنه ضعيف لا يحتج به وعليه فذلك من خصوصياته أيضاً بناء على أن من لزمته كفارة فعجز عنها فى الحال تبقى فى ذمته ولا تسقط عنه وهو مذهب الجمهور.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤/٢ رقم ١٨٣٥)، ومسلم (٧٨٢/٢ رقم ١١١١).

وقال أحمد والأوزاعى حكم من لزمته كفارة و لم يجدها السقوط كهذا الرجل نقله الأبى فى شرح مسلم ثم الحديث المذكور استنبط بعض العلماء منه ألف مسألة كما نقله فى إرشاد السارى عن البرماوى والكرمانى.

إذنه ﷺ فى لبس الحرير للزبير وعبد الرحمن بن عوف

ومنها [٢١٩] إذنه فى لبس الحرير للزبير وعبد الرحمن بن عوف لحكة كانت بهما مع القمل.

أخرج البخارى فى الجهاد واللباس واللفظ له فى الجهاد، ومسلم فى اللباس وأبو داود، وابن ماجه، والنسائى فى الزينة من طريق قتادة أن أنساً حدثهم أن النبى ﷺ رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير فى قميص من حرير من حكة كانت بهما.[١]

ولفظ رواية مسلم فى القمص الحرير فى السفر من حكة كانت بهما.[٢]

وفى رواية أخرى لهما واللفظ للبخارى عن قتادة عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف والزبير شكيا إلى النبى ﷺ يعنى القملة فأرخص لهما فى الحرير فرأيته عليهما فى غزاة.

ولفظ مسلم من طريق قتادة أن أنساً أخبره أن عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام شكوا إلى النبى ﷺ القملة فرخص لهما فى قمص الحرير فى غزاة لهما قال فى الرياض النضرة ويشبه أن تكون الرخصة للحكة والقمل جميعا جمعا بين الحديثين انتهى.

وفى رواية أخرى للبخارى عن شعبة أخبرنى قتادة أن أنسا حدثهم قال رخص النبى ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام فى حرير و لم يذكر العلة والسبب فهو

(١) أخرجه البخاري (٣/١٠٦٩ رقم ٢٧٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٦٤٦ رقم ٢٠٧٦).

محمول على ما تقدم بدليل رواية مسلم من طريق شعبة عن قتادة عن أنس قال رخص رسول الله ﷺ للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف فى لبس الحرير لحكة كانت به.

وأخرج ابن جرير فى تهذيبه عن أنس أن النبى ﷺ رخص للزبير بن العوام فى الحرير ولعبد الرحمن بن عوف لحكة كانت بجلودهما [٢٢٠]

وأخرج ابن سعد فى "طبقاته" وابن منيع عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى قال شكى عبد الرحمن بن عوف إلى رسول الله ﷺ كثرة القمل وقال يا رسول الله تأذن لى أن ألبس قميصا من حرير فأذن له فلما توفى رسول الله ﷺ وأبو بكر وقام عمر أقبل بابنه أبى سلمة وعليه قميص من حرير فقال عمر ما هذا ثم أدخل عمر يده فى جيب القميص فشقه إلى أسفله فقال عبد الرحمن بن عوف أما علمت أن رسول الله ﷺ أحله لى فقال إنما أحله لك لأنك شكوت إليه القمل فأما لغيرك فلا.(١)

وأخرج ابن عيينة فى "جامعه" ومسدد فى "مسنده" وابن جرير فى "تهذيبه" عن أبى سلمة أيضاً قال دخل عبد الرحمن بن عوف على عمر ومعه محمد ابنه وعليه قميص من حرير فقام عمر فأخذ بجيبه فشقه فقال عبد الرحمن غفر الله لك أفزعت الصبى فأطرت قلبه قال تكسوهم الحرير قال فإنى ألبس الحرير قال ما هم مثلك.

وأخرج مسدد، وابن جرير فى "تهذيبه" قال فى الجمع وسنده صحيح عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال دخل بن عوف على عمر وعليه قميص حرير فقال عمر ذكر لى أنه من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة فقال عبد الرحمن إنى لأرجو أن ألبسه فى الدنيا والآخرة.

قلت كأن علة وجود القمل دامت به فلذلك أدام لبسه وكأنه فهم سريانها لأولاده فألبسهم إياه أيضاً لوجود العلة بناء منه على عدم الخصوصية له ولسيدنا الزبير

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (١٣٠/٣).

بذلك كما هو مذهب [٢٢١] الشافعية وقد سرى إلى فهم بعض الصحابة من هذا الترخيص إباحة لبس الحرير للرجال مطلقاً دفعا للحكة والقمل المتوقعين فلبس قميص حرير من غير علة حاصلة ولا غزو حتى أنكر عليه سيدنا عمر بن الخطاب ذلك.

أخرج ابن عساكر فى "تاريخه" عن ابن سيرين أن خالد بن الوليد دخل على عمر وعلى خالد قميص حرير فقال له عمر ما هذا يا خالد؟ قال: وما بأسه(١) يا أمير المؤمنين أليس قد لبسه ابن عوف قال وأنت مثل ابن عوف ولك مثل ما لابن عوف عزمت على من فى البيت إلا أخذ كل واحد منهم طائفة مما يليه فمزقوه حتى لم يبق منه شيء قال الحافظ ابن حجر رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاع.(٢)

حكم لبس الحرير

وقد اختلف أهل العلم فى لبس الحرير لعلة وفى الحرب أعنى الجهاد فأجازه ابن حبيب فى الأول للأحاديث المذكورة وابن الماجشون فى الثانى للإرهاب وروايته عن مالك والمشهور عندنا معاشر المالكية هو المنع فيهما لأنه قول ابن القاسم وروانه عن مالك وهذه خصوصية للزبير وعبد الرحمن لأن له عليه السلام أن يخص من شاء بما شاء والرخص لا تتعدى محلها ولا يقاس عليها قالوا إلا أن يتعين طريق للدواء فيجوز حينئذ وهذا هو أيضاً مذهب أبى حنيفة ﷺ ووجه أى قول عند الشافعية والمذهب عندهم هو كمذهب ابن حبيب الجواز للحكة ونحوها حملا للحديث على عدم الخصوصية والله أعلم.

---

(١) فى نسخة ما باله.

(٢) أخرجه ابن عساكر (١٦/٢٦٩).

ترخيصه ﷺ فى لبس خاتم الذهب للبراء بن عازب

ومنها لبس خاتم الذهب وترخيصه فى لبس خاتم الذهب للبراء بن عازب الأنصارى رضى الله عنهما:

أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن أبي السفر [٢٢٢] قال: رأيت على البراء بن عازب خاتماً من ذهب.(١)

وأخرج البغوى فى الجعديات عن شعبة عن أبى إسحاق ونحوه.

وأخرج أحمد من طريق محمد بن مالك قال رأيت على البراء بن عازب خاتماً من ذهب فقال قسم رسول الله ﷺ قسماً فألبسنيه وقال البس ما كساك الله ورسوله.(٢)

قال الحازمى إسناده ليس بذاك ولو صح فهو منسوخ قال فى "فتح البارى" لو ثبت النسخ عند البراء ما لبسه بعد النبى ﷺ وقد روى حديث النهى المتفق على صحته عنه أى وهو حديث أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع وذكر الحديث وفيه نهانا عن خاتم الذهب قال فالجمع بين روايته وفعله إما بأن يكون حمل النهى على التنـزيه أو فهم الخصوصية له من قوله البس ما كساك الله ورسوله وهذا أولى من قول الحازمى لعل البراء لم يبلغه النهى ويؤيد الاحتمال الثانى أنه وقع فى رواية أحمد كان الناس يقولون للبراء لِمَ تتختم بالذهب ونهى عنه رسول الله ﷺ فيذكر لهم هذا الحديث ثم يقول كيف تأمرونى أن أضع ما قال رسول الله ﷺ البس ما كساك الله ورسوله انتهى منه.

وقد نقله أيضاً الشيخ على القارى فى "جمع الوسائل" وقد جاء عن جماعة من الصحابة لبس خاتم الذهب أيضاً منهم سعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وصهيب وحذيفة وجابر وسمرة وأبى أسيد وخباب بن الأرت وعبد الله بن يزيد

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٥/٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩٤/٤).

الخطمى، وهو محمول على أنه لم يبلغه النهى بدليل أن [٢٢٣] بعضهم لما بلغهم النهى ترك وقد كان فى الصدر الأول من يقول إن لبسه للرجال مكروه تنـــزيها ثم استقر الإجماع بعد على التحريم وهو مذهب الأئمة كلهم.

ترخيصه ﷺ لسراقة بن مالك لبس سوارى كسرى وتاجه

ومنها ترخيصه لسراقة بن مالك بن جعشم الكنانى المدلجى وهو الذى تعرض له فى طريق الهجرة ليرده عنها فساخت قوائم فرسه ومن مسلمة الفتح وفقراء الصحابة فى لبس سوارى كسرى ومنطقته وتاجه بعد نـــزعه عنه.

أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عساكر فى "تاريخه" والبيهقى فى "السنن" عن الحسن أن عمر بن الخطاب أتى بسوار كسرى بن هرمز [فوضعها] فى يد سراقة بن مالك بن جعشم أعرابى من بنى مدلج قال الشافعى وإنما ألبسهما سراقة لأن النبى ﷺ قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه كأنى بك قد لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجه.(١)

وأخرج البيهقى أيضاً من طريق ابن عيينة عن إسرائيل أبى موسى عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك كيف بك إذا لبست سوارى كسرى قال فلما أتى عمر بسوارى كسرى دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما وكان سراقة رجلاً أذب كثير شعر الساعدين فقال له ارفع يديك وقل الله أكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول أنا رب الناس وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابى رجل من بنى مدلج ورفع بها عمر صوته انتهى.

وفى هذا استعمال الذهب وهو حرام على الرجال لكن سيدنا عمر فهم من قوله عليه السلام له إذا لبست سوارى [٢٢٤] كسرى الترخيص له فى لبسهما برهة من الزمن إعلانا بعظيم قدرة الله وتعريفا بأنه تعالى لا يعجزه شيء لأن هذا الأمر محال

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٣٣٨/٤٤).

عادة لا يتصوره أحد من أهل العادة ولا يجوزه أصلاً فألبسهما عمر إياه لوجود الرخصة له إظهارا لمعجزة الرسول ﷺ وتحقيقا لها لكونه أخبر بذلك ثم أمره أن ينـــزعهما وجعلهما فى الغنيمة وهذا أحسن وأولى من قول بعضهم إن لبسهما ثم نـــزعهما فى الحال لا يعد استعمالا فإنه غير ظاهر وقول آخرين إن قصد إظهار المعجزة عذر قبيح لمثل هذا فإنه غير ظاهر أيضاً لولا أنه فهم الترخيص له فى ذلك من النص والله أعلم.

المؤآخاة بين من شاء من أصحابة ﷺ

ومنها أنه كان يؤاخى بين من شاء من أصحابة ويثبت بينهما التوارث بذلك وليس ذلك لغيره قاله على بن زيد.

أخرج ابن جرير فى تفسيره عن يونس قال أخبرنى ابن وهب قال: قال ابن زيد فى قوله ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء:٣٣] قال الذين عقد رسول الله ﷺ يعنى عقد المآخاة بينكم وبينهم فآتوهم نصيبهم إذا لم يأت رحم يحول بينهم قال وهو [١] لا يكون اليوم إنما كان فى نفر آخى بينهم رسول الله ﷺ وانقطع ذلك ولا يكون هذا لأحد إلا للنبى ﷺ كان آخى بين المهاجرين والأنصار واليوم لا يآخى بين أحد انتهى وقد ذكره السيوطى فى خصائصه الكبرى.

تخصيصه ﷺ لنساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن

ومنها تخصيصه لنساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن لكونهن غرائب لا مأوى لهن ذكره السيوطى ونقله عنه فى "كشف الغمة" وفى [٢٢٥] شرح المواهب وقال فى كشف الغمة فى كتاب الفرائض قال أنس ﷺ وشكا نساء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ضيق منازلهن وخروجهن منها فأقر رسول الله ﷺ أن يورث دور المهاجرين النساء فمات عبد الله بن مسعود فورثت امرأته دارا بالمدينة انتهى وأخرج أحمد من طريق

---

(١) فى نسخة وهذا.

عبد الواحد بن زياد حدثنى الأعمش عن جامع بن شداد عن كلثوم قالت كانت زينب يعنى امرأة عثمان بن مسعود تفلى رأس رسول الله ﷺ وعنده امرأة عبد الله بن مظعون ونساء من المهاجرات يشكون منازلهن وأهن يخرجن منها ويضيق عليهن فيها فتكلمت زينب وتركت رأس رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ إنك لست تكلمين بعينيك تكلمى واعملى عملك وأمر رسول الله ﷺ يومئذ أن يورث دور المهاجرين النساء فمات عبد الله فورثته امرأته دارا بالمدينة.

وأخرج أيضاً من طريق شريك عن الأعمش عن جامع بن شداد عن كلثوم عن زينب أى امرأة عبد الله أن النبى ﷺ ورث النساء تعنى نساء المهاجرين خطتهن تعنى جمع خطة بكسر الخاء وهى الدار يختطها الرجل فى أرض غير مملوكة لم ينـــزلها نازل قبله والمراد هنا أنه دفع المنازل التى كن يسكنها مع الأزواج بعد موهم إليهن ميراثا خصوصية خصهن بها دون غيرهم من بقية الورثة لغربتهن وعدم وجود موضع آخر لهن يرجعن إليه.

ترخيصه ﷺ في إرجاع من طلقت ثلاثاً بدون محلل

ومنها ترخيصه لعبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف [٢٢٦] القرشى المطلبى أبى ركانة فى إرجاع امرأته بعد أن طلقها ثلاثاً بدون محلل أخرج عبد الرازاق وأبو داود من طريقه عن ابن جريج قال أخبرنى بعض بنى أبى رافع مولى النبى ﷺعن عكرمة عن ابن عباس قال طلق عبد يزيد أبو ركانة وإخوته أم ركانة ونكح امرأة من مزينة فجاءت النبى ﷺ فقالت ما يغنى عنى إلا كما تغنى هذه الشعرة لشعرة أخذتها من رأسها ففرق بينى وبينه فأخذت النبى ﷺ حمية فدعا بركانة وإخوته ثم قال لجلسائه أترون فلانا يشبه منه كذا وكذا قالوا نعم فقال النبى ﷺ لعبد يزيد طلقها أى المزنية ففعل فقال رجل امرأتك أم ركانة وإخوته فقال إنى طلقتها ثلاثاً يا رسول الله قال قد علمت راجعها وتلا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق: ١].

قال ابن حجر فى الإصابة وشيخ ابن جريج الذى وصفه بأنه بعض بنى رافع لا أعرف من هو انتهى وقد التبست هذه القصة على كثيرين بقصة أخرى وقعت لولده ركانة وهى ما أخرجه أبو داود أيضاً والشافعى فى مسنده من طريق نافع بن عجير بن عبد يزيد بن ركانة أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته مهيمة بنت عمير المزنى فأخبر النبى ﷺ بذلك وقال والله ما أردت إلا واحدة فقال رسول الله ﷺ والله ما أردت إلا واحدة فقال ركانة والله ما أردت إلا واحدة فردها إليه رسول الله ﷺ [٢٢٧] فطلقها الثانية فى زمن عمر والثالثة فى زمن عثمان وأخرجه ابن منده بعلو عن الشافعى.

وأخرج أبو داود، أيضاً والترمذى، وأبو يعلى، والبغوى، وابن شاهين، وابن منده، كلهم من طريق الزبير بن سعيد عن عبد الله بن على بن يزيد بن ركانة عن أبيه على عن جده أى جد على وهو ركانة أنه طلق امرأته البتة فأتى رسول الله ﷺ فقال ما أردت قال واحدة قال آلله قال آلله قال هو على ما أردت.[1]

قال أبو داود وهذا يعنى حديث نافع بن عجير وعبد الله بن على أن ركانة طلق امرأته البتة فجعلها النبى واحدة أصح من حديث ابن جريج أن ركانة طلق امرأته ثلاثاً لأنهم أهل بيته وهم أعلم به انتهى.

قلت حديث ابن جريج هو فى أبى ركانة وهو عبد يزيد لا فى ركانة وهما قصتان كما ذكرناه وقد قال فى الإصابة فى ترجمة عبد يزيد إن كان خبر ابن جريج محفوظا فلا مانع أن تتعدد القصة ولا سيما مع اختلاف السياقين انتهى.

نعم أخرج أحمد فى مسنده قال حدثنا سعد بن إبراهيم حدثنى أبى عن محمد بن إسحاق حدثنى داود بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال طلق ركانة بن عبد يزيد أخو بنى المطلب امرأته ثلاثاً فى مجلس واحد فحزن عليها حزنا

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/٢٦٣)، والترمذي (٣/٤٨٠)، وأبو يعلى (٣/١٠٧).

شديداً قال فسأله رسول الله ﷺ كيف طلقتها قال طلقتها ثلاثاً قال فقال فى مجلس واحد قال نعم قال فإنما تلك [١] واحدة فأرجعها إن شئت قال فرجعها [٢] فكان ابن عباس يرى أنما الطلاق عند كل طهر وهذا مخالف لما سبق فى حديث [٢٢٨] نافع بن عجير وعبد الله بن على أنه طلقها البتة وهم من أهل بيته فهم أعلم به كما قاله أبو داود وأيضاً فهو من رواية داود بن الحصين عن عكرمة وقد قال فى التقريب فيه ثقة إلا فى عكرمة ورمى برأى الخوارج وفى تهذيب التهذيب قال أبو داود أحاديثه عن شيوخه مستقيمة وأحاديثه عن عكرمة مناكير وقال على بن المدينى ما روى عن عكرمة فمنكر قال وقال ابن عيينة كنا نتقى حديث داود وقال الساجى منكر الحديث يتهم برأى الخوارج وقال العقيلى قال ابن المدينى مرسل الشعبى أحب إلى من داود عن عكرمة عن ابن عباس وقد استدل بالحديث الأول وبهذا من يقول إن الطلاق الثلاث إذا وقع فى كلمة واحدة يرد إلى واحدة. وقد بالغ ابن تيمية وابن القيم وأتباعهما فى الاستدلال عليه لكن أئمة المذاهب كلهم على رده وعدم الالتفات إليه بل حكى ابن عبد البر وغير الإجماع على خلافه ولم ينسبه ابن المنذر فى الإشراف وهو من هو ثقة وضبطا وعدالة وإطلاعا إلا لبعض المبتدعة ونقل أبو الحسن فى شرح المدونة عن ابن العربى قال ما ذبحت ديكا قط بيدى ولو وجدت من يرد المطلقة ثلاثاً لذبحته بيدى وهو منه مبالغة فى الزجر عن ذلك والله أعلم.

ترخيصه ﷺ في التبتل

ومنها ترخيصه فى العذبة أى التبتل وترك النكاح انقطاعاً عن الدنيا ومستلذاتها للعبادة لعلبة بضم العين وسكون اللام بن زيد الأنصارى الأوسى الحارثى فيما قاله الواقدى لأن المعروف فى شريعة المسلمين خلافاً للنصارى هو الحث على [٢٢٩] النكاح والتناسل والنهى عن التبتل وترك النساء ليكثر النسل ويدوم الجهاد قال عليه

---

(١) فى نسخة تملك.

(٢) فى نسخة فراجعها.

السلام ما بال أقوام قالوا كذا وكذا يعنى لا نتـــزوج ولا نأكل اللحم ولا ننام على فراش لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتـــزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى أخرجه مسلم عن أنس.(١)

وقال تـــزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم فمن كان له طولا فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فإن الصوم له وجاء أخرجه ابن ماجه عن عائشة.(٢)

وقال تـــزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى أخرجه ابن عدى، والبيهقى فى "السنن" عن أبى أمامة.(٣)

وقال لا خزام ولا زمام ولا سياحة ولا تبتل ولا ترهب فى الإسلام. أخرجه عبد الرزاق.(٤)

وقال من تبتل فليس منا أخرجه البيهقى فى "الشعب" عن أبى قلابة مرسلاً.

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أنس قال كان النبى ﷺ يأمر بالباءة – يعنى النكاح – وينهى عن التبتل نهيا شديداً ويقول تـــزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة.(٥)

وفى مسلم عن سعد بن أبى وقاص قال رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا.(٦)

---

(١) أخرجه مسلم (٢/١٠٢٠ رقم ١٤٠١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/٥٩٢).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/٧٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٨/٤٤٨).

(٥) أخرجه أحمد (٣/١٥٨).

(٦) أخرجه مسلم (٢/١٠٢٠ رقم ١٤٠٢).

وفى رواية له عنه قال أراد عثمان بن مظعون أن يتبتل فنهاه رسول الله ﷺ ولو أجاز له ذلك لاختصينا.

هل الانقطاع إلى العبادة أفضل من النكاح أم النكاح أفضل؟

وفى حاشية ابن التلمسانى على الشفا ما نصه: واختلف العلماء هل الانقطاع إلى العبادة أفضل من النكاح أم النكاح أفضل إذا كان مضافا إليها فالأول هو مذهب [٢٣٠] الشافعى والثانى لمالك رضى الله عنهما واستدل الشافعى بمدح الله تعالى ليحيى بن زكريا بقوله ﴿ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِياً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران:٣٩]وغير ذلك من الأدلة وأجاب ابن العربى فى سراج المريدين عن ذلك أعنى قصة يحيى بأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد فى شرعنا ما يرده وقد ورد النهى عن التبتل والحض على النكاح فى أحاديث النبى ﷺ انتهى.

وعلبة هذا هو أحد الذين ﴿ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة:٩٢] وهو الذى لما حث النبى ﷺ على الصدقة قال اللهم إنه ليس عندى ما أتصدق به إلا أنى تصدقت بعرضى على من ناله من خلقك فقال النبى ﷺ أين المتصدق بعرضه البارحة فقام علبة فقال يا رسول الله أنا قال إن الله قد قبل صدقتك أخرجه ابن النجار فى "تاريخه".

ترخيصه ﷺ لعائشة فى اشتراء الولاء لموالى بريرة

ومنها ترخيصه لعائشة فى اشتراء الولاء لموالى بريرة ولا يوفى لهم به على ما ذكره جماعة من العلماء من أن هذا خاص بها فى هذه القضية لمصلحة قطع عادهم فى ذلك كما خص فسخ الحج إلى العمرة بالصحابة فى عام حجة الوداع لمصلحة بيان جوازها فى أشهره ونص النووى فى شرح مسلم لدى قوله فى الحديث خطاباً لعائشة اشتريها وأعتقيها واشترطى لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق بعد ما ذكر أنه مشكل من حيث إنها اشتراط وشرطت لهم الولاء وهذا الشرط يفسد البيع ومن حيث إنها خدعت

البائعين وشرطت لهم ما لا يصح ولا يحصل لهم وكيف إذن عائشة [٢٣١] فى هذا قالوا والأصح فى تأويل الحديث ما قاله أصحابنا فى كتب الفقه أن هذا الشرط خاص فى قصة عائشة واحتمل هذا الإذن وإبطاله فى هذه القصة الخاصة وهى قضية عين لا عموم لها قالوا والحكمة فى إذنه ثم إبطاله أن يكون أبلغ فى قطع عادتهم فى ذلك وزجرهم عن مثله كما أذن ﷺ لهم فى الإحرام بالحج فى حجة الوداع ثم أمرهم بفسخه وجعله عمرة بعد أن أحرموا بالحج وإنما فعل ذلك ليكون أبلغ فى زجرهم وقطعهم عما اعتادوه من منع العمرة فى أشهر الحج وقد تحتمل المفسدة اليسيرة لتحصيل مصلحة عظيمة والله أعلم انتهى منه بلفظه.

وقد تعقب هذا الجواب ابن دقيق العيد وقال الخصوصية لا تثبت بالاحتمال ولابد لها من دليل وأقول كان دليلها عندهم ضعف غير هذا الجواب من الأجوبة التى ذكروها فتقوى حينئذ حمل الحديث على الخصوصية لأن له عليه السلام أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام وغيرها لما يظهر له من المصالح فى ذلك ثم حديث عائشة هذا وهو فى الموطأ، ومسند أحمد، والصحيحين، وغيرها، من كتب الحديث وقد كرره البخارى فى مواضع وذكره بألفاظ وروايات وجمع فيه الطبرى ستة أجزاء وجمع غيره منه مائة فائدة.

جعله ﷺ الخيار ثلاثة أيام

ومنها جعله لِحَبان بفتح الحاء بن منقذ الأنصارى المازنى الخيار ثلاثة أيام فى كل سلعة ابتاعها أخرجه البخارى، وغيره، عن ابن عمر أن رجلاً - أى وهو حبان المذكور - ذكر للنبى ﷺ أنه يخدع فى البيع فقال النبى ﷺ إذا [٢٣٢] بايعت فقل لا خلابة.[1]

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥/٢ رقم ٢٠١١).

زاد البيهقى فى هذا الحديث بإسناد حسن ثم أنت بالخيار فى كل سلعة ابتعتها ثلاث ليال.[١]

وفى رواية الدارقطنى عن عمر فجعل له الرسول ﷺ عهدة ثلاثة أيام.[٢]

زاد ابن إسحاق فى رواية يونس بن بكير فإن رضيت فأمسك وإن سخطت فاردد فبقى حتى أدرك زمن عثمان وهو ابن مائة وثلاثين سنة فكثر الناس فى زمن عثمان فكان إذا اشترى شيئاً فقيل له إنك غبنت فيه رجع فيه فيشهد له رجل من الصحابة بأن النبى ﷺ قد جعله بالخيار ثلاثاً فرد له دراهمه وقد ذكر جماعة من العلماء أنها واقعة عين وحكاية حال لا يصح دعوى العموم فيها لأحد وللنبى ﷺ أن يخص من شاء بما شاء.

ترخيصه لضباعة بنت عمه فى التحلل من الإحرام بالحج بالمرض

ومنها ترخيصه لضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب الهاشمية بنت عمه فى التحلل من الإحرام بالحج بالمرض على أحد القولين عند العلماء فى ذلك وأنه خصوصية لها.

أخرج أحمد، والبخارى فى النكاح فى باب الأكفاء فى الدين، ومسلم فى الحج كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت دخل رسول الله ﷺ على ضباعة بنت الزبير وقال لها لعلك أردت الحج قالت والله ما أجدنى إلا وجعة فقال لها حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى وكانت تحت المقداد بن الأسود.[٣] أى ابن عبد يغوث الزهرى نسب إليه لكونه تبناه وإلا فهو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندى.

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (٥/٢٧٣).

(٢) أخرجه الدارقطني (٣/٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥/١٩٥٧ رقم ٤٨٠١)، ومسلم (٢/٨٦٧ رقم ١٢٠٧).

وأخرج أحمد، ومسلم، والنسائى من طريق الزهرى من عروة عن عائشة قالت دخل النبى ﷺ [٢٣٣] على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب فقالت يا رسول الله إنى أريد الحج وأنا شاكية فقال النبى ﷺ حجى واشترطى أن محلى حيث حبستنى.(١)

وأخرج أيضاً أبو داود، والترمذى وقال حسن صحيح واللفظ له، والنسائى عن ابن عباس أن ضباعة بنت الزبير أتت النبى ﷺ فقالت يا رسول الله إنى أريد الحج أفأشترط قال نعم قالت كيف أقول قال قولى لبيك اللهم لبيك محلى من الأرض حيث تحبسنى. زاد النسائى فإن لك على ربك ما استثنيت.(٢)

وأخرج أحمد عن طريق عبد الكريم الجزرى قال حدثنى من سمع ابن عباس يقول حدثتنى ضباعة أنها قالت يا رسول الله إنى أريد الحج فقال لها حجى واشترطى.

وأخرج أيضاً من طريق أبى بكر عبد الله بن الزبير عن جدته قال فما أدرى أسماء بنت أبى بكر أو سعدة بنت عوف أن رسول الله ﷺ دخل على ضباعة بنت عبد المطلب فقال ما يمنعك من الحج يا عمة قالت إنى امرأة سقيمة وإنى أخاف الحبس قال فأحرمى واشترطى أن محلك حيث حبست.

أخرج النسائى عن ابن عباس قال جاءت ضباعة بنت الزبير إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إنى امرأة ثقيلة وإنى أريد الحج فكيف تأمرنى أن أهل قال أهلى واشترطى أن محلى حيث حبستنى وقول الأصيلى فيما حكاه عياض عنه لا يثبت فى الاشتراط إسناد صحيح تعقبه النووى بأن الذى قال غلط فاحش لأن الحديث مشهور صحيح من طرق متعددة وقد اختلف [٢٣٤] العلماء فى هذا الاشتراط فذهب بعض أهل العلم إلى صحته فى الحج وقيس عليه العمرة وقالوا إن اشترط فعرض له مرض أو

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٨ رقم ١٢٠٧)، وأحمد (٦/١٦٤)، والنسائي في المجتبى (٥/١٦٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/٢٧٨).

عذر فله أن يحل ويخرج من الإحرام وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وعمار وابن عباس وسعيد بن المسيب وعروة وعلقمة وشريح وإليه ذهب الشافعى وأحمد وإسحاق وأبو ثور وذهب بعضهم إلى عدم الصحة وقالوا إن اشترط فليس له أن يخرج من إحرامه ورأوه كمن لم يشترط وهو قول ابن عمر وعائشة والنخعى والحكم وطاووس وسعيد بن جبير وإليه ذهب المالكية والحنفية وأجابوا عن حديث ضباعة هذا بأنه خاص بها وللنبى ﷺ أن يخص من شاء بما شاء.

وقد أخرج أحمد، والترمذى وقال حسن صحيح، والنسائى من طريق معمر عن الزهرى عن سالم عن أبيه أنه كان ينكر وفى لفظ أحمد يكره الاشتراط فى الحج ويقول أليس حسبكم سنة نبيكم ﷺ ولفظ أحمد والنسائى أما حسبكم سنة نبيكم ﷺ أنه لم يشترط وفى لفظ آخر للنسائى من طريق يونس عن ابن شهاب عن سالم قال كان ابن عمر ينكر الاشتراط فى الحج ويقول أليس حسبكم سنة رسول الله ﷺ إن حبس أحدكم عن الحج طاف بالبيت وبالصفا والمروة ثم حل من كل شيء حتى يحج عاماً قابلاً ويهدى ويصوم إن لم يجد هديا.

ترخيصه ﷺ فى ترك المبيت بمنى

ومنها ترخيصه فى ترك المبيت بمنى لا يليها من أجل السقاية لسيدنا العباس فقط على قول أوله ولبنيه خاصة على قول آخر أولبنى هاشم كلهم دون غيرهم من أهل السقاية على قول [٢٣٥] ثالث.

أخرج أحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، وغيرهم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن العباس بن عبد المطلب استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت بمكة ليال منى من أجل سقايته فأذن له.(١)

(١) أخرجه البخاري (٢/٥٨٩ رقم ١٥٥٣)، ومسلم (٢/٩٥٣ رقم ١٣١٥).

وفى لفظ للبخارى عن ابن عمر رخص النبى ﷺ يعنى للعباس أن يبيت بمكة ليال منى من أجل السقاية.

وقد اختلف العلماء فى هذه الرخصة، فمن قائل منهم إنها خاصة بسيدنا العباس كما هو صريح الحديث لا تتعداه إلى غيره، ومن قائل أنها تشمله وبنيه خاصة، ومن قائل أنها تشمله وبنيه وسائر بنى هاشم ولا تتعداهم إلى غيرهم من أهل السقاية، وقيل إنه يدخل فيها أهل السقاية كلهم كانوا من آل العباس أو من بنى هاشم أو من غيرهم من سائر الأمة، وعليه فلا خصوصية لمن ذكر وهذا هو مذهب المالكية والشافعية والحنابلة قال سند وهو من أئمتنا المالكية فى طرازه يجوز لأهل السقاية ترك المبيت بمنى ويبيتون بمكة يرمون الجمار بمنى نهارا ويعودون إلى مكة انتهى.

وعند الحنفية إن المبيت بمنى لا يلى الرمل ليس بواجب إنما هو سنة لا يلزم بتعمد تركه شيء سوى الإساءة.

ضربه ﷺ لعثمان ﷺ يوم بدر بسهمه وأجره وكان قد تخلف

ومنها أنه ضرب لعثمان ﷺ يوم بدر بسهمه وأجره وكان قد تخلف عنها بأمره عليه السلام لأجل مرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ مرضها الذى توفيت فيه ودفنت ورسول الله ﷺ غائب ببدر ولم يضرب لغائب غيره على ما قاله الخطابى وتبعه السيوطى وقوفاً مع [٢٣٦] حديث أبى داود فقد أخرج فى سننه بإسناد صالح عن ابن عمر قال إن رسول الله ﷺ قام – يعنى يوم بدر – فقال إن عثمان انطلق فى حاجة الله وحاجة رسوله ﷺ وإنى أبايع له فضرب له رسول الله ﷺ بسهم ولم يضرب لأحد غاب غيره.

ومنها أنه عليه الصلاة والسلام قال له إن لك لأجر رجل ممن شهدها وسهمه وأورد على هذا أن جماعة آخرين لم يحضروها وضرب لهم النبى ﷺ بسهمهم وأجرهم وهم من المهاجرين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله بعثهما لجهة الشام يتجسسان عير قريش فعن عروة قال قدم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بعدما رجع رسول الله

ﷺ من بدر فكلم رسول الله ﷺ فضرب له بسهمه فقال وأجرى يا رسول الله قال وأجرك. أخرجه ابن عائذ وعن الزهرى مثله أخرجه ابن عساكر فى "تاريخه" وعن موسى بن عقبة مثله أخرجه ابن عساكر أيضاً وعن ابن إسحاق مثله أخرجه أيضاً وعن عروة أيضاً قال قدم طلحة بن عبيد الله من الشام بعد ما رجع رسول الله ﷺ من بدر فكلم رسول الله ﷺ فى سهمه فقال نعم لك سهمك فضرب له بسهمه قال وأجرى يا رسول الله قال وأجرك أخرجه ابن عائذ وعن ابن شهاب مثله أخرجه ابن عساكر وعن موسى بن عقبة مثله أخرجه ابن عساكر أيضاً وعن ابن إسحاق مثله أخرجه ابن عساكر، ذكرهما فى جمع الجوامع للسيوطى [٢٣٧] ومن الأنصار أبو لبابة استخلفه على المدينة وعاصم بن عدى على أهل العالية والحارث بن حاطب على بنى عمرو بن عوف لشىء بلغه عنهم والحارث بن الصمة وقع بالروحاء فكسر فرد منها وخوات بن جبير أصابه حجر فى ساقه فرده من الصفراء هؤلاء الذين ذكرهم ابن سعد ومجموعهم بعثمان ثمانية وإليهم يشير فى المواهب بقوله وثمانية لم يحضروها إنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم فكانوا كمن حضرها انتهى.

وذكر الواقدى سعد بن مالك الساعدى والد سهل قال تجهز ليخرج لبدر فمات فضرب له النبى ﷺ بسهمه وأجره وفى فتح البارى لم يشهد سعد بن عبادة بدرا وإن عد منهم لكونه ممن ضرب له بسهمه وأجره وفى العيون لابن سيد الناس أنه كان يتهيأ للخروج إلى بدر ويأتى دور الأنصار يحضهم على الخروج فنهش قبل أن يخرج فأقام فقال عليه السلام لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصا قال وروى بعضهم أنه عليه الصلاة السلام ضرب له بسهمه وأجره انتهى.

وفى "المستدرك" للحاكم أن جعفر بن أبى طالب ضرب له ﷺ يومئذ بسهمه وأجره وهو بالحبشة وأقره الذهبى.

وذكر ابن إسحاق فى مغازيه صبيح مولى أبى العاص ابن أمية ويقال مولى أبى أحيحة سعيد بن العاص وهو قول الأكثر وقال كان قد تجهز رسول الله ﷺ إلى بدر ثم

مرض فحمل رسول الله ﷺ على بعيره أبا سلمة بن عبد الأسد ثم شهد المشاهد كلها مع النبى ﷺ [٢٣٨] وقال الذهبى فى التجريد صبيح مولى أبى أحيحة سعيد بن العاص ابن أمية تجهز لبدر انتهى.

وفى "شرح المواهب" لدى عده لمن لم يحضرها وضرب له النبى ﷺ بسهمه وأجره وصبيح مولى أبى أحيحة رجع لمرضه فبلغ الذين لم يحضروها وضرب لهم بسهامهم وأجورهم أحد عشر رجلاً من غير عثمان رضى الله عنهم.

وأجاب فى "شرح المواهب" بأن المراد أنه لم يضرب لأحد غاب لأمر لا تعلق له بمصالح المسلمين و لم يمنعه العذر غيره فلا يرد أولئك الذين ضرب لهم لأن منهم من تخلف للعذر ومنهم من تخلف للمصالح كذا قال وقد ذكر أصحابنا أن من تخلف ببلد الإسلام لحاجة بأن لم يعد عليه منها نفع ولو تعلقت بالمسلمين لا يسهم له بخلاف من تخلف لحاجة لا تعلق لها بالجيش لها تعلق به بأن عاد عليه أو على أمير الجيش منها نفع فيسهم له.

فالأول: كحشر القوم وجمعهم ليلتحقوا بالمجاهدين وإصلاح الطريق التى يسلكونها والسعى فى إقامة سوق لهم وما أشبه ذلك لقسمه ﷺ يوم بدر لطلحة وسعيد بن زيد وهما غائبان فى جهة الشام وما قدم حتى رجع من بدر لمصلحة تعلقت بالجيش.

والثانى: كقسمه ﷺ يوم بدر أيضاً لعثمان وقد خلفه على ابنته رقية وكانت مريضة لتمريضها وتجهيزها ودفنها إذا ماتت وهذه مصلحة متعلقة بالأمير وعليه فلا خصوصية للثلاثة المذكورين بالإسهام وذكروا أيضاً أن من مات قبل اللقاء أى التقاء الجيشين لا يسهم له وهو شامل لمن تهيأ للخروج ثم مات قبله كسعد بن مالك فى بدر فيكون الإسهام له فيها من الخصائص كما يشمل من تهيأ للخروج وخرج ثم مات [٢٣٩] ببلد الإسلام أو بعد دخول أرض العدو قبل الالتقاء وذكروا أيضاً أن من مرض مرضا يمنعه من القتال بعدما حضر القتال وهو صحيح وحصل الإشراف على الغنيمة يسهم له اتفاقاً وقبل حصوله يسهم له على المشهور وفيه من خرج من بلده مريضاً

وبقى كذلك حتى إنقضى القتال أو مرض قبل دخول العدو أو بعده وقبل القتال ولو بيسير ومنعه المرض من حضور القتال فى الصور الثلاث قولان بالإسهام لشهوده الواقعة مع المسلمين وتكسيره لسوادهم وعدمه لوجود المرض المانع له من حضور صف القتال ومقتضى التعليلين أنه إذا مرض فى بلد الإسلام بعد التهيؤ فلم يقدر على الخروج كسعد بن عبادة فى بدر أو فى أثناء الطريق فرد ولم يحضر صف القتال ولا شهد الواقعة كالحارث بن الصمة وخوات بن جبير وصبيح مولى أبى أحيحة فيها لا يسهم له وعليه فالإسهام لهم من الخصائص كالإسهام لمن استخلفه على المدينة أو على بعض قراها أو لجعفر بن أبى طالب وهو بالحبشة لكن فى كتاب محمد بن المواز قال ومن دخل دار الحرب فلم يبلغ العسكر حتى مرض فخلفوه فى الطريق لعله يفيق فيلحق بهم فغنموا ورجعوا فله سهمه وكذلك إن كان تخلفه فى بلد الإسلام قبل أن يدرب فى بلاد الحرب فله سهمه وقال الباجى من وجد منه الخروج فى الجيش فقد وجد منه الشروع فى العمل فلا يمنع من السهم إلا الرجوع باختياره إلى الإسلام قال محمد عن مالك ولا يمنع منه الرجوع على وجه الغلبة راجع شرح مختصر خليل للإمام المواق وبهذا الذى حررناه تعلم أن [٢٤٠] الإسهام لمن ذكرناه منه ما يحسن عده من الخصائص ومنه ما لا، ومنه ما يجرى على اختلاف العلماء فيه والله أعلم.

ضربه ﷺ لجعفر وأصحابه ممن قدم معه بسهم

ومنها أنه يوم خيبر ضرب لجعفر بن أبى طالب وأصحابه ممن قدم معه بسهم ولم يضرب لأحد غاب غيرهم أخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال بلغنا خروج النبى ﷺ ونحن باليمن فخرجت أنا وأخوان لى وأنا أصغرهم فى ثلاثة أو اثنين وخمسين رجلاً من قومى فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده فقال جعفر إن رسول الله ﷺ بعثنا ها هنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا فأقمنا معه حتى قدمن جميعا فوافينا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا وقال يا أهل السفينة لكم أنتم هجرتان.

وأخرج أبو داود عنه أيضاً قال قدمنا فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا أو قال فأعطانا منها وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئا إلا لمن شهد معه إلا أصحاب سفينتنا جعفرا وأصحابه فأسهم لهم معه وأخرج ابن أبي شيبة وأبي يعلى وابن عساكر في تاريخه عنه أيضاً قال قدمنا على رسول الله ﷺ بعد ما فتحت خيبر بثلاث فأسهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا.

ترخيصه ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ في قبول الهدية

ومنها ترخيصه لمعاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي ﷺ في قبول الهدية حين بعثه إلى اليمن قاضيا ولا يجوز قبولها للقضاة ولا [٢٤١] لغيرهم من سائر الولاة بعده ﷺ وقد قيل إذا دخلت هدية دار قاض تطايرت الشريعة من كواها.

ذكر سيف بن عمر التميمي بسند له عن عبيد بن صخر بن لوزان الأنصاري وكانت له صحبة قال: قال النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن إني عرفت بلاءك في الدين والذي قد ركبك من الدين وقد طيبت لك الهدية فإن أهدى لك شيء فاقبل قال فرجع حين رجع بثلاثين رأساً أهديت له وقال بهذا الإسناد أن النبي ﷺ قال له لما ودعه حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك وذرأ عنك شرور الإنس والجن نقله الحافظ في الإصابة في ترجمة معاذ وذكر في ترجمة عبيد بن صخر تخريج ابن السكن والطبري من طريق سيف عن سهل بن يونس بن سهل عن أبيه عن عبيد بن صخر أن النبي ﷺ كتب إلى معاذ إني عرفت بلاءك في الدين والذي ذهب من مالك حتى ركبك الدين وقد طيبت لك الهدية فإن أهدى إليك شيء فاقبل.

وأخرج الطبراني في "الكبير" وابن راهويه وابن عبد البر في الاستيعاب من طريق معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال كان معاذ رجلاً شاباً جميلاً وكان من أفضل شباب قومه سمحاً لا يمسك فلم يزل يدان حتى أغلق ماله كله من الدين فأتى النبي ﷺ فطلب إليه أن يسأل غرماءه أن يضعوا له فأبوا ولو تركوا

لأحد من أجل أحد لتركوا لمعاذ من أجل رسول الله ﷺ فباع النبى [٢٤٢] ﷺ ماله كله فى دينه حتى قام معاذ بغير شيء حتى إذا كان عام فتح مكة بعثه النبى ﷺ إلى طائفة من أهل اليمن ليجبره فمكث معاذ باليمن أميراً وكان أول من اتجر فى مال الله هو فمكث حتى أصاب وحتى قبض رسول الله ﷺ .[1] فلما قدم قال عمر لأبى بكر أرسل إلى هذا الرجل فدع له ما يعيشه وخذ سائره منه فقال أبو بكر إنما بعثه النبى ﷺ ليجبره ولست بآخذ منه شيئا إلا أن يعطينى فانطلق عمر إليه إذ لم يطعه أبو بكر فذكر ذلك لمعاذ فقال معاذ إنما أرسلنى إليه النبى ﷺ ليجبرنى ولست بفاعل ثم أتى معاذ عمر فقال قد أطعتك وأنا فاعل ما أمرتنى به فإنى رأيت فى المنام أنى فى حومة ماء قد خشيت الغرق فخلصتنى منه يا عمر فأتى معاذ أبا بكر فذكر ذلك كله له وحلف أنه لا يكتمه شيئا يعنى من المال الذى جاء به فقال أبو بكر لا آخذ منك شيئا قد وهبته لك فقال عمر هذا حين حل وطاب فخرج عند ذلك معاذ إلى الشام راجع الجمع فى مسند أبى بكر الصديق رضي الله عنه قلت وهذا يقتضى أن أبا بكر وعمر لم يبلغهما خبر تطيب النبى ﷺ الهدية لمعاذ فلذا قال عمر ما قال وفعل ما فعل جريا على مقتضى الشرع المطاع فى مثله وأما أبو بكر فكأنه علم ما كان فى نفس النبى ﷺ من ذلك بالكشف أو بالقرائن فلذلك امتنع من الأخذ منه أولاً ثم طيب له ذلك ثانيا لإذهاب ما فى نفسه ونفس عمر من الشبهة الحاصلة [٢٤٣] وقد كان أبو بكر أعلم بما فى نفس النبى ﷺ وباطنه من غيره من جميع الناس ولم يصرح معاذ لهما بتطيب النبى ﷺ ذلك له وأومأ إليه إيماء كأنه خوفا من عدم تصديق بعض الناس له واتهامه بالكذب على المصطفى ﷺ ولعل من علم ذلك من النبى ﷺ أو سمعه منه من غيره أى غير معاذ غاب حينئذ أو مات والله أعلم بالواقع من ذلك.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٢/٢٠).

تحريمه ﷺ على ﷺ أن يتـــزوج على فاطمة

ومنها تحريمه على على ﷺ أن يتـــزوج على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ لأنه يغضبه ما يغضبها وقيل إن التحريم عام فى جميع بناته عليه الصلاة والسلام قيل وكذلك ذرية بناته وإن سفلن إلى يوم القيامة.

أخرج أحمد، والبخارى فى عدة مواضع منها فى النكاح فى باب ذب الرجل عن ابنته فى الغيرة والإنصاف، ومسلم فى الفضائل، وأبو داود فى النكاح، والترمذى، والنسائى فى المناقب من حديث المسور بن مخرمة أنه سمع النبى ﷺ على المنبر يقول إن بنى هاشم بن المغيرة أى وهم أعمام ابنة أبى جهل استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم أى وهى جويرية وقيل العوراء وقيل جميلة بنت أبى جهل على بن أبى طالب فلا آذن ثم لا آذن لهم ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فإنما ابنتى بضعة منى يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها.[1]

قالوا وفيه تحريم إيذائه ﷺ بكل وجه وكل حال وإن تولد الإيذاء مما أصله مباح وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام. [٢٤٤]

وأخرج الشيخان أيضاً من حديث المسور قال إن على بن أبى طالب خطب بنت أبى جهل وعنده فاطمة بنت النبى ﷺ فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبى ﷺ فقالت يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا على ناكح بنت أبى جهل قال المسور فقام النبى ﷺ فسمعته حين تشهد قال أما بعد فإنى أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثنى فصدقنى وإن فاطمة بنت محمد بضعة منى وإنى أكره أن يفتنوها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً قال فترك على الخطبة.[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٢٠٠٤ رقم ٤٩٣٢)، ومسلم (٤/١٩٠٣ رقم ٢٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١١٣٢ رقم ٢٩٤٨).

وفى رواية للبخارى فى الخمس من حديث المسور أيضاً قال إن على بن أبى طالب خطب ابنة أبى جهل على فاطمة فسمعت رسول الله ﷺ يخطب الناس فى ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم أى عاقل ضابط لما أتحمله فهو من الحلم بكسر الحاء لا من الحلم بضمها لأنه لم يكن حينئذ محتلما بل كان ابن سبع أو ثمان فقال إن فاطمة منى وأنا أتخوف أن تفتن فى دينها ثم ذكر صهرا له من بنى عبد شمس فأثنى عليه فى مصاهرته قال حدثنى فصدقنى ووعدنى فوفى لى وإنى لست أحرم حلالا ولا أحل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله أبداً.

وأخرج الحاكم فى "المستدرك" بسند صحيح عن سويد بن غفلة وهو أحد المخضرمين قال خطب على ابنة أبى جهل إلى عمها الحارث بن هشام فاستشار النبى ﷺ فقال أعن حسبها تسألنى فقال لا ولكن أتأمرنى بها قال لا فاطمة بضعة [٢٤٥] منى ولا أحسب إلا أنها تحزن أو تجزع فقال على لا آتى شيئا تكرهه.[١]

وأخرج الحارث بن أبى أسامة عن على بن الحسين قال أراد على بن أبى طالب أن يخطب بنت أبى جهل فقال رسول الله ﷺ إنه ليس لأحد أن يتـــزوج ابنة عدو الله عليا ابنة رسول الله وأخرج الحاكم عن أبى حنظلة أن على خطب ابنة أبى جهل فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال فاطمة بضعة منى فمن آذاها فقد آذانى قال فى الخصائص الكبرى مرسل قوى.

وأخرج أحمد، والحاكم، والبيهقى عن عبيد الله بن أبى رافع عن المسور أنه بعث إليه حسن بن حسن أى الحسن المثنى بن الحسن السبط يخطب ابنته فقال والله ما من نسب ولا سبب ولا صهر أحب إلى منكم ولكن رسول الله ﷺ قال فاطمة بضعة منى

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٧٣/٣) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة.

يقبضنى ما يقبضها ويبسطنى ما يبسطها وعندك ابنتها - أى فاطمة بنت الحسين ولو زوجتك لقبضها ذلك فانطلق عاذراً له.(١)

وقد قال ابن التين الصفاقسى أصح ما تحمل عليها هذه القصة أنه ﷺ حرم على على أن يجمع بين ابنته وبين ابنة أبى جهل لأنه علل بأن ذلك يؤذيه وإيذايته حرام بالإجماع ومعنى قوله لا أحرم حلالا أنها حلال له لو لم تكن عنده فاطمة وأما الجمع بينهما المستلزم تأذيه لتأذى فاطمة به فلا انتهى.

وقال ابن أبى داود حرم الله على على أن ينكح على فاطمة حياتها لقوله ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر:٧].

وذكر الشيخ أبو على السنجى أحد عظماء الشافعية [٢٤٦] أصحاب الوجوه فى شرح التلخيص لابن القاص أنه يحرم التـزوج على بنات النبى ﷺ أى فى كلهم وفى فتح البارى لا يبعد أن يعد من خصائص النبى ﷺ ألا يتـزوج على بناته ويحتمل أن يكون ذلك خاصاً بفاطمة رضى الله عنها. وفى "المواهب" ومنها يعنى من الخصائص أنه لا يتـزوج على بناته قال فى شرحها أى يحرم انتهى.

وفى "كشف الغمة" فى الكلام على الخصائص نقلاً عن خط السيوطى ولا يجوز التـزوج على بناته ومنع بعض العلماء التـزوج على ذرية بناته وإن سفلن إلى يوم القيامة ووجهه ظاهر انتهى.

واستدل بعضهم لما قاله هذا البعض بحديث المسور الأخير فى امتناعه من تـزويج الحسن بن الحسن.

وقال فى "شرح المواهب" لا يصح هذا القول لقيام الإجماع الفعلى فى كل عصر على خلافه فهو خاص ببناته أو بفاطمة فقط على ما مر وقال وامتناع المسور من مزيد ورعه حملاً لما سمعه على عمومه انتهى.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٢٣/٤)، والحاكم (١٧٢/٣).

ومنها أن وفد ثقيف لما قدموا عليه وذلك بعد قدومه من تبوك وأنـــزلهم فى المسجد وضرب عليهم قبة فى ناحيته لكى يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا كان فيما سألوه واشترطوا عليه حين عزموا على الإسلام أن يدع لهم الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين لئلا يتروع قومهم بهدمها ابتداء فأبى إلا أن تهدم فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحدا بعد مقدمهم فأبى أن يدعها شيئا وأن لا يكسروا آلهتهم إلا بأيديهم فأجابهم لذلك وأن يعفيهم من الصلاة فقال لا خير فى دين لا صلاة فيه فقالوا يا محمد فسنؤتيكها وإن كانت دناءة وأن يعفيهم من الجهاد والصدقة فأجابهم إلى ذلك وأعفاهم منهما خصوصية [٢٤٧] لهم لكنه أخبر بعد ذلك بأنهم سيجاهدون ويتصدقون إذا تمكن الإسلام من قلوبهم فكان كذلك.

أخرج أبو داود فى سننه فى باب ما جاء فى خبر الطائف من كتاب الخراج والإمارة والفيء، والبيهقى من طريق إبراهيم بن عقيل بن منبه عن أبيه عن وهب قال سألت جابراً عن شأن ثقيف إذا بايعت قال اشترطت على النبى ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد وأنه سمع النبى ﷺ بعد ذلك يقول سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا يعنى تمكن الإسلام من قلوبهم وعرفوا ما أعد الله للمجاهدين والمتصدقين من الثواب.(١)

وأخرج أبو داود أيضاً عن عثمان بن أبى العاص أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله ﷺ أنـــزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم فاشترطوا عليه أن لا يحشروا أى إلى الجهاد ولا يعشروا أى يأخذ منهم عشرا أى صدقة ولا يجبوا أى من التجبية وهى أن ينكب المرء على مقدمه ويرفع مؤخره.

ومنها أنه أسلم رجل على أنه لا يصلى إلا صلاتين فقبل ذلك منه نقله فى شرح المواهب عن السيوطى وفى كشف الغمة عن خطه.

---

(١) أخرجه أبي داود (١٦٣/٣).

ومنها أن عائشة رضى الله عنها كانت تصلى ركعتين بعد العصر فى حياته ﷺ وبعده فالظاهر أنه عليه الصلاة والسلام رخص لها فى ذلك أو علم به وأقرها عليه خصوصية لها وإلا فما كانت تقدم عليه مع علمها بالنهى وإن الصلاة بعد العصر من خصائصه.

أخرج الشيخان عن كريب مولى ابن عباس [٢٤٨] أن عبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن أزهر والمسور بن مخرمة أرسلوه إلى عائشة زوج النبى ﷺ فقالوا أقرئ عليها السلام منا جميعا وسلها عن الركعتين بعد العصر وقل إنا أخبرنا أنك تصلينها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ نهى عنهما قال ابن عباس وكنت أضرب مع عمر بن الخطاب بالناس عليها أى على الصلاة قال كريب فدخلت عليها وبلغتها ما أرسلونى به فقالت سل أم سلمة الحديث.(١)

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه عن عائشة قالت ما زلت أصلى بعد العصر ركعتين حتى مات النبى ﷺ.(٢)

وفى سنن أبى داود عن زكوان مولى عائشة أنها حدثته أن رسول الله ﷺ كان يصلى بعد العصر وينهى عنها ويواصل وينهى عن الوصال.(٣)

وقد كان ابن الزبير يقتدى بخالته عائشة فى هذا ويصلى بعد العصر وكأنه فهم من مواظبته ﷺ عليها ومواظبة خالته أن نهيه ﷺ مختص بمن يقصد الصلاة عند غروب الشمس لا على إطلاقه وقد أشار لتوجيهه بهذا صاحب "فتح البارى" بعدما وجه به أيضاً فعل عائشة ولم يعرج على وجه الخصوصية الذى أسلفناه بحال.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٤/١ رقم ١١٧٦)، ومسلم (٥٧١/١ رقم ٨٣٤).

(٢) أخرجه ابن عساكر (٣٧٩/٣٥).

(٣) أخرجه البيهقي (٤٥٨/٢).

ومنها أن أنس بن مالك ﷺ كان يصوم من طلوع الشمس لا من طلوع الفجر قال فى "شرح المواهب" عن السيوطى وفى كشف الغمة عن خطه فالظاهر أنها خصوصية له انتهى.

ومنها أمره لبعض الصحابة بالأخذ من شاربه ثم إقراره بعد ذلك على ما [٢٤٩] هو عليه من غير أخذ منه ولو طال حتى يلقاه لحكمة فى ذلك يعلمها الله ورسوله.

أخرج أحمد من حديث أبى نضرة العبدى وعداده فى تابعى البصرة أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكى فقالوا له ما يبكيك ألم يقل لك رسول الله ﷺ خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقانى قال بلى ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجل قبض بيمنه قبضة وأخرى باليد الأخرى وقال هذه لهذه يعنى الجنة وهذه لهذه يعنى النار ولا أبالى ولا أدرى من أى القبضتين أنا.[1]

وفى "الإصابة" أبو عبد الله غير منسوب ذكره البلاذورى وأورد هو وأحمد فى مسنده من طريق حماد عن الجريرى عن أبى نضرة قال مرض رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فدخل عليه أصحابه يعودونه فبكى فقالوا له يا أبا عبد الله ما يبكيك ألم يقل رسول الله ﷺ خذ من شاربك ثم اصبر حتى تلقانى قال بلى ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول قبض الله قبضة بيمينه فقال هؤلاء للجنة ولا أبالى وقبض قبضة بيده الأخرى فقال هؤلاء للنار ولا أبالى لفظ البلاذورى زاد أحمد فى آخره فلا أدرى فى أى القبضتين أنا سنده صحيح انتهى.

وهذا باب واسع لو تتبع تتبعاً بالغاً فى المصنفات الحديثية والمسندات والأجزاء والفوائد وغيرها لحصل منه شيء كثير دون ما لم ينقل منه أو نقل ولم يصل إلى هذه الأعصار بل ضاع [٢٥٠] قبلها مما يعرف منه أنه عليه الصلاة والسلام كان فى أحيان

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٦/٤).

كثيرة يتصرف برأيه واجتهاده أو بما يلقيه الله فى روعه الطاهر أو بما يختاره من قبل نفسه الطاهرة من غير توقف على إذن خاص ظاهر لما جعل الله له فى ذلك من الحل والعقد والتفويض العام والتوكيل المطلق لا إله إلا هو يختص برحمته من يشاء من عباده.

ومما قد يندرج فى هذا وهو من غرائب الأحكام إنفاذ أبى بكر الصديق ﷺ وصية ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى الخزرجى التى أوصى بها مناما بعد وفاته أخرج أبو نعيم فى "دلائله" من حديث عطاء الخرسانى عن ابنة ثابت هذا أنه لما قتل يوم اليمامة وأخذ رجل من المسلمين درعا له نفيسة كانت عليه واختبأها رأى رجل من المسلمين ثابتاً فى منامه فأخبره بمن أخذها منه وأين هو فى منـــزله وبما سترها به وقال له فائت خالد بن الوليد فمره فليبعث إلى درعى فليأخذها فإذا قدمت على خليفة رسول الله ﷺ فقل له إن على من الدين كذا ولى من الدين كذا وفلان رقيقى عتيق وفلان فأتى الرجل خالد بن الوليد فبعث فوجد الدرع كما ذكر ووصف فلما قدم على أبى بكر أخبره فأنفذ وصيته ولا يعلم أحد أنفذت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس راجع الحديث بطوله فى الدلائل المذكورة.

وفى "الاستيعاب" لابن عبد البر وراجع الإصابة أيضاً فإنه أورد فيها الطبرانى عن أنس ثم قال ورواه يعنى الحديث البغوى من وجه آخر عن عطاء الخرسانى عن بنت ثابت بن قيس مطولا انتهى.

[٢٥١] وفى "نـــزهة الراوى وبغية الحاوى" للعارف بالله القطب سيدى المختار بن أحمد بن أبى بكر الكنتى فى الباب السادس فيما خص به ﷺ من الإنباء بالمغيبات ما نصه: ومن ذلك قوله عليه السلام لثابت بن قيس بن شماس تعيش حميدا وتقتل شهيدا وقتل يوم مسيلمة الكذاب شهيدا وأخبر بسارق درعه بعد موته بعض أصحابه فوجده كذلك وأوصى بعتق بعض عبيده والتصدق بثلث ماله وأخبر بنهاية دينه فوجد كذلك وكان يقول للذى رآه لا تقل هذا منام فأمضيت وصيته ولا نعلم أحداً أمضيت وصيته

بعد موته غيره أمضاها أبو بكر الصديق ﷺ رواه الحاكم وصححه والبيهقى وأبو نعيم مع زيادة انتهى.

فإن هذه أيضاً خصوصية لثابت ولكنها ظاهرا من أبى بكر لا من النبى ﷺ فإن قلن كان عنده علم سرى من النبى ﷺ فى حياته بذلك وأمر منه بإنفاذ وصيته المذكورة بعد موته كانت خصوصية منه عليه السلام ويمكن أن يكون هذا الإنفاذ كان برضى ورثته وموافقتهم وإقرار من عليه الدين وعليه فلا خصوصية والله أعلم بحقيقة الحال.

ومما قد يندرج فيها أيضاً ما أخرجه الزبير بن بكار فى الموفقيات عن حمران قال أتى عثمان بسارق فقال أراك جميلاً ما مثلك يسرق فهل تقرأ من القرآن شيئا قال نعم أقرأ سورة البقرة قال اذهب فقد وهبت يدك لسورة البقرة. ذكره السيوطى فى "جمع الجوامع" فإن هذه أيضاً خصوصية للرجل ولكن من عثمان ﷺ [٢٥٢] إن قلن إنه ثبتت السرقة عليه ببينة أو إقرار كما هو الظاهر المتبادر وحينئذ فيمكن أن يكون هو وأبو بكر قد تلقيا ما فعلاه تلقيا برزخيا من حضرة النبوة يقظة أو مناما وتقول حينئذ إن العمل بهذا التلقى والاعتماد عليه من خصائص الخلفاء الراشدين الأربعة دون غيرهم لصحة كشفهم وشهودهم الأمور على وجهها بحيث لا يتطرق إليها منهم اختلال بوجه ولأن رؤياهم قريبة من رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا تكون إلا حقا لحفظهم من الشيطان وحزبه ويمكن أن هذا مما أسر إليه النبى ﷺ فى حياته الدنيوية به.

قلت فإن من أسمائه ﷺ **"الحاكم"** بما أراه الله وهو مأخوذ من قوله تعالى ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ** ﴾ [النساء:١٠٥] قيل معناه بما أوحى إليك وقيل بما ألهمك وقيل بما أوقع فى قلبك.

وفى شرح الإحياء بعد ذكره هذه الآية قال فجعل الأمر إليه لطهارته عند الله وأمانته على عباده انتهى وفى تفسير ابن المنذر بسنده عن عمرو بن دينار أن رجلاً قال لعمر احكم بما أراك الله فقال مه إنما هذه للنبى ﷺ خاصة.

وأخرج ابن أبي حاتم، والبيهقى فى السنن، وابن عبد البر فى العلم، عن عمر قال احذروا هذا الرأى على الدين فإنما كان الرأى من رسول الله ﷺ مصيبا لأن الله كان يريه وإنما هو منا تكلف وظن إن الظن لا يغنى من الحق شيئا.[1]

وأخرج البيهقى فى السنن عن مسروق قال كتب كاتب لعمر بن الخطاب هذا ما [٢٥٣] أرى الله أمير المؤمنين عمر فانتهره عمر وقال بل اكتب هذا ما رأى عمر فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمن عمر.[2]

وعن عمر أيضاً قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أرانى الله إن الله تعالى لم يجعل ذلك إلا لنبيه ﷺ نقله ابن التلمسانى فى حاشية الشفا.

ومن أسمائه أيضاً "**القاضى**" وهو بمعنى الحاكم اسم فاعل من القضاء وهو فصل الأمر وبته سمى بذلك لأن قضاءه بشيء وحكمه به ماض نافذ مطلقاً كيفما كان ليس لأحد فى زمانه ولا بعده من كان رده ولا تعقبه بشيء البتة ولا النظر فيه بما يوجب إبطاله أصلاً ولو لم يظهر له وجه الحكم فيه ولا مصلحته لقوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أمراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب:٣٦] وقوله ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور:٦٣].

وأيضاً فإنه خص فى قضائه بخصائص منها ما ذكره الشهاب منها فى حاشيته على شرح الروض للشيخ زكريا الأنصارى فى الكلام على الخصائص أن منها أن من حكم عليه وكان فى قلبه حرج من حكمه كفر بخلاف غيره من الحكام قال ذكره الإصطخارى فى أدب القضاء انتهى.

---

(١) أخرجه البيهقي (١١٧/١٠).

(٢) أخرجه البيهقي (١١٦/١٠).

ومنها أنه يجوز أن يقضى بلا دعوى ولا بينة قاله ابن دحية مستدلا عليه بحديث فى مسلم.

ومنها أنه يجوز أن يقضى بما يكاشف به باطنا كأمره بقتل الشاب الذى ذكروا قوته فى الجهاد واجتهاده فى العبادة وقوله فيه والذى نفسى بيده إنى لأرى فى وجهه سفعة من الشيطان ولم يكن لقتله فى الظاهر وجه [٢٥٤] ولا سبب ولذا توقف فيه أبو بكر ثم عمر ولما ذهب على ليقتله حتما وجده قد ذهب فقال عليه السلام لو قتلته ما اختلف اثنان بعده من أمتى وفى رواية والذى نفسى بيده لو قتلتموه لكان أول فتنة وآخرها وهو حديث له طرق تقضى ثبوته بل منها ما هو صحيح على شرط مسلم راجع رسالة السيوطى التى سماها الباهر فى حكم النبى ﷺ بالباطن والظاهر.

ومنها أنه يقضى بعلمه ولو فى حدود الله من قتل أو غيره وقد أورد البيهقى فى القضاء بالعلم فى غير الحدود حديث هند زوجة أبى سفيان وقوله لها خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك وأورد ابن العربى فى الإحكام فى القضاء بالعلم فى الحدود حديث قتل النبى ﷺ بالمجزر بن زياد بن عمرو البلوى بعلمه الحارث بن سويد بن الصامت الأنصارى الأوسى لأن المجزر قتل أباه سويدا فى الجاهلية يوم بعاث فأسلم المجزر وأغفله يوم أحد الحارث فقتله غدرا وهرب إلى مكة مرتدا ثم أسلم يوم الفتح فأخبر به جبريل النبى ﷺ فقتله به لأن قتله كان غيلة وقتل الغيلة حد من حدود الله عز وجل واتفق العلماء عن بكرة أبيهم على أن القاضى لا يقتل بعلمه وإن اختلفوا فى سائر الأحكام هل يحكم بعلمه أم لا.

وفى كشف الغمة فى الخصائص وكان له قتل من اتهمه بالزنا من غير بينة ولا يجوز ذلك لغيره انتهى.

ومنها أنه يقضى ويشهد لنفسه ولولده وعلى عدوه كما أن له أن يقبل شهادة من يشهد له ولولده ولو واحدا لانتفاء الريبة عنه قطعا وقد أورد [٢٥٥] البيهقى فى القضاء لنفسه وقبول شهادة من يشهد له حديث شهادة خزيمة السابق قال وإذا جاز

ذلك جاز أن يحكم لولده وأخذ من حديث خزيمة هذا أيضاً جواز الشهادة له بما ادعاه اعتمادا على دعواه.

ومنها أنه لا يكره له القضاء ولا الفتوى فى حال الغضب لأنه لا يخاف عليه من الغضب ما يخاف علينا ذكره النووى فى شرح مسلم فى الكلام على حديث اللقطة لأنه عليه السلام أفتى فيه وقد غضب حتى احمرت وجنتاه راجع الخصائص الكبرى للسيوطى وغيره.

ومنها أنه يجوز أن يقال بما قضى به مطلقاً أنه قضاء الله وحكمه وفى شرح الموطأ للزرقانى فى الكلام على حديث بريرة فى اشتراط الولاء أثناء كلام له ما نصه: لأن الله تعالى لما أمرنا باتباعه جاز أن يقال لما حكم به حكم الله وقضاؤه انتهى.

ومن أسمائه أيضاً **"السلطان"** و**"صاحب السلطان"** لأنه جمع له بين النبوة والسلطنة الظاهرة والباطنة قال القاضى أبو بكر ابن العربى خاطب الحق تعالى نبيه ﷺ أولاً بقوله ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية:٢١،٢٢] ثم مكنه من السيطرة وآتاه السلطنة ومكن به دينه فى الأرض انتهى.

وفى الصلاة التى أخبر الأستاذ زين العابدين البكرى عن الشيخ أبي السعود الجارحى عنه حسبما فى عمدة أهل التحقيق فى البشائر بآل الصديق أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما يصليان بها على النبى ﷺ فى عالم البرزخ اللهم صل على سيدنا محمد المقدس المختار النبى السلطان النور [٢٥٦] المبين وعلى آله وصحبه وسلم.

ومن أسمائه أيضاً **"الخليفة"** وقد عده السيوطى فى خصائصه الكبرى من أسماء الله التى سمى بها ﷺ ومما يدل له قول الملائكة ببيت المقدس ليلة الإسراء بعدما فرغ من الصلاة يا جبريل من هذا معك قال محمد رسول الله ﷺ قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ثم قول الملائكة الموكلين بأبواب السماوات كلها حين استفتح جبريل وهو معه مثل ذلك.

أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه والبزار وأبو يعلى والبيهقى من طريق أبى يعلى عن أبى هريرة.

وذكر ابن دحية من أسمائه أيضاً "**خليفة الله**" لأن الله تعالى استخلفه على مملكته لسياسة الخلق وتدبيرهم وتكميل أمورهم وتنفيذ أوامره فيهم.

وفى "تحفة الأخيار" فى الكلام على اسمه ﷺ القاسم ما نصه: وهو خليفة الله فى العالم وواسطة حضرته والمتولى لقسم موهبه وأعطيته فكل من حصلت له رحمة فى الوجود أو خرج له قسم من رزق الدنيا والآخرة والظاهر والباطن والعلوم والمعارف والطاعات فإنما خرج له ذلك على يديه وبواسطته ﷺ وهو الذى يقسم الجنة بين أهلها ولأجل هذا عدوا من خصائصه ﷺ أنه أعطى مفاتيح الخزائن قال بعض العلماء وهى خزائن أجناس العالم فيخرج له بقدر ما يطلبوه فكل ما ظهر فى هذا العالم فإنما يعطيه سيدنا محمد ﷺ الذى بيده المفاتيح [٢٥٧] فلا يخرج من الخزائن الإلهية شيء إلا على يديه ﷺ قال ومن هذا يفهم اسمه الخليفة وخليفة الله انتهى منه بلفظه.

ومن أسمائه أيضاً "**قيم**" أو "**القيم**" بالألف واللام وذكر فى "مطالع المسرات" من معانيه القائم بأمور الخلق ومدير العالم فى جميع أمورهم قال وقيم الدار هو التى يمون أهلها ويقوم بشأنها ومصالحها ويراعى احتياجها إلى النفع والدفع فيوصل ذلك إليهم على مقتضى النظر انتهى.

وهو من أسماء الله الذى سمى به ﷺ وتقدم عن الشيخ الأكبر الخلاف فى القيومية هل يصح التخلق بها وأن مختاره هو صحة التخلق بها مثل جميع الأسماء لقوله تعالى ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾ [النساء:٣٤] وذكر فى صلاته أنه عليه السلام نقطة الأمر يعنى بالأمر القيومية قال شارحه أبو حفص نجم الدين محمد عمر بن عبد الجليل البغدادى وإنما كان نبينا ﷺ نقطة القيومية لأنه ﷺ مرآة لذاته تعالى ولا يظهر تعالى بذاته أصالة إلا فيه وظهوره لجميع المخلوقات إنما هو بصفاته فهو قطب العالم الدنيوى

والأخروى وقطب أهل الجنة وأهل النار وأهل الكشف وأهل الأعراف انتهى المراد منه بلفظه.

فهذه عدة أحاديث مع ما يتبعها مما هو مشعر بما ذكرناه ومشير لما أبديناه وأصلناه من إطلاق التصرف له ﷺ فى المملكة الربانية بأسرها وأنه صاحب تدابيرها وشؤنها ونهيها وأمرها.

وأما [٢٥٨] نصوص ذوى العرفان فى هذا فهى كثيرة ومن تتبع منها وجد عدة كثيرة ولنذكر منها هنا ما حضرنا الآن ما يسر الله لى الوقوف عليه فى هذا الزمان فنقول قال الشيخ الإمام العارف المحقق الكامل الربانى كمال الدين عبد الرزاق بن جمال الدين أبى الغنايم أحمد القاشانى فى شرحه لتائية ابن الفارض الكبرى المشتهرة بنظم السلوك فى القسم الأول فى المعارف فى الفصل الرابع منه فى معرفة الإنسان وخلافته ما نصه: لما اقتضى حكم سلطنة الذات الأزلية والصفات العلية بسط مملكة الألوهية ونشر ألوية الربوبية بإظهار الخلائق وتسخيرها وإمضاء الأمور وتدبيرها وحفظ مراتب الوجود ورفع مناصب الشهود وكانت مباشرة هذا الأمر من الذات القديمة بغير واسطة بعيد جدا لبعد المناسبة بين عزة القوم وذلة الحدوث حكم الحكيم سبحانه وتعالى بتخليف نائب ينوب عنه فى التصرف والولاية والحفظ والرعاية وله وجه فى القدم يستمد من الحق تعالى ووجه فى الحدوث يمد به الخلق فجعل على صورته خليفة يخلف عنه فى التصرف وخلع عليه خلع جميع أسمائه وصفاته ومكنه فى مسند الخلافة بإلقاء مقاليد الأمور إليه وإحالة حكم الجمهور عليه وتنفيذ تصرفاته فى خزائن ملكه وملكوته وتسخير الخلائق بحكمه وجبروته وسماه إنسانا لإمكان وقوع الأنس بينه وبين الخلق برابطة الجنسية وواسطة الإنسية وجعل له بحكم اسميه الظاهر والباطن حقيقة باطنة [٢٥٩] وصورة ظاهرة ليتمكن بهما من التصرف فى الملك والملكوت وحقيقتة الباطنة هى الروح الأعظم وهو الأمر الذى يستحق به الإنسان الخلافة والعقل الأول وزيره وترجمانه والنفس الكلية خازنه وقهرمانه والطبيعة الكلية هى رئيس الحملة من القوة الطبيعية وأما صورته الظاهرة فصورة العالم من العرش إلى

الفرش وما بينهما من البسائط والمركبات وهذا يعنى الخليفة المذكور هو الإنسان الكبير المشير إليه قول المحققين العالم إنسان كبير والإنسان الصغير نسخة منتخبة ونخبة منتسخة من الإنسان الكبير بمثابة الولد من الوالد انتهى المراد منه بلفظه.

وقد نقل العلامة ابن زكرى فى شرحه للصلاة المشيشية لدى قوله فيها وحجابك الأعظم صدره إلى قوله الذى يستحق به الإنسان الخلافة والروح الأعظم فى كلامه هو أول مخلوق خلقه الله وأعظمه خلقه الله على صورته أى صفته وجعله واسطة بينه وبين خليفته وهو جوهر نورانى جوهريته مظهر الذات المتجلية فى عالم الظهور ونورانيته مظهر علمها الأزلى ويسمى باعتبار الجوهرية بالنفس الواحدة وهى المشار إليها بقوله ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [الأعراف:١٨٩] وباعتبار النورانية بالعقل الأول وهو المشار إليه بحديث أول ما خلق الله العقل فهو محل الخطاب وحضرة العلم ووزير الروح الكلى الأعظم وترجمانه المعبر عنه وفى كلام بعضهم إن حقيقته عليه السلام تسمى روحا لغلبة الروحانية عليها وملكا لغلبة صفات الملكية [٢٦٠] عليها ونورا لنورانيتها وعقلا لوفور عقلها وكمال علمها وقلما لتضمنها لما هو كائن وإعلامها به وقال الشيخ الإمام الفاضل العلامة الكامل قدوة العارفين وصفوة المحققين شرف الملة والحق والدين داود بن محمود بن محمد القيصرى فى شرحه للفصوص فى الفصل التاسع من الفصول الإثنى عشر التى جعلها مقدمة للشرح ما نصه: الفصل التاسع فى بيان خلافة الحقيقة المحمدية وأنها قطب الأقطاب لما تقرر أن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة فى العلم مسماة بالماهية والعين الثابتة وأن لكل منها صورة خارجية مسماة بالمظاهر والموجودات العينية وأن تلك الأسماء أرباب تلك المظاهر وهى مربوبها وعلمت أن الحقيقة المحمدية صورة الاسم الجامع الإلهى وهو ربها ومنه الفيض والاستمداد على جميع الأسماء فاعلم أن تلك الحقيقة هى التى ترب صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها الذى هو رب الأرباب لأنها هى الظاهرة فى تلك المظاهر كما مر فبصورتها الخارجية المناسبة لصور العالم التى هى مظهر الاسم الظاهر ترب لصور العالم وبباطنها ترب باطن العالم لأنه صاحب الاسم الأعظم وله الربوبية المطلقة لذلك قال عليه الصلاة

والسلام خصصت بفاتحة الكتاب وخواتيم البقرة وهى مصدرة بقوله ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الفاتحة:٢] بجمع عوالم الأجسام والأرواح كلها وهذه الربوبية إنما هى من جهة حقيقتها لا وجهة بشريتها فإنها من تلك الجهة عبد [٢٦١] مربوب محتاج إلى ربها كما نبه سبحانه من هذه الجهة بقوله ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ [الكهف:١١٠] وبقوله ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ** ﴾ [الجن:١٩] فسماه عبد الله تنبيها على أنه مظهر لهذا الاسم دون اسم آخر ونبه على الجهة الأولى بقوله ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى** ﴾ [الأنفال:١٧] فأسند رميه إلى الله ولا تتصور هذه الربوبية إلا بإعطاء كل ذى حق حقه وإفاضة جميع ما يحتاج إليه العالم وهذا المعنى لا يمكن إلا بالقدرة التامة والصفات الإلهية جميعها فله كل الأسماء يتصرف بها فى العالم حسب استعداداتها ولما كانت هذه الحقيقة مشتملة على جهتين الإلهية والعبودية لا يصح لها ذلك أى الإلهية أصالة بل تبعية وهى الخلافة فلها الإحياء والإماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات لتتصرف فى العالم وفى نفسها وبشريتها أيضاً لأنها منه وبكاؤه عليه الصلاة والسلام وضجره وضيق صدره لا ينافى ما ذكر فإنه بعض مقتضيات ذاته وصفاته ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا فى الأرض ولا فى السماء من حيث مرتبته وإلا كان يقول من حيث بشريته للعالم فالضجر من يقع حيث مرتبته وعجزه ومسكنته وجميع ما يلزمه من النقائص الإمكانية من حيث بشريته الحاصلة من التقيد والتنـزل إلى العالم السفلى ليحيط بظاهره خواص العالم الظاهر وبباطنه بخواص العالم الباطن فيصير مجمع البحرين ومظهر العالمين فنـزوله أيضاً كماله كما أن عروجه إلى المكان الأصلى كماله فالنقائص أيضاً كمالات باعتبار آخر يعرف من [٢٦٢] تنور قلبه بالنور الإلهى إلى أن قال فالقطب الذى عليه مدار أحكام العالم وهو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة وهو الحقيقة المحمدية ﷺ وباعتبار حكم الكثرة متعدد وقبل انقطاع النبوة قد يكون القائم بالمرتبة القطبية نبياً ظاهرا كإبراهيم صلوات الله عليه وقد يكون ولياً خفيا كالخضر فى زمن موسى عليهما السلام قبل تحققه بمقام القطبية وعند انقطاع النبوة أعنى نبوة التشريع

بإتمام دائرتها وظهور الولاية من الباطن انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقاً فلا يزال فى هذه المرتبة واحد منهم قائم فى هذا المقام ليحفظ به هذا الترتيب والنظام قال سبحانه ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد:٧] ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤] كما قال فى حق النبى ﷺ ﴿ إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٣] إلى أن انختم بظهور خاتم الأولياء وهو الخاتم للولاية المطلقة فإذا كملت هذه الدائرة أيضاً وجب قيام الساعة انتهى المراد منه بلفظه.

وقد نقل كلامه هذا ملخصا من غير عزو إليه جماعة ممن بعده كالعارف بالله الجامى فى نقض النصوص فى شرح الفصوص فى الفص الأخير وهو الفص المحمدى لدى قول الأصل ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير:٢٢] أى ما ستر عنه شيء ونصه إذ لا يعذب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء من حيث حقيقته وإن كان يقول أنتم أعلم بأمور دنياكم من حيث بشريته وذلك لأن الحقيقة المحمدية التى هى صورة الاسم الجامع الإلهى هى التى ترب صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها الذى هو رب [٢٦٣] الأرباب فلابد لها من الاتصاف بصفات الإلهية كلها من العلم الشامل والقدرة الكاملة وغيرهما لتتصرف بها فى أعيان العالم بحسب استعداداتها ولكن ذلك إنما هو من جهة حقيقتها لا من جهة بشريتها فإنها من تلك الجهة عبد مربوب محتاج إلى ربها كما نبه سبحانه على هذه الجهة بقوله ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى ﴾ [الكهف:١١٠]وعلى الجهة الأولى بقوله ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:١٧] فأسند رميه إلى الله فالحاصل أن ربوبيته للعالم بالصفات الإلهية التى له من حيث مرتبته وعجزه ومسكنته وجميع ما يلزمه من النقائص الإمكانية من حيث بشريته الحاصلة من التقيد والتنــزل إلى العالم السفلى ليحيط بظاهره بخواص العالم الظاهر وبواطنه بخواص العالم الباطن فيصير مجمع البحرين ومظهر العالمين فنــزوله أيضاً كماله كما أن عروجه إلى مقامه الأصلى كماله بالنقائص أيضاً كمالات باعتبار آخر يعرف من تنور قلبه بالنور الإلهى انتهى بلفظه.

وكالشيخ أبي حفص نجم الدين محمد عمر بن عبد الجليل البغدادى نزيل دمشق فى شرحه لصلاة الشيخ الأكبر لدى قوله فيها المظهر الأتم الجامع بين العبودية والربوبية وذلك أنه بعد ما ذكر ما سبق من أن هذه الربوبية إنما هى من جهة حقيقته لا من جهة بشريته فإنها من تلك الجهة عبد مربوب محتاج وأنها لا تتصور إلا بإعطاء كل ذى حق حقه وإفاضة جميع ما يحتاج إليه العالم قال ما نصه: وهذا المعنى لا يمكن إلا بالقدرة التامة والصفات الإلهية جميعها [٢٦٤] فله كل الأسماء يتصرف بها فى العالم حسب استعداداتهم ولما كانت حقيقته ﷺ مشتملة على الجهتين أى الربوبية والعبودية لا يصح لها ذلك أى الربوبية أصالة بل تبعية وهى الخلافة فلها الإحياء والإماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات ما عدا الوجوب الذاتى لتتصرف فى العالم وفى نفسها وبشريتها أيضاً لأنها منه وبكاؤه ﷺ وضجره وضيق صدره لا ينافى ما ذكر فإنه بعض مقتضيات ذاته وصفاته ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض من حيث مرتبته وإن كان يقول أنتم أعلم بأمور دنياكم من حيث بشريته والحاصل أن ربوبيته للعالم بالصفات الإلهية التى له من حيث مرتبته وعجزه ومسكنته وجميع ما يلزمهم من الأمور الإمكانية من حيث بشريته انتهى بلفظه أيضاً.

أمين الله على خزائن الفواضل ومستودعها ومقسمها على حسب القوابل

وقد قال فيه أيضاً لدى قوله أمين الله على خزائن الفواضل ومستودعها ومقسمها على حسب القوابل وموزعها ما نصه: ونبينا ﷺ أودع الحق تعالى الأسرار عنده الحقية والخلقية لأنه الخليفة الأكمل والواسطة الأمثل ثم قال وإنما كان ﷺ مقسما لأنه الأمين عليها والواسطة العظمى فيها والخليفة الأكبر الذى فوض إليه الأمر والتصرف فيها كما قال ﷺ ما معناه إن الله هو الرزاق وأنا القاسم ولا يرد أنه ﷺ أكمل العارفين وسيدهم والمعرفة التامة لا تقتضى التصرف بل تقتضى الظهور [٢٦٥] بغاية العجز والضعف لأن هذا التقسيم كان عن أمر إلهى وجبر من عند ربه لا باختيار المأمور والمجبور معذور بل لا يلزمه العذر لأن مقتضى العبودية امتثال أمر السيد فإذا تصرف بالأمر والجبر فإنما يتصرف من كمال العبودية بل المتصرف والمقسم فى الحقيقة هو الله

تعالى كما هو شأن مرب الفرائض فتقسيماته وتصرفاته تصرفات إلهية واقعة بظهوره تعالى فيه الظهور الأتم الأكمل ثم قال لائحة معنى آخر إنما كان ﷺ مقسما لاطلاع الحق تعالى له على سر القدر والأعيان الثابتة واستعداداها فيعطى بأمر الله والخلافة الأصلية ما تقتضيه كل عين قال تعالى ﴿ **فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً** ﴾ [الجن: ٢٦] والغيب هو الأعيان الثابتة واستعداداها ﴿ **إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ [الجن: ٢٧] ونبينا مرتضى بلا شك ولا ينافى ما قررناه ما قاله شيخنا الأستاذ قدس سره فى الفصوص من أن الأعيان الثابتة مفاتيح الغيب التى لا يعلمها إلا هو وقد يطلع الله تعالى من يشاء من عباده على بعض الأمور من ذلك لأن هذا فى غير الإنسان الكامل المطلق من القيود والموصوف بأحادية الشاهد والمشهود الذى اندمجت جميع الأعيان فى عينه واندرجت جميع الأسماء الإلهية فى اسمه الأعظم أى الذى هو الله فحكمه مخالف لذلك البعض من العبيد الذين أطلعوا على بعض الأمور قال ﷺ أوتيت البارحة خزائن الأرض والسماء فلك أن تفسر خزائن أى فى كلام الشيخ بالأعيان الثابتة والفواضل [٢٦٦] مقتضيات الأعيان الثابتة انتهى بلفظه أيضاً.

وفى "الكمالات الإلهية" للعارف بالله الأوحد سيدى عبد الكريم الجيلى فى الكلام على اتصافه ﷺ بأسماء الله تعالى ما نصه: وأما اسمه المعز واسمه المذل فإنه ﷺ كان متصفاً بهاتين الصفتين والدليل على ذلك تمكينه ﷺ من التصرف الكلى فى الوجود وقد شهد الله له أنه مطاع فى الملكوت الأعلى فقال فى حقه ﴿ **ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** ﴾ [التكوير: ٢٠،٢١] يعنى عند ذى العرش فإذا شهد الله له أنه مطاع فى الملكوت الأعلى فما قولك فى الملك الأسفل وهو فى تسخير العالم العلوى فى طوعه وتحت أمره ومقتضاه بل صريحه أن هذه الآية فيه ﷺ وهو قول لبعض المفسرين عزاه عياض فى الشفا فى فصل عدله ﷺ وأمانته لأكثر المفسرين وفى موضع آخر منها لعلى بن عيسى أى الرمانى النحوى وغيره وقيل إنها فى جبريل عليه السلام وهو ظاهر السياق ورجحه غير واحد نسبوه للأكثر

وفى الكمالات أيضاً ما نصه: وأما الوالى فإنه ﷺ كان متحققا بهذا الاسم ومتصفا بهذه الصفة صفة الولاية الكبرى فهو والى الوجود وحاكمه الأكبر لأنه المعطى منه لكل حقيقة من الحقائق مرتبة من المراتب على ما يقتضيه شئون جوده ﷺ وهذا عين الولاية الكبرى والحكم النافذ فهو ﷺ الوالى الحقيقى لأنه قطب [٢٦٧] الوجود المطلق عليه تدور رحى الحقائق كلها ﷺ انتهى.

وفيها أيضاً ما نصه: وأما اسمه القادر واسمه المقتدر فهذان الاسمان هما أئمة الأسماء الفعلية وقد كان ﷺ متحقق بهما وموصوف بصفات القدرة إذ لا خلاف بأنه ﷺ كان كلما استعجزته قريش بطلب معجزة جاء بها على حسب ما طلبته منه ثم قال فلا شك أنه ﷺ كان متحققا بصفة القدرة غير عاجز عن اختراع أمر يريده ﷺ قال وأما اسمه المقدم والمؤخر فإنهما من الأسماء الفعلية ومتى صح أنه كان متصفا بالقدرة فبالضرورة يصح اتصافه بجميع الأسماء الفعلية وقد أقر العباس بن مرداس السلمى على قوله:

ومـــن تضـــع الـــيوم لا يـــرفعى

ولم ينكر عليه فهذا دليل على أنه مقدم ومؤخر ﷺ انتهى.

وفيها أيضاً ما نصه: وأما اسمه **الضار** واسمه **النافع** وهما من أسماء الأفعال فقد كان ﷺ متحققا بهما لتحققه بصفات القدرة وقد أوسعنا الكلام فى الاستدلال لذلك فلا حاجة إلى إعادة الدليل انتهى.

وفيها أيضاً ما نصه: وأما اسمه **الوكيل** فإنه ﷺ كان متحققاً بهذا الاسم متصفا بهذه الصفة والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ [الأحزاب:٦] فبالضرورة يكون أولى بالتصرف فيما يملكونه منهم فهو الوكيل المطلق عليهم ولا يحتج بقوله تعالى ﴿ **وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ** ﴾ [الأنعام:١٠٧] [٢٦٨] وقوله تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً** ﴾ [الإسراء:٥٤] فإن هذه الوكالة هى المخصوصة من جهة محاسبتهم ومعاقبتهم والشدة عليهم لأنه أرسل رحمة لا نقمة ﷺ انتهى بلفظه فى الجميع.

وفى "مطالع المسرات وتحفة الأخيار" واللفظ للأول فى الكلام على أسمائه ﷺ ما نصه: وأما اسمه ﷺ وكيل فيحتمل أنه بمعنى كفيل وزعيم وعليه تفسير بعضهم أنه كفيل وضمين للمطيعين بالجنة ويحتمل بأنه بمعنى الموكول والمفوض إليه الأمر والقائم به ثم يحتمل مع ذلك أن يكون إشارة إلى تولية التصريف فى الكون على سبيل الخلافة والنيابة، وذلك ما لا شك فى ثبوته وحصوله للنبى ﷺ على وجه أخص فما ثبت منه لغيره يعنى من الأنبياء والأقطاب قال وإنما ثبت ما ثبت منه لغيره بتوليته ﷺ واتبعوا له كيف وهو ﷺ الخليفة الأكبر والواسطة فى الدارين والرابطة لكل المخلوقين، ويحتمل أن يكون المراد التفويض إليه فى الأحكام الشرعية فيحكم باجتهاده حسبما ذكروا فى خصائصه أنه يجوز أن يقال له احكم بما تشاء فما حكمت به فهو صواب موافق لحكمى على ما صححه الأكثرون فى الأصول وليس ذلك لغيره انتهى منه بلفظه.

وقد نقله به أيضاً العارف بالله سيدى مصطفى البكرى فى "الروضات العرشية فى الكلام على الصلوات المشيشية" وفى "التيسير" للشيخ عبد الرءوف المناوى لدى قوله فى الحديث المخرج عند أحمد والشيخين والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة [٢٦٩] مرفوعاً أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم.(١) من حديث عقبه ما نصه: فى كل شيء لأنى الخليفة الأكبر الممد لكل موجود فحكمى عليهم أنفذ من حكمهم على أنفسهم قال وذا قاله لما نــزلت الآية انتهى. يعنى قوله تعالى ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ [الأحزاب:٦] وسألته يعنى شيخه أبو العباس التيجانى عن قوله تعالى ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ [الأحزاب:٦] الآية فأجاب ﷺ أنه ﷺ له الاستيلاء على جميع المراتب وفيها بالحكم والتحكم فيها بكل وجه وبكل اعتبار والمراتب هى أفراد المخلوقات من كل جوهر وكل ذات وكل ذرة وكل جرم وكل ذات على انفرادها هى مرتبة للحق وكلها مراتب إلهية فبهذا القدر كان أولى من كل أحد من نفسه انتهى. وقد نقله صاحب الجامع أيضاً وهوابن المشرى.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٨٠٥ رقم ٢١٧٦)،ومسلم (٣/١٢٣٧ رقم ١٦١٩).

وفيها أيضاً نقلاً عن شيخه المذكور فى شرحه ليقوتة الحقائق قال فيه لدى قوله فيها اللهم صل وسلم على أشرف الخلائق الإنسانية والجنية ما نصه: يعنى أنه هو زبدهما ويقوتتها قال ﷺ إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه اختار منهم بنى آدم إلى قوله واختارنى من بنى هاشم ودل الحديث بل صرح أن هذا الجنس الآدمى هو صفوة الله من خلقه وهو محل تنــزل الرحمة الإلهية وهو محل نظر الله تعالى من جميع الموجودات فجنس الإنسان خلق من أجل الله تعالى وخلقت الأكوان كلها من أجله وكان التخصيص لهذا الجنس من الإنسان اتخذ خليفة فى الأكوان من هذا الجنس وهو الفرد [٢٧٠] الجامع فهو محيط بالعالم كله والعالم كله فى قبضته وتحت حكمه وتصرفه يفعل فيه كل ما يريد بلا منازع ولا مدافع وقصارى أمره أن كل شىء كان الرب إلها له كان هو خليفة عليه فكما لا خروج لشىء من الأكوان عن ألوهية الله تعالى كذلك لا خروج لشىء من الأكوان عن سلطنة هذا الفرد الجامع يتصرف فى المملكة بإذن مستخلفه انتهى منه بلفظه.

وقال ابن حجر الهيتمى فى شرحه لهمزية البوصيرى لدى قوله فيها:

أنــــت مصــــباح كـــــل فضــــل

عقبه ما نصه: وكمال أبرز لغيرك فى الوجود لأنك الخليفة الأكبر الممد لكل موجود وشاهده ما صح من خبر آدم فمن دونه تحت لوائى وخبر إنما أنا قاسم والله يعطى وخبر لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى وخبر إن إبراهيم قال إنما كنت خليلا من وراء وراء انتهى.

وفى " المواهب اللدنية " أول المقصد الأول بعد ما ذكر فيه أنه لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية فى الحضرة الأحدية ثم سلخ منها العوالم كلها ثم أعلمه بنبوته وبشره برسالته وآدم بين الروح والجسد ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح ما نصه: فهو ﷺ الجنس العالى على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن فى حقه ﷺ إلى وجود

جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان فى جريانه إلى الاسم الظاهر فظهر سيدنا محمد ﷺ بكليته جسما [٢٧١] وروحا فهو ﷺ وإن تأخرت طينته فقد عرفت قيمته فهو خزانة السر وموضع نفوذ الأمر فلا ينفذ الأمر إلا منه ولا ينقل خير إلا عنه ثم أنشد أبياتا وهى من إنشاد أو إنشاء الشيخ الأكبر سيدى محيى الدين ابن العربى الحاتمى فى فتوحاته أول الباب الثانى عشر فى معرفة دورة فلك سيدنا محمد ﷺ وهى:

ألا بأبى من كان ملكا وسيدا ... وآدم بين الماء والطين واقف
فذاك الرسول الأبطحى محمد ... له فى العلى مجد تليد وطارف
أتى بزمان السعد فى آخر المدى ... وكان له فى كل عصر مواقف
أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه ... فأثنت عليه السن وعوارف
إذا رام أمر لا يكون خلافه ... وليس لذاك الأمر فى الكون مارق

انتهى.

وقال الشيخ العلامة المحقق أبو عبد الله سيدى محمد بن أحمد بنين فى شرحه لهمزية البوصيرى لدى قوله فيها:

وأتت قومها بأفضل مما ... حملت قبل مريم العذراء

بعد ذكره لبعض آيات سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ما نصه: وكل ذلك فى الحقيقة آية من آيات النبى ﷺ لأنه الخليفة الأشهر والملك الأكبر الذى له التصرف المطلق والإذن العام فى المملكة بأجناسها وأنواعها وأصنافها وجزئياتها وذلك بتمليك الله تعالى له واستخلافه إياه فهو المعطى والممد والموصل إلى كل ذى حظ حظه.

ومن أسمائه ﷺ [٢٧٢] "**القاسم**" لأنه المتولى لقسمة مواهب الله تعالى وأعطيته فكل من حصلت له رحمة فى الوجود أو خرج له قسم من رزق الدنيا والآخرة والظاهر والباطن والعلوم والمعارف والطاعات فإنما خرج له ذلك على يديه وبواسطته

ﷺ وهو الذى يقسم الجنة بين أهلها ولذا عدوا من خصائصه ﷺ أنه أعطى مفاتيح الخزائن انتهى المراد منه بلفظه.

وفى "الفتوحات" فى الباب الثالث والخمسين وثلاثمائة بعد ذكره لآية ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى:٥] وهو عطاء كن فى ظاهر العين كما هو له فى الباطن قال فإن الإنسان له فى باطنه قوة كن وما له منها فى ظاهره إلا الانفصال وفى الآخرة يكون حكم كن منه فى الظاهر وقد يعطى لبعض الناس فى الدنيا وليس لهم ذلك على العموم فمن رجال الله من أخذ بها ومن رجال الله من تأدب مع الله فيها لعلمه أن هذا ليس بموطن لها انتهى المراد منه بلفظه.

وفى "الدرة الثمينة" للعارف بالله أحمد بن محمد بن عبد النبى الدجانى الأنصارى الشهير بالقشاشى فى الفصل الثانى فى الكلام على الزائرين له ﷺ بالمدينة ما نصه: وناس من الزائرين من المستغفرين الله فى الطبقة الخامسة من طبقات الزيارة لهم توبة من الله ورحمة فى حضرة رسول الله ﷺ من رؤية الرؤيا رحمة من الله بهم وتوبة عليهم بذلك من حضرة شفاعته ﷺ لكل زائر لأنه الواسطة والشفيع لعامة المؤمنين فى جميع [٢٧٣] أحوالهم لأنه خليفة الله فيهم المفوض إليه الأمر ولذا قال ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾ [النساء:٦٤] انتهى المراد منه بلفظه.

وفيها أيضاً فى آخر الكتاب أثناء كلام له ما نصه: فهو ﷺ باق بين أمته ويرد بنفسه على المسلم عليه وقد ملأ الأكوان و لم يخل منه وطن ولا مكان و لم يشغله شأن عن شأن لأنه خليفة الرحمن انتهى بلفظه أيضاً.

عروس المملكة

وفى "مطالع المسرات وتحفة الأخيار" واللفظ للأول لدى قول صاحب الدلائل فى أوائل الحزب الثانى ومن مملكتك ما نصه: والمعهود تشبيه مجتمع العرس بالمملكة وعكس التشبيه هنا لاقتضاء المقام ذلك ليفيد أن سر المملكة ونكتتها ومعناها الذى لأجله كانت هو المصطفى ﷺ كما أن سر مجتمع العرس ونكتته ومعناه الذى لأجله كان هو العروس والمصطفى ﷺ هو الإنسان الكبير الذى هو الخليفة على الإطلاق فى الملك والملكوت قد خلعت عليه أسرار الأسماء والصفات ومكن من التصرف فى البسائط والمركبات والعروس يحاكى بشأنه شأن الملك والسلطان فى نفوذ الأمر وخدمة الجميع له وطوعهم لشأنه ووجدانه ما يحب ويشتهى مع الراحة وأصحابه فى مؤنته وتحت إطعامه فتم التشبيه وتمكنت الاستعارة وفى " المواهب اللدنية " وقد قال بعض العلماء فى قوله تعالى ﴿ **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ [النجم:١٨] أنه رأى صورة ذاته المباركة فى الملكوت فإذا هو عروس المملكة انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ الإمام [٢٧٤] العارف أبو العباس أحمد بن محمد الصاوى المالكى الخلوتى المصرى فى شرحه لصلوات شيخه سيدى أحمد الدردير فى الكلام على الصيغة التى نقلها حجة الإسلام الغزالى عن القطب العبدوسى لدى قوله فيها وعروس المملكة الربانية ما نصه: أى المميز فى عوالم الملك والملكوت بالفخر والبهاء كالعروس فإنه ﷺ الخليفة على الإطلاق الذى صرفه الله فى الملك والملكوت بسبب أنه خلع عليه أسرار الأسماء والصفات ومكنه من التصريف فى البسائط والمركبات فكان بذلك المعنى عروسا لأن العروس نافذ أمره والجميع خدمه انتهى.

وقال أيضاً فى الكلام على **صلاة طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها** ما نصه: ومعنى الجميع أن الله تعالى أجرى على يده ﷺ دفع المضار الظاهرية والباطنية الدينية والدنيوية كما أجرى على يده المنافع كذلك وهو معنى تصريف الله تعالى له ﷺ فى الدنيا والأخرى على حد قوله تعالى فى حق عيسى

عليه السلام ﴿ وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة:١١٠] فما ثبت لعيسى عليه السلام فهو لنبينا ﷺ وزيادة انتهى.

وفى "المواقف" للأمير عبد القادر الجزائرى ثم الشامى فى الموقف التاسع والثمانين أثناء توجيه أسماء العنصر الأعظم الذى هو الحقيقة المحمدية ما نصه: وأما وجه تسميته بالحق المخلوق به كل شىء فلأنه ليس إلا هو ظهور الحق وتعينه فهو حق والظهور والتعين عدم فهو [٢٧٥] خلق ولما ظهر الحق تعالى به جعله شرطا وسببا لوجود كل موجود بعده إلى غير نهاية وفوض الحق إليه أمر المملكة كلها فهو يتصرف فيها بإرادته تعالى انتهى منه بلفظه.

وفيها أيضاً فى الموقف الثانى ومائة أثناء كلام له ما نصه: وقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ [الشورى: ٥٢،٥٣] من حيث حقيقتك فإنك التعين الأول والمظهر الكامل والخليفة المفوض انتهى.

والنصوص كما ترى كلها تشير أو تصرح بأنه ﷺ نقطة الأمر التى ترجع إليها جميع المخلوقات والواحد الإلهى الذى قامت به كل الموجودات وبأنه خليفة الله المخصوص المحكم بتحكيمه تعالى فى العموم والخصوص والمتصرف فى العالم كله بتصرف الله ونافذ الحكم فيه بأمر الله لا راد لما يقضى ولا متعقب لما يمضى كما قيل من قصيدة فى الأمداح النبوية لأبى العباس أحمد بن عبد الحى الحلبى نزيل فاس ودفينها:

وإذا ما قضى قضاء بحق   كان أمر محمد مقضيا

بل الكل تحت قهره وسلطانه ومعترف بجوده وفضله وامتنانه، وبأنه المفوض إليه فى المملكة التفويض التام المأذون له فى التحكم والتصرف فيها بالإذن المطلق العام وبأنه والى هذا الوجود وحاكمه المشهود والنائب فيه عن الله، والقائم فيه وعليه بأمر الله وسائر المتصرفين خلفاؤه ونوابه وهو الواسطة العظمى وحجاب الله الأعظم وبابه ولذا كان المرآة الكبرى، والمظهر [٢٧٦] الأعظم لتجليات الحق تعالى كلها دنيا وأخرى،

والواسطة العظمى فى التعريف للعالم الأسماى، والرسول المطلق لكافة الخلق من الأولين والآخرين، والرحمة العامة لجميع العالمين، وكانت رسالته للكل شاملة، وامداداته فى جميع الخلق عاملة، وعقدت له النبوة قبل كل شيء ودعا إلى الله تعالى قبل كل داع وآمن به الكل عند خلق الأرواح وبدء الأنوار فكان آدم الأرواح ويعسوبها كما أن آدم عليه السلام أبو الأجساد وسببها وكل شيء يشهد لله تعالى بالوحدانية شاهد له ﷺ بالرسالة وكل من الله تعالى ربه وراعيه فسيدنا محمد ﷺ رسوله وآمره وناهيه ولا يصل إليه شيء إلا بواسطته ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم، فإن قلت فإذا كان كذلك فلما خاطبه الحق تعالى بقوله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]وقوله ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ [فاطر:٢٣] ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ البَلاغُ ﴾ [الشورى: ٤٨] وقال له ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِيضراًوَلاَ نفعاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [يونس:٤٩] ﴿ قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْضراًوَلاَ رَشَداً ﴾ [الجن:٢١] ونحو ذلك مما يؤذن بأنه عبد مأمور وليس له من أمر الخلائق شيء ولا يملك لنفسه فضلاً عن غيره نفعاً ولاضراً.

قلنا الأمر كذلك من حيث عينه وبشريته وكما وصفنا قبل من حيث حقيقته ومرتبته فهو من حيث ذاته الظاهرة وبشريته لا يملك لأحد نفعاً ولاضراًومن حيث مرتبته الباطنة يملك كل شيء، فإن له من هذه الحيثية الإحياء والإماتة واللطف والقهر والرضا والسخط والمنع والإعطاء والضر والنفع وجميع الصفات التى يحصل [٢٧٧] بها التحكم والتصرف فى العالم العلوى والسفلى عطاء ومنحة من ربه تعالى ولذا قال الشيخ الأكبر قدس سره فيه فى صلاته المشهورة المظهر الأتم الجامع بين العبودية والربوبية والنشء الأعم الشامل للإمكانية والوجوبية وإن شئت قلت فى الجواب الأمر كذلك وبالنظر إلى ذاته وما هو عليه فى نفسه مع قطع النظر عما تفضل مولاه به عليه وأسدى من الأيادى العظيمة لديه وأما مع النظر إلى ذلك فهو يملك كل نفع وخير وكل ضر ووبال وبيده الرشد والغى والهدى والضلال للأدلة السابقة، فهو من حيث ذاته ونفسه أو من عينه وبشريته لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولاضراًولا موتا ولا

حياة ولا نشورا ومن حيث فضل الله عليه يملك كل ذلك بل وكل شيء وبيده كل أمر ﷺ.

ونظائر هذا كثير ينفى عن الشخص الشيء نظرا لذاته حتى يعرف ما هى عليه أصالة من جهلها وعجزها ونحو ذلك ثم يثبت له نظرا لعارض الامتنان والفضل حيث يعرف منة الله عليه وتعرفه بما ليس فى طوقه من الآيات والنعم إليه ولذلك أسرار وحكم منها ما علمته ومنها ما لم تعلم فتبارك الله أحسن الخالقين لا إله إلا هو رب العالمين.

مرتبة الإنسان الكامل

قال القيصرى فى "شرح الفصوص" فى الفصل الأول منه ما نصه: ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن جمع جميع المراتب الإلهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة إلى آخر تنـزلات الوجود وتسمى بالمرتبة العمائية أيضاً فهى مضاهية [٢٧٨] للمرتبة الإلهية بلا فرق بينهما إلا بالربوبية والمربوبية لذلك صار خليفة الله انتهى منه بلفظه.

فإن قلت أيضاً قد وقع فى "كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان" للعارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى ما يخالف ما ذكرتموه من التفويض له ﷺ ونصه:

وسألونى هل وصل أحد من الخلفاء الأكابر من الرسل إلى مرتبة يفعل فيها ما يشاء من غير تحجير من حيث إن للخليفة ما للمستخلف من الصفات فأجبتهم ما بلغنا أن الله تعالى أطلق لأحد ممن استخلفه فى الأرض أن يحكم ويفعل ما يريد أبدا إنما استخلفهم خلافة مقيدة بأمور مقصودة محصورة وانظر إلى ما قال فى حق سيد الأولين والآخرين قال له ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء:١٠٥] وأنشدوا فى ذلك:

إلى مــن أجــل خلافــى لمصــرح الحجــر من شيم الحدوث فلا تقل

هيهات أنت مقيد بخلافة أين الصراح وباب كونك يفتح
والقلب خلف مغاق مجهولة ضاعت مفاتحها فليست تفتح
لا تفرحن بشرح صدرك إنه شرح لتعلم أن قيدك أرجح

تأملوا أيها الجان فى تحجير الأمور على سيد الأولين والآخرين فى قوله ﴿ اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [الأحزاب:٢] وفى قوله تعالى لداود عليه السلام ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى ﴾ [ص:٢٦] مع كونهما من الخلفاء بيقين إذ الخليفة من الرسل هو كل من أذن له أن يجاهد بالسيف ويأمر وينهى انتهى المراد منه بلفظه.

ووقع أيضاً له فى كتاب " الجواهر والدرر " ما يخالف ما ذكرتموه من التصرف العام فى جميع المملكة له ﷺ [٢٧٩] ولغيره من الخلفاء ونصه قلت لسيدى على الخواص فهل أعطى أحد التصرف فى جميع العالم على الكمال فقال ﷺ لا ذلك من خصائص الحق والله أعلم انتهى منه بلفظه.

قلنا أما كلام الجواهر هذا نقلاً عن سيدى على على احتمال أن المراد بالكمال فيه كمال العالم فهو خلاف ما قرره غير واحد من العارفين الكبار من أن الخليفة الكبير النائب فى الله وهو القطب الأعظم يتصرف عن جميع العوالم المخلوقة لله ولا يغيب عنه منها شىء وانظر إلى قول العارف الختم سيدى أحمد التيجانى فيما تقدم عنه قريبا فى الفرد الجامع أنه محيط بالعالم كله والعالم كله فى قبضته وتحت حكمه وتصرفه يفعل فيه كل ما يريد بلا منازع ولا معارض قال وقصارى أمره أن كل شىء كان الرب إلها له كان هو خليفة عليه فكما لا خروج لشىء من الأكوان عن ألوهية الله تعالى كذلك لا خروج لشىء من الأكوان عن سلطنة هذا الفرد الجامع يتصرف فى المملكة بإذن مستخلفه انتهى.

ومنها أيضاً فيما سلف عنه فى الكلام على آية ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠] من أن معناه ينوب عنه فى مملكته سبحانه وتعالى قال فحيثما كان الرب إلها كان هو عليه خليفة فى الأحكام فى جميع المملكة ثم قال فى قول الجيلى

وأمرى بأمر الله إن قلت كن يكن ونحوه من الكلام أن معنى ذلك أنه خليفة استخلفه الحق على مملكته تفويضا عاما أن يفعل فى المملكة كل ما يريد ويملكه الله كلمة التكوين متى قال لشىء كن كان من حينه قال وهذا من حيث [٢٨٠] بروزه بالصورة الإلهية المعبر عنها بالخلافة العظمى فلا يستعصى عليه شىء من الوجود قال سيدنا عمر ﷺ أنا مبرق البروق ومرعد الرعود ومحرك الأفلاك ومديرها يريد بها أنه خليفة الله فى أرضه فى جميع مملكته انتهى. وراجعه فقد ذكر نحوه أيضاً قبله بنحو خمسة أوراق وذلك فى الفصل الثالث من الباب الخامس وقال فيه أيضاً ما نصه: الخليفة له التصرف العام والحكم الشامل التام فى جميع المملكة الإلهية وله بحسب ذلك الأمر والنهى والتقرير والتوبيخ والحمد والذم على حسب ما يقتضيه مراد الخليفة سواء كان نبياً أو ولياً انتهى.وقال فيه أيضاً اعلم أن حقيقة القطبانية هى الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً فى جميع الوجود جملة وتفصيلا حيثما كان الرب إلها كان هو خليفة فى تصريف الحكم وتنفيذه فى كل من عليه ألوهية الله تعالى انتهى.

وفى "الإنسان الكامل" فى الباب السابع والثلاثين قال كل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف فى جميع المملكة الوجودية ويعلم كل واحد منهم ما اختلج فى الليل والنهار فضلاً عن لغات الطيور انتهى.

وفى "الإبريز" نقلاً عن شيخه قال ولهم لأهل الديوان التصرف فى العوالم كلها يعنى السفلية والعلوية وحتى فى الحجب السبعين وحتى فى عالم الرقى وهو ما فوق الحجب السبعين إلى آخر كلامه وراجعه فيما تقدم.

وفى كتاب "الجامع" لابن المشرى فى المجلد الأول لدى كلامه نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى على نسبه ﷺ إلى الحضرة الإلهية بعد ما ذكر أنه جمعيته لأمور الأول [٢٨١] منها عبوديته لله تعالى من حيث هو بذاته ثم عبوديته له من حيث كافة أسمائه وصفاته ما نصه: ثم جلوسه على كرسى الخلافة المطلقة العامة الشاملة عن الحق تعالى فى جميع مملكته التى هى مقضيات ظهور مشيئته بلا شذوذ منها وإلباسه له حلة

الصفات وإلباسه له تاج الخلافة العظمى وبسط يديه فى المملكة الإلهية فى كل ما شاء وأراد بلا منازع ولا إباية لشىء منها عن ذلك بل كل المملكة داخلة تحت قهره وإرادته لمكان خلافته من مستخلفه سبحانه وتعالى انتهى المراد منه بلفظه.

وكلام العارفين بهذا ونحوه كثير لكن يحتمل وهو الظاهر المتبادر أنه أراد بالكمال كمال التصرف وعليه فلا مخالفة لأن معناه حينئذ أن كمال التصرف فى جميع العالم ليس إلا لله يعنى أو من أقامه الله مقامه وجعل إليه حل كل أمر وإبرامه وهو رسوله الكريم ونبيه العظيم ﷺ وغيرهما وإن تصرف فى جميع العوالم فتصرفه ناقص بالنسبة إليهما والله أعلم.

وأما كلام الكشف فربما يكون قصد به سد الذريعة وقوفاً مع ما تقتضيه ظواهر الشريعة لئلا يتطرق إلى الأنبياء فيما يشرعونه خدش أو مقال من أهل الزيغ والضلال خصوصاً من الجان وربما يكون ناظراً لما اختاره الآمدى وابن الحاجب والتاج السبكى فى مسألة تفويض الحكم من قبل الله تعالى لنبى أو عالم من أنه وإن كان جائزاً غير واقع مطلقاً ونحن نقول وقوع ذلك للأنبياء عموما من حيث الجملة قال به بعض الأئمة وهو مستفاد من بعض الأدلة [٢٨٢] الشرعية وعضده كشف الأولياء ولنبينا ﷺ خصوصاً ذهب إليه كثيرون واستفيد من النصوص الكثيرة السابقة وعضده خلافته العظمى بالأصالة عن الله تعالى وكونه المخلوق الأول على الصورة الإلهية والحضرة الفاعلية ذاتا وصفات وأفعالاً وإحكاماً وحينئذ فلا يعدل عنه إلا أنه لا يتأتى أن يكون هو أو أحد من الأنبياء المفوض إليهم فى فعل من أفعاله أو حكم من أحكامه خارجا عن مراد الحق تعالى لمحة لأن إرادتهم تابعة لإرادته تعالى لا تخرج عنها بحال وخروجها عنها يعد من المحال كيف والواحد من الأولياء يصل إلى مرتبة اتحاد إرادته بإرادة الحق تعالى بحيث لا تخرج عنها أصلاً فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف بالخلفاء منهم فكيف بالخليفة الأعظم ﷺ على أن هذا الذى ذكره سيدى عبد الوهاب الشعرانى هنا يخالف ما ذكره فى أوائل الميزان وتقدم عنه من أن الحق تعالى جعل له ﷺ أن يشرع من قبل نفسه ما شاء راجع عبارته والله أعلم.

وليكن هذا آخر المقصد الوحيد الذى هو إنسان عين كل محب صادق أحيد وقذى فى عين كل مبتدع وجاحد وظالم وجاهل ومعاند وبعده الخاتمة التى هى بفضل الله تعالى لكل داء حاسمة فنقول الخاتمة

[٢٨٣] فى بيان أن العوالم كلها مستمدة منه وواقفة لديه وأنه لا وصول إلى الله تعالى إلا من بابه ولا معول للخليفة فى الدنيا والآخرة إلا عليه.

أول كل شيء برز عن الذات العلية الإلهية نور سيدنا محمد ﷺ

اعلم أن أول كل شيء برز عن الذات العلية الإلهية بمحض التخصيص الأزلى والعناية الربانية نور سيدنا محمد ﷺ الذى هو أصل كل نور وبه بان من الأسماء الإلهية والصفات الذاتية كل بطون وظهور فكان واسطة بين الوجود الحقيقى والعدم ورابطة تعلق الحدوث بالقدم وقد روى عبد الرزاق فى مصنفه بسنده إلى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء قال يا جابر إن الله عز وجل خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا إنسى فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السماوات ومن الثانى الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم للقسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهو المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد [٢٨٤] رسول الله الحديث قال بعضهم تنظر بقيته فى مصنف عبد الرزاق قلت وهذا يدل على أن له بقية خلافاً لما اقتضاه كلام غير واحد من أن المذكور هو آخر الحديث وفى الدرة الثمينة للعارف

القشاشى قال وسكت عن الجزء الرابع والتقسيم فيه لأنه هو هو وقد بلغ الأمر به المنتهى كما بدأ فهو الأول والآخر والظاهر والباطن انتهى.

وقال العارف الحفنى فى حاشية شرح الهمزية لابن حجر ما نصه: والباقى من نوره بقى حتى أودع فى صلب آدم عليه السلام قال أى بعد أن خلقت منه أرواح الأنبياء فإن أرواحهم مخلوقة من نوره ﷺ وما بقى من النور جعل فى ظهر آدم إلى آخره فحرر انتهى.

وفى "شفاء الصدور" لابن سبع ذكر بقيته وقد نقلها غير كابن التلمسانى على الشفا وصاحب المدخل وسيدى المهدى الفاسى فى تحفة الأخيار ولفظها وأقبل الجزء الرابع يتردد بين يدى الله تعالى ويسجد له عز وجل فقسمه الله أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول العقل ومن الثانى المعرفة وأسكنها فى قلوب العباد ومن الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار والجزء الرابع جعله الله حول العرش حتى خلق آدم عليه السلام فأسكن ذلك النور فيه وفى لفظ وجعل الجزء الرابع تحت ساق العرش ومدخرا فلما خلق الله آدم عليه السلام ركب فيه الجزء الرابع ونقله من صلب إلى صلب حتى صار إلى محمد ﷺ انتهى.

قال العلامة ابن زكرى فى الإلمام والإعلام وهذا القسم لا يوجب قسمة الماهية المحمدية كما لا [٢٨٥] يوجب الاقتباس من الأنوار قسمتها ولا النقص منها قال وبهذا يندفع الإشكال انتهى.

ومعنى هذا الحديث أن الله تعالى خلق ذاته النورانية الباطنة قبل كل شىء نوره سبحانه وتعالى بدون واسطة ولا سبب ثم إنه تعالى نسل منها العوالم علوية وسفلية نورانية وطبيعية وعنصرية ورتبها فى الخلق على حسب مشيأته وما سبق فى سبق أزليته وفيما أخرجه أبو مروان الطبنى فى فوائده من جملة حديث طويل يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله عز وجل أول كل شىء نورى فسجد لله فبقى فى سجوده سبعمائة عام فأول كل شىء سجد لله نورى ولا فخر يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله

العرش من نورى والكرسى من نورى واللوح والقلم من نورى والشمس والقمر من نورى ونور الأبصار من نورى والعقل الذى فيه رؤس الخلائق من نورى ونور المعرفة فى قلوب المؤمنين من نورى ولا فخر.

وفى حديث ذكره غير واحد كالعارف الفاسى فى حواشيه على "دلائل الخيرات" وصاحب تحفة الأخيار ومطالع المسرات فى مواضع منهما وسيدى مصطفى البكرى فى الروضات العرشية أول ما خلق الله نورى ومن نورى خلق كل شىء.

وعند الديلمى بلا إسناد عن عبد الله بن جراد مرفوعاً أنا من الله عز وجل أى مخلوق من نوره تعالى والمؤمنون منى أى مخلوقون من نورى وبواسطتى فمن آذى مؤمنا فقد آذانى الحديث ذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة بعد أن نقل عن شيخه الحافظ أنه كذب مختلق وعن بعض الحفاظ أنه لا يعرف هذا اللفظ مرفوعاً.

وفى الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمى وسئل نفع الله به [٢٨٦] عن حديث أنا من الله والمؤمنون منى من رواه فأجاب بقوله هو كذب مختلق وإن ذكره الديلمى بلا إسناد انتهى.

قلت هو موجود فى كتب الصوفية وجزم بعض الكبار بصحته كشفا وزكره جماعة منهم صاحب روح البيان بلفظ أنا من نور الله والمؤمنون من فيض نورى.

قال الأمير عبد القادر الجزائرى فى "مواقفه" ما نصه: وإنما خص المؤمنون للتشريف وإلا فكل الخلق منه مؤمنهم وكافرهم ولهذا كان الكمل يشهدونه فى كل شىء على الدوام حتى قال المرسى ﷺ لو احتجب عنى رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين فالمراد بعدم الاحتجاب دوام شهود سريان حقيقته فى العالم كله لا شخصه الشريف انتهى.

وذكر الورتجى فى تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف:٨١] عن جعفر الصادق قال أول ما خلق الله نور محمد ﷺ قبل

كل شيء وأول من وحد الله فى خلقه ذرة سيدنا محمد ﷺ وأول ما جرى به القلم لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقال فى تفسير الآية فيها إشارة إلى أوليته عليه السلام فى عبودية الله عز وجل وإشارة إلى بدء وجوده فى إتيانه من العدم بنور القدم وانقياده فى أول تجل تجلى به انتهى.

وأورد جماعة من الصوفية حديث أول ما خلق الله روحى وفى الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمى وسئل نفع الله به عن حديث أول ما خلق الله روحى والعالم بأسره من نورى كل شيء يرجع إلى أصله من رواه فأجاب بقوله لا أعلم أحد رواه [٢٨٧] كذلك وإنما الذى رواه عبد الرزاق أنه ﷺ قال إن الله خلق نور محمد قبل الأشياء من نوره انتهى.

وفى "شرح المشكاة" لعلى القارى فى الكلام على حديث أول ما خلق الله القلم ما نصه: وروى أن أول ما خلق الله العقل وأن أول ما خلق الله نورى وأول ما خلق الله روحى وأن أول ما خلق الله العرش والأولية من الأمور الإضافية فيؤل أن كل واحد مما ذكر خلق قبل ما هو من جنسه فالقلم خلق قبل جنس الأقلام ونوره قبل الأنوار انتهى.

قلت ذكر الصوفية من أسماء الحقيقة المحمدية القلم الأعلى والعقل الأول والنور ونور الأنوار والروح الأعظم والروح الكلى والعرش الذى يستوى عليه الرحمن وقالوا إنه لا معارضة بين الأحاديث المذكورة لأن القلم وما ذكر معه فيها أسماء لمسمى واحد وهو الحقيقة المحمدية بحسب مآلها من الوجوه والاعتبارات وذكر ابن القطان فى أحكامه من حديث على بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال كنت نورا بين يدى ربى قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام بمعنى أن نوره عليه الصلاة والسلام جسد وجعل على شكل خاص وصورة مخصوصة وأقيم بين يديه تعالى أى فى غاية القرب المعنوى منه قبل خلق آدم عليه السلام بهذا القدر من السنين.

وفى "الرياض النضرة" للطبرى عن سلمان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كنت أنا وعلى نورا بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام [٢٨٨] فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين فجزء أنا وجزء على أخرجه أحمد فى المناقب انتهى.

وذكر غير واحد أيضاً كالعارف الفاسى فى حواشيه على "دلائل الخيرات" حديث أنا يعسوب الأرواح أى أصلها وأولها أو رئيسها ومقدمها فهو ﷺ بذرة الوجود والأصل الأصيل لكل موجود والنور الذى فاضت من نوره الأنوار وأشرقت بشعاع شمسه الشموس والأقمار ونشأت منه المكونات وخرجت منه جميع المخلوقات كما تنشأ الشجرة وتخرج من البذرة حتى كملت واتسقت وتكيفت صورته واتسقت فكان منه أولاً استمدادها للوجود وثانيا للدوام المقصود وثالثا للنمو والكثرة والزيادة والقوة ونحوها من الأمور الحاجية المعتادة وهذا كله من معنى قول القطب الكبير والعارف الشهير أبى محمد عبد السلام بن مشيش العلمى فى صلاته المشهورة: اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار. يريد أنه ﷺ السر الإلهى الذى فاضت من جوده جميع الأسرار والنور الأول الذى منه انفلقت كل الأنوار فلا سر إلا من سره ولا نور إلا من نوره وكل خير فى الوجود فمنه ظهوره وبروزه وهو عنصره الذى منه انبعاثه واقتباسه وخروجه وكان كائن فيه كان ومنه يستمد وعليه لا على غيره بعد الله تعالى يعول ويعتمد.

وفى "الروضات العرشية" ما نصه: وإنما كان انشقاق الأسرار منه لأن ما من سر ظهر أو سيظهر إلا عن واسطته جهل ذلك من جهله وعلمه من علمه فهو سر الأسرار ونور الأنوار ولهذا كان انفلاقها عنه ثم قال وهو أصل الأصول ووصل الوصول والإمام المقدم على كل من تقدم وإلى هذا الإشارة بقوله ﷺ كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد وبقوله أنا سيد الناس يوم القيامة وبقوله أنا سيد العالمين.

وهو كما قال سيدى محمد البكرى ﷺ فى صلواته النبوية عبد الله ونعم العبد الذى به كمال الكمال وعابد الله بالله بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال الداعى إلى الله على صراط مستقيم نبى الأنبياء وممد الرسل عليه بالذات وعليهم منه أفضل الصلاة وأشرف التسليم انتهى المراد منه بلفظه.

وهو أيضاً من معنى قوله ولا شيء إلا وهو به منوط يريد أنه عليه الصلاة والسلام أصل العوالم كلها وإن جميع المخلوقات من إنس وجن وملك وحى وجماد علوية كانت أو سفلية محسوسة أو معقولة مرتبطة به ومتعلقة بجنابه تعلق وجود واستناد واستمداد فكل وجود حدث فهو به ومنه وبسببه وكل كرامة ونعمة وفضيلة ومزية ورحمة فى الوجود كله والعالم بأسره قلت أو كثرت رقت أو جلت به كانت وبوجوده وجدت وبطلعته ظهرت ومنه استبانت وحصلت.

وفى "الحكم العطائية" نعمتان ما خلا موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد وهاتان النعمتان راجعتان إليه لأن الله تعالى جعلهما بواسطته وعلى يديه فمنه كما قررنا نعمة الإيجاد إذ لولا سبقية وجوده ما وجد [٢٩٠] موجود ولولا وجود نوره فى ضمائر الكون إلى أن برزت لتهدمت دعائم الوجود، وكذا منه بلا شك ولا ريب نعمة الإمداد لأن الوجود بعد وجوده صار مرتبطا به ومنحاشا إليه غير مستغن عنه أصلاً ولو فى مقدار لمحة أو ما هو أقل منها بل النعم كلها دنيوية كانت أو أخروية حسية أو معنوية منه وبه وجميع الأسباب والمسببات إنما نشأت عنه وبسببه، وهو أصل الأسباب وأولها وأعلاها جنسا وأكملها، وليس له هو ﷺ سبب إلا محض التخصيص الإلهى والاختراع الأزلى وهذا من أكبر خصوصياته ﷺ وهو أنه خلق عن الله بلا واسطة شيء وخلق كل شيء بواسطته واستمد عن الله بلا واسطة شيء واستمد كل شيء دونه بواسطته وخلقت الأشياء كلها من أجله وخلق هو من أجل مولاه كما فى الحديث المنسوب إليه تبارك وتعالى وهو أنه سبحانه خاطب ابن آدم وهو المقصود منهم بقوله خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك أنت من أجلى.

وفى "دلائل الخيرات" للجزولى وصل على محمد وعلى آل محمد الذى نوره من نور الأنوار وأشرق بشعاع سره الأسرار فأشار فى الجملة الأولى إلى استمداده هو من الحق كقوله بعد هذا المتقدم من نور ضيائك وفى الثانية إلى استمداد الخلق منه.

كما فى قوله أيضاً اللهم صل على نور الأنوار وقوله اللهم صل على من فاضت من نوره جميع الأنوار كما أشار أيضاً إلى أن بواطن الخلائق أشرقت وأضاءت بما قابلها من شعاع باطنه ﷺ [٢٩١] ومدده السارى فيها بحسب استعدادها وصفائها وقابليتها وقد تحقق بالكشف والبرهان والنور اللائح لأهل الإيقان أن جميع الأسرار والقلوب المنيرة بالأنوار إنما استنارتها وحصول النور لديها بسريان نوره ﷺ إليها و لم يصل إليها مدد من الحق إلا بواسطة أكمل الخلق وهذا أمر تحققه النبى والولى والصوفى من حيث كشفه عن سره المختمر فى الذوات الكل كلها وقد أفصح عنه ابن مشيش فى أول صلاته وأشار له القطب سيدى على بن وفا بقوله فى صلاته أيضاً برقك اللامع ونورك الساطع ومعناك الذى هو بأفق كل قلب سليم طالع وفيه تنبيه على خصوصية هذا الطريق أعنى طريق شهود سريان نور المحبوب ﷺ إلى جميع القلوب وسره إلى جميع الأسرار ومدده إلى كل مخلوق من جميع النواحى والأقطار وأنه سبيل الخواص فى معرفته ﷺ وأما غيرهم فحظهم من معرفته ما ظهر على يديه من المعجزات والآيات وما اتصف به من محاسن الصفات وجميع الكمالات وما احتوت عليه الكتب المنـــزلة من الشهادات وقد اشتمل كتاب "الدلائل" المذكور على هذه الطرق الأربعة وهى واضحة منه لمن ألقى إليه بصره أو سمعه ويحتمل أن يكون صاحب الدلائل قد أشار بالجملة الثانية إلى أن أسرار الذات والصفات والأسماء والأفعال سره ﷺ هو مظهرها ومرآة لتجليها لأنه مقابل لهذه الأسرار وقابل لما [٢٩٢] يفاض عليه منها من الأنوار فهى متجلية فيه وظاهرة به وهو محل حصولها وإقامته ومنه تطلب وتلتمس ويستمد نورها ويقتبس وبواسطة نوره الممتد منها قبل الخلق ما قسم لهم من تلك الأنوار السارية إليهم من تلك الأسرار سراية حصل لهم بها العلم الخاص بالحق الذى هو معنى الوصول إليه من الخلق وقد تحقق بالذوق والوجدان والدليل القاطع والبرهان أن أسرار

الأنبياء والأولياء كلها مطوية فى حشو لمحة من مواهب سره ونقطة من فيض بحره كما قال البوصيرى ﷺ:

وكـلهم مـن رسـول الله ملتمس غـرفا مـن البحر أو رشفا من الديم
وواقفـون لديـه عـند حدهم من نقطـة العـلم أو مـن شكلة الحكم

وأن ما ظهر أو بطن فى الوجود من الأرزاق الحسية والمعنوية وجميع الآيادى على كل مخلوق أرضى أو سماوى علوى أو سفلى حضرى أو بادى منه ﷺ ظهوره ومن أياديه الكريمة طلعته وبدوه وحضوره وأنه الواسطة العظمى لجميع الخلائق والموصل إلى الله فى جميع الطرائق وأنه لا وصول إليه تعالى إلا من بابه ولا معول لكل الخليقة دنيا وأخرى إلا على جنابه.

وإذا كان من أسمائه ﷺ **"نعمة الله"** فعن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً** ﴾ [إبراهيم: ٢٨] قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد ﷺ أخرجه ابن النجار وغيره عنه فسماه تعالى نعمة وذلك حقيقة على كل نبى وولى ومؤمن بل على الوجود [٢٩٣] بالتمام والعالم بما فيه من الأرواح والأجسام.

وقال سهل بن عبد الله التسترى فى قوله تعالى ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا** ﴾ [النحل:١٨] قال نعمته بمحمد ﷺ وقال تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعنى يعرفون أن محمداً ﷺ نبى ثم ينكرونه وهذا مروى عن مجاهد والسدى وقال به الزجاج.

ومن أسمائه أيضاً **"مولى النعمة"** اسم فاعل من أولى بمعنى أسدى أى مسديها وصانعها والمحسن بها والموصل إليها والنعم من شأنه أن يحصل السرور به والسكون إليه ولا شك أنه ﷺ أولى وأسدى إلى الخلائق كلهم من النعم الدينية والدنيوية والبرزخية ما هو أعرف من أن يعرف وأجلى من أن يذكر أو يوصف وأعظمها نعمة المعرفة لله تعالى والتوحيد والإسلام والإنقاذ من ورطات الكفر وطبقات النيران فما حصل ذلك إلا فيه وعلى يديه ولا نيل منه شيئا إلا بالتعويل عليه والاستسلام له ولا أفلح من أفلح

وهدى من هدى وسعد من سعد إلا بواسطته والاغتراف من بحر فضله وهدايته وبالجملة فلم تصل للخلق نعمة إلا عنه فهو مولى كل نعمة أى مسديها ﷺ.

ومن أسمائه أيضاً **"هدية الله"** و**"الرحمة المهداه"** يعنى لمن بعث إليهم وهم جميع الخلق قال عليه الصلاة والسلام أيها الناس إنما أنا رحمة مهداه أخرجه ابن سعد والحكيم الترمذى والبيهقى فى الشعب عن أبى صالح مرسلاً والدارمى والحاكم وصححه على شرط [٢٩٤] الشيخين وأقره الذهبى والبيهقى فى الشعب وابن النجار فى تاريخه عنه عن أبى هريرة مرفوعاً.

وأخرج ابن عساكر من حديث ابن عمر إن الله بعثنى رحمة مهداه بعثت برفع قوم وقبض آخرين.

ومن كلام سيدى أبى العباس المرسى قال الأنبياء إلى أممهم عطية ونبينا محمد ﷺ لنا هدية وفرق بين العطية والهدية لأن العطية للمحتاجين والهدية للمحبوبين.

ومن أسمائه أيضاً **"مفتاح الرحمة"** و**"مفتاح رحمة الله"** أى فاتحها والمزيل للمغاليق التى بين الخلق وبينها لأن من أسمائه أيضاً **"الفاتح"** أو مفتاحها الذى تنفتح به وتنحل أبوابها بسببه وهو ﷺ الفاتح لما أغلق من الرحمات الإلهية والمواهب العطائية ومفتاحها الذى لا تنفتح إلا به ولا تنحل أبوابها ومغاليقها إلا بسببه فإنه ما رحم أحد فى الدنيا دينا ودنيا ظاهرا وباطنا سرا وعلانية ولا يرحم فى الآخرة إلا على يديه وبما يخرج من عنده ﷺ ويحتمل أن المراد بالرحمة فيهما الوجود وأنه ﷺ فاتح أبواب الوجود لكل موجود والسبب فى إيجاد الحق لهذا الخلق قال فى الإلمام والإعلام قال فى شرح مشارق الصغانى على قوله فى الحديث نبى الرحمة لأنه كان سبب الرحمة وهى الوجود لقوله لولاك ما خلقت الأفلاك انتهى.

وقد سماه الشيخ الأكبر فى صلاته المشهورة بفاتحة الكنـــز المطلسم يعنى به الهوية الأحدية المكنونة فى الغيب قال شارحها أبو حفص نجم الدين عمر بن عبد الجليل البغدادى ما نصه: [٢٩٥] وإنما كان ﷺ فاتحة الهوية الأحدية لأنه أول تعين منها كما

مر ولأنه به فتح كتاب الوجود فهو المفتاح له وفى الحديث كنت كنـــزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً تعرفت إليهم فبى عرفونى فقوله فبى من حيث حساب الجمل اثنان وتسعون وعدد حساب محمد كذلك فالمعنى من باب الإشارة فبمحمد ﷺ عرفونى أو المراد فبظهوره عرفونى وهو ﷺ أول مظهر انتهى منه بلفظه.

وقد صرحت بهذا أعنى بكونه ﷺ سبب الوجود لكل موجود أحاديث عديدة:

أخرج أبو نعيم، والبيهقى فى دلائليهما، والحاكم أبو عبد الله فى "المستدرك"، والطبرانى فى "الصغير"، وابن عساكرفى "تاريخه" وغيرهم عن عمر بن الخطاب مرفوعاً لما اقترف آدم الخطيئة الحديث وفيه فى آخره إن الله تعالى قال له ولولا محمد ما خلقتك قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى هذا الكتاب وتعقب بأن عبد الرحمن هذا تفرد به وقد ضعفه أحمد وأبو زرعة والنسائى وغيرهم وقال ابن معين ليس حديثه بشىء وقال أبو حاتم ليس بقوى فى الحديث كان فى نفسه صالحا وفى الحديث واهيا وقال فى موضع آخر هو أحب إلى من ابن أبى الرجال وقال ابن عدى هو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه وقال ابن خزيمة ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه هو رجل صناعته العبادة [٢٩٦] والتقشف ليس من أحلاس الحديث وقال أبو داود أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعفاء ولهذا ضعف هذا الحديث البيهقى والسيوطى وغيرهما لكن هذه اللفظة منه لها شواهد والضعيف يرتقى بشواهده إلى درجة الحسن.

وفى رواية ذكرها عياض فى الشفا ونسبها فى بعض نسخها للأجرى إن الله تعالى أوحى إلى آدم يقول له وعزتى وجلالى إنه يعنى محمداً ﷺ لآخر النبيين من ذكرتك ولولاه ما خلقتك قال على القارى فى شرحها ويقرب منه ما روى لولاك ما خلقت الأفلاك انتهى.

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه عن سلمان الفارسى ﷺ قال هبط جبريل على النبى ﷺ فقال إن ربك يقول إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما

خلقت خلقاً أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنـــزلتك عندى ولولاك ما خلقت الدنيا.

وأخرج أبو الشيخ فى "طبقات الأصبهانيين" والبيهقى، وشيخه الحاكم فى "المستدرك" عن ابن عباس قال أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره التقى السبكى فى شفاء [٢٩٧] السقام وشيخ الإسلام البلقينى فى فتاواه ومثله لا يقال رأيا فحكمه الرفع إلى النبى ﷺ كما قرره أئمة الحديث والأصول والفقه وقال السيوطى فى "الخصائص الكبرى" قال الذهبى فى سنده عمرو بن أوس لا يدرى من هو انتهى.

وقال بعض الأئمة ما فى هذا الحديث أو فى حديث عمر من ضعف إذا سلم لقائله يجبره الآخر مع ما لهما أيضاً من الشواهد انتهى.

قلت ومع ما تقرر من أن الفضائل والمناقب يعمل فيهما بالضعيف ولا سيما فى حقه ﷺ لقيام الدلائل القاطعة والبراهين الساطعة على تأهله لكل فضيلة كائنة ما كانت واستحقاقه لكل منقبة وإن تناهت:

دع ما ادعـــته النصـــارى فى نبيهم واحكـــم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانســـب إلى قدره ما شئت من عظم

فـــإن فضـــل رســـول الله ليـــس لـــه حـــد فيعـــرب عنـــه ناطق بفم

كيف وهو منبع جميع الفضائل وعنصر المحاسن كلها والشمائل ولم يخلق الله مكانة أو مرتبة إلا له ولم يتفضل على خلقه بتحفة أو مزية إلا وهو صاحبها أصالة وقد عدوا من سوء الأدب معه ﷺ وفى حقه البحث فيما مال إلى تعظيمه ﷺ وإكباره وإعزازه وبدره والمطالبة فيه بدليل خاص فضلاً عن عدم العمل فيه بالدليل الوارد لوجود كلام خفيف فى بعض رواته بل كل ما فيه تعظيم له وتشريف لجنابه وإعزاز

لقدره الرفيع ومقامه ولا مزاحمة فيه للربوبية ينبغي قبوله من قائله لا سيما إن جل واعتقاد أن الله تعالى [٢٩٨] أمده وتفضل عليه بما هو أعظم مما لا يدخل تحت عقولنا ولا يتمشى على قواعدنا وأصولنا فاعرف ذلك واقدر هذا النبى العظيم قدره وكن من الكاملين واحذر أن تكون من الجاهلين. قال ابن حجر الهيتمى فى شرح الهمزية بعد ذكره لحديث ابن عباس هذا وفى روايات أخر لولاه ما خلقت السماوات والأرض ولا الطول ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا انتهى.

وأخرج الديلمى فى "مسند الفردوس" عن ابن عباس مرفوعاً أتانى جبريل فقال يا محمد إن الله تعالى يقول لولاك ما خلقت النار.

وفى "الدر النظيم فى مولد النبى الكريم" لابن طغربك قال يروى أنه لما خلق الله آدم ألهمه أن قال يا رب لما كنيتنى أبا محمد فقال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور سيدنا محمد ﷺ فى سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال هذا نور نبى من ذريتك اسمه فى السماء أحمد وفى الأرض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا.

وقال أبو الربيع بن سبع فى "شفاء الصدور" والفقيه الجليل أبو العباس العزفى فى كتاب "الدر المنظم" والشيخ عبد الجليل بن موسى القصرى فى شعبه وصاحب مطالع المسرات وغيرهم عن سيدنا على ؓ قال فى حديث طويل قال الله عز وجل يعنى مخاطباً لسيدنا محمد ﷺ أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نورى وكنوز هدايتى من أجلك أسطح البطحاء وأموج الموج وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار الحديث. [٢٩٩]

ونقل ابن مرزوق فى شرح البردة عن العزفى أيضاً عن سيدنا على قال قلت يا رسول الله مم خلقت قال فأطرق وعليه عرق كالجمان فقال يا على لما عرج بى إلى السماء وكنت من ربى قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى ربى ما أوحى قلت يا رب مم

خلقتني قال وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت جنتي ولا ناري الحديث ونقل فيه أيضاً عن العزفي عن النبي ﷺ إن الله تعالى قال لآدم عندما نظر إلى ساق العرش ورأى فيه مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال يا رب من صاحب هذا الاسم؟ يا آدم هذا ولدك محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا هذا الذي يدخل الجنة الخلائق بشفاعته يوم القيامة.

وفي شفاء الصدور لابن سبع قال الله تعالى يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضي ولا سمائي ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء.

وفي خبر قدسي ذكره فيما تقدم شارح المشارق وعلى القاري في شرح الشفا وفيما يأتي القاشاني في لطائفه والجيلي في كمالاته كما ذكره غيرهم وهو أن الله تعالى قال لسيدنا محمد ﷺ لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك قال بعض والمراد من الأفلاك فيه جميع العالم اطلاقا للبعض وإرادة الكل وهذا الخبر وإن طعن فيه بعضهم ونفى عنه الثبوت بالأحاديث قبله تشهد له وتؤيده معناه وبها كلها تعلم صحة قول البوصيري في بردة المديح: [٣٠٠]

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ... لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وقول ابن الفارض:

لولاك يا أحمد المحمود ما طلعت ... شمس ولم تخرج الدنيا من العدم

وقوله أيضاً في تائيته الكبرى على لسان الحضرة النبوية:

ولا تحسبن الأمر عني خارجا ... فما ساد إلا داخل في عبوديتي

فلولاي لم يوجد وجود ولم يكن ... شهود ولم تعقد عهود بذمتي

فلا حي إلا عن حياتي حياته ... وطوعي مرادي كل نفس مريدة

ولا قائل إلا بلفظي محدث ... ولا ناظر إلا بناظر مقلتي

ولا منصت إلا بسمعي سامع ... ولا باطش إلا بأزلي وشدة.

ولا نــاطق غــيرى ولا ناظـــر ولا سمـــيع ســـواى مـــن جمـــيع الخليقة
وفى عـــالم التركيب فى كل صورة ظهـــرت بمعـــنى عـــنه بالحسن زينتى
وفى كـــل معـــنى لم تبـــنه فظاهرى تصورت لا فى هيئة هيكلية

إلى آخر ما قال.

قال القاشانى فى شرحها وإنما لم يوجد وجود إلا به لأنه صورة الروح الأعظم وهو رابطة الإيجاد انتهى.

وقول القطب سيدى على بن وفا فى داليته المشهورة:

روح الوجـــود حياة من هو واجد لـــولاه مـــا تم الوجـــود لمـــن وجد

وقول الآخر:

لـــولاك مـــا خلقت شمس ولا قمر ولا نجـــوم ولا لـــوح ولا قـــلم

والآخر [٣٠١]

لـــولاه مـــا كان لا ملك ولا ملك

. . . . إلى غيرها مما يطول ذكره من كلام المادحين وتعلم أيضاً أن هذا المعنى وارد فى السنة فى عدة أحاديث وإن قال بعضهم معترضا على قول القائل:

لـــولاه مـــا كان لا ملك ولا ملك

مثل هذا يحتاج إلى دليل و لم يرد فى الكتاب ولا فى السنة ما يدل عليه انتهى.

فإنه قصور عظيم وإن توقف فيه أيضاً جماعة من الشارحين كالشيخ أبى عبد الله محمد الأليورى الأندلسى فى شرحه لبردة المديح قائلا ما نصه: وبيت الناظم – يعنى السابق – يعطى أن الدنيا خلقت من أجل نبينا صلوات الله عليه وسلامه وقد أكثر الناس فى هذا المعنى وأطالوا وأطنبوا وصرحوا بأن الله عز وجل إنما أخرج الدنيا وأبرزها من العدم إلى الوجود من أجل هذا النبى وبسببه كرامة له وعناية به وتعظيماً

لأمره وتفخيما لمنصبه الرفيع وقدره إلا أنى لم أقف على صحة ما ارتهن فيه الناظم ولا رأيت فيه توقيفا استند إليه ولا نقلاً اعتمد عليه إلا ما وقفت عليه فى كتاب انتقال النور وغيره من الكتب التى لا أصل لها فى الصحة ثم قال ولو صح أن الدنيا خلقت من أجل هذا النبى الشريف لم يكن فيه مقال لقائل إذ ليس فى ذلك ما تحيله العقول ولا ما يرده حديث منقول فلا يستعظم فى ذلك الجناب العلى النبوى ذلك كله لا سيما وليس فى الشرع ما يعارضه ولا عثر فى السنة على ما يقدح فى صحته وينازعه ولا هو مستحيل فى العقل انتهى منه بلفظه.

وقال غيره من بعض شراحها إن هذا المعنى غير صحيح والأخبار به مطعون فيها وقد علمت أنها [٣٠٢] بانضمامها يتقوى ولا يقصر معناها هذا عن درجة الحسن إن لم تقل أنه يبلغ درجة الصحة ومما يشهد له زيادة على ما سبق حديث جابر عند عبد الرزاق فى مصنفه وعمر عند أبى مروان الطبنى فى فوائده وقد تقدم وأيضاً فإن العلماء العاملين والصوفية المخلصين وأولياء الله المفلحين كلهم أو جلهم شرقا وغربا قد تلقوا معناها بالقبول والتسليم وتداولوه فى مصنفاهم وأشعارهم وكتاباهم جازمين به من غير تردد ولا بحث والمعنى إذا تلقى بالقبول حكم بصحته وإن لم يكن له إسناد ولا دليل ظاهر لأنهم يحملون على أنهم وقفوا له على شواهد تثبته وإن لم تصل إلينا ولم نعلمها.

وقد ذكر الشيخ الأكبر فى أول الفتوحات من خطبة خطبها بين يديه ﷺ فى حضرة الجلال ومعه جميع الأرسال إن أول اسم كتبه القلم فى اللوح المحفوظ إنى أريد أن أخلق من أجلك يا محمد العالم الذى هو ملكك راجعه.

وفى حاشية العارف بالله القطب أبى زيد عبد الرحمن الفاسى على "دلائل الخيرات" لدى قوله فيه والسبب فى كل موجود ما نصه: قال فى شرح الشفا على قوله لولاه ما خلقتك والخطاب لآدم ما نصه: هذا أدل دليل على ما هو المعهود الصحيح أنه ﷺ سبب الوجود وأنه لولاه لم تكن الأكوان والعجب ممن يتكلم فى مثل هذا

وأخذه فى الكلام فيه ويبحث عن الأدلة فى ذلك ومن أين يؤخذ وهل وجد فى الحديث [٣٠٣] ما يدل عليه وكان يتوقف عليه قول البوصيرى فى قصيدته البردة:

لولاه لا تخرج الدنيا من العدم

ويقول من أين أخذه وفى هذا الحديث أقوى دليل عليه والحمد لله انتهى.

قلت أى قال العارف وبيت البوصيرى وإن توقف فيه بعض شراحه وقد سبقه إلى مثله ابن الفارض فى قصيدة له تشاكل صدر البردة فى ما هو من نفس المحبة:

لـــولاك يـــا أحمد المحمود ما طلعت　　　شمـــس ولم تخـــرج الدنـــيا من العدم

هذا وقد وردت أحاديث تقتضى بصحة ما أشار إليه كقوله عليه السلام أول ما خلق الله نورى ومن نورى خلق كل شيء وكقوله أنا يسعوب الأرواح يعنى أصلها ورئيسها الكبير ومنه يعسوب النحل لأميرها وكقوله كنت نبياً وآدم بين الماء والطين أو الروح والجسد يعنى قبل أن يكون واحدا منهما وعلى ذلك نبه ابن الفارض بلسان الترجمانية عنه عليه السلام بقوله:

وإنى وإن كنـــت ابـــن آدم صورة　　　فـــلى فـــيه معـــنى شـــاهد بـــأبوة

وأفصح بذلك سيدى عبد السلام بقوله فى صلاته ولا شيء إلا هو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط وقد تقدم لنا التنبيه على أن هذا ومثله قد تحققه الصوفى من حيث كشفه وحظ غيره منه إنما هو التصديق لما ورد من الخبر فى ذلك وقد تقدم ما فيه كفاية وغنية والله أعلم انتهى منه بلفظه.

وفى الوصية الصغرى للعارف بالله الشهير الغوث الكبير سيدى عبد السلام بن سليم الأسمر الفيتورى ما نصه: [٣٠٤] ويجب عليكم أن تعتقدوا فى حق رسول الله ﷺ أنه لا يفضل عليه شيء لا رسول ولا ملك ولا ولى ولا عالم ولا الجن ولا الإنس ولا غير ذلك بل هو أفضل مما خلق الله تعالى وكيف يفضل عليه شيء ولولاه ﷺ ما أوجد الله تعالى شيئا من جميع المخلوقات انتهى منه بلفظه.

وعند الصوفية الحق المخلوق به قال القاشانى فى لطائفه يعنون به الإنسان الكامل قال بالمعنى أنه المخلوق بسببه المشار إلى ذلك بقوله لولاك ما خلقت الأفلاك قال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ [الجاثية:١٣] فما يسخر الشىء إلا لأجله فإنه هو العلة الغائية من وجوده ولهذا جاء فى الزبور وغيره من الكتب الإلهية يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فقالوا كل ما سوى الإنسان خلق للإنسان انتهى المراد منه بلفظه.

وقال أيضاً فى الكلام على عين العالم ما نصه: وقال الشيخ فى كتاب فصوص الحكم وإنما كان الإنسان هو عين الحق لأنه تعالى نظر به إلى العالم فرحمهم يعنى بإفاضة الوجود عليهم من أجله إذ لولا الإنسان الكامل لما وجد العالم المشار إلى ذلك بقوله: لولا لولاك لما خلقت الأفلاك.

وقوله ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ [الجاثية:١٣] انتهى المراد منه بلفظه أيضاً.

وقال الشيخ العارف أبو العباس أحمد التيجانى فى شرحه لجوهرة الكمال لدى قوله فيها عين الرحمة الربانية ما نصه: لولا هو ﷺ [٣٠٥] ما خلق شىء من الأكوان ولا رحم منها لا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة والجود ولا يقال إن هذا تعجيز للحق سبحانه وتعالى بأنه لا يقدر أن يخلق شيئا إلا به ﷺ فليس هذا الوهم هو المراد فى هذا الكلام كما يظنه بعض من لا علم عنده بل تحقيق ما قلناه إن الله سبحانه وتعالى لو سبق فى علمه ونفوذ مشيئته أن لا يخلق محمداً ﷺ لسبق فى علمه ونفوذه ومشيئته أن لا يخلق شيئا من المخلوقات فمن هذه الحيثية إن وجود كل موجود من الأكوان يتوقف على سبقية وجوده ﷺ لذلك الوجود فإنه ﷺ كلية مراد الحق وغايته من الوجود فإنه ما خلق الكون إلا من أجله ﷺ ولا أفاض الرحمة على الوجود إلا بالتبعية له ﷺ فوجود الأكوان كلها مناط بوجوده ﷺ وجودا وإفاضة انتهى المراد منه بلفظه.

قال بعضهم وهذا يعنى خلق الله العالم من أجله ليس لغيره من نبى ولا ملك:

ومــا عجــب إكــرام ألف لواحد لعــين تفــدى ألــف عــين وتكرم

قال وهذا من باب الحكمة والمصلحة الراجعة إلى الخلق بإظهار عظمة هذا النبى الكريم وإشهار كرامته عند المولى العظيم فجعل وجوده سببا فى وجود الموجودات ونيل جميع الكرامات انتهى والله أعلم.

ومن أسمائه أيضاً **"رسول الرحمة"** [٣٠٦] لأنه بعث بها قال الله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ** ﴾ [الأنفال:٣٣].

وأخرج مسلم عن أبى هريرة قال قيل يا رسول الله ألا تدعو على المشركين قال إنما بعثت رحمة و لم أبعث عذابا.(١)

وأخرجه عنه أيضاً أبو يعلى، والبيهقى فى الشعب، وابن عساكر فى "تاريخه" عزاه لهم فى الجمع.

وأخرج أبو نعيم فى "الدلائل" عن أبى أمامة مرفوعاً إن الله بعثنى رحمة للعالمين وهدى للمتقين.

وأخرج ابن منده فى الصحابة عن أنس مرفوعاً بعثنى الله هدى ورحمة للعالمين. الحديث.

وأخرج أحمد، وأبو داود، والطبرانى، عن سلمان مرفوعاً أيما رجل من أمتى سببته سبة فى غضبى أو لعنته لعنة إنما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما يغضبون وإنما بعثنى رحمة للعالمين فاجعلها عليه صلاة يوم القيامة.(٢)

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٦/٤ رقم ٢٥٩٩) بلفظ عن أبي هريرة قال قيل ثم يا رسول الله ادع على المشركين قال إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة.

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٧/٥)، وأبو داود (٢١٥/٤)، والطبراني في الكبير (٢٥٩/٦).

ومن أسمائه أيضاً "عين الرحمة" و"رحمة العالمين" قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] أى رحمة شاملة لكلهم عامة فى جميعهم مفاضة على سائرهم من جن وإنس وملك وغيرهم إيجادا وإمدادا وامتنانا وإسعادا وقال الشيخ أبو العباس المرسى ﷺ جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا ﷺ هو عين الرحمة قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وإذا كان عين الرحمة فهو أصل الرحمات وينبوعها وليس شىء منها خارجاً عنه بل كل مرحوم مسهوم منه وآخذ لحصته من جنابه.

وقال الشيخ عبد الجليل القصرى فى "شعب الإيمان" له فى الشعبة الموفية خمسين وهى شعبة حب الرسول ﷺ [٣٠٧] بعد ذكره لهذه الآية ما نصه: فهو ﷺ المرحوم به العالمون بنص هذه الآية ثم قال بعد كلام فى بيان ذلك فإذا فهمت هذا كله علمت أنه رحمة للعالمين وبركة شاعت وظهرت فى الوجود أو تظهر من أول الإيجاد إلى آخره إنما ذلك بسببه ﷺ انتهى.

أخرج أبو عبد الله محمد الترمذى الحكيم فى "نوادر الأصول" جعل الله تعالى للجنة بابا زائدا وهو باب محمد ﷺ وهو باب الرحمة وباب التوبة فهو منذ خلقه الله مفتوح لا يغلق فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة وسائر أبواب الأعمال مقسومة على أعمال البر ثم قال فأما باب التوبة من الجنة الزائد على الأبواب فليس هو باب عمل إنما هو باب الرحمة العظمى إليه تدخل توبة العباد إلى الله تعالى ولذلك قال رسول الله ﷺ أنا نبى التوبة وأنا رحمة مهداه فنفس محمد ﷺ رحمة للعالمين وسائر الأنبياء مبعثهم رحمة فلذلك سعد من أجاب ما بعثوا به من الهدى وعوجل بالعذاب من أعرض عنهم ومحمد ﷺ مولده ونفسه رحمة وأمان وكذا مدفنه إلى نفخ الصور فحرمة تلك الرحمة وأمانه قائم انتهى.

وقيل فى قوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦] أنها سيدنا محمد ﷺ وإنه الرحمة التى وسعت العالمين [٣٠٨] كلهم مؤمنهم وكافرهم

ومنافقهم حيوانهم ونباتهم وجمادهم أرضهم وسماؤهم عرشهم وفرشهم دنياهم وأخراهم وقيل فى قوله ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [يونس:٥٨] الآية إن الرحمة هو سيدنا محمد ﷺ والفضل من الله إبرازه للعالمين والهداية والتوفيق للإيمان به والمجيء إليه والزيادة له والاستغفار عنده.

وفى "جواهر المعانى" نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى فى شرحه لجوهرة الكمال لدى قوله فيها عين الرحمة قال ما نصه: اعلم أن الحق سبحانه وتعالى اقتطع قطعة من النور الإلهى فى غاية الصفاء والتجوهر ثم أبطن فى تلك القطعة ما شاء أن يقسمه لخلقه من العلم بصفات الله تعالى وأسمائه وكمالات ألوهيته وبأحوال الكون وأسراره ومنافعه ومضاره وبالأحكام الإلهية أمراً ونهيا وجعل تلك القطعة من النور مقر الانصباب كل ما قسم لخلقه فى سابق علمه من الرحمة الإلهية ثم صار يفيض على خلقه ما أقره فى الحقيقة المحمدية من العلم والرحمة فكان بهذه المثابة هو عين الرحمة ﷺ وكان ذلك النور هو الحقيقة المحمدية وتلك الرحمة المفاضة فى ذاته هى التى يفيضها على الوجود من ذاته الكريمة فلا يصل شيء من الرحمة إلى الوجود إلا من ذاته ﷺ فذاته الكريمة بمنـــزلة المقر للمياه الذى تجتمع فيه وتتفرق من ذلك المقرسواقى للسقى والانتفاع، ولذلك قال [٣٠٩] ﷺ إنما أنا قاسم والله معطى.[١] أى ينظر إلى ما سبق فى العلم الأزلى من الاقتطاع ثم يفرق ﷺ تلك الرحمة على حسب ذلك الاقتطاع فلهذا سمى عين الرحمة ﷺ ثم ذكر لتسميته بعين الرحمة نسبة أخرى ووجه آخر وهو أنه الأنموذج الجامع فى إفاضة الوجود على جميع الوجود فإنه لولا وجوده ﷺ ما كان لموجود أصلاً من غير الحق سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (١/٣٩ رقم ٧١).

وأطال فى بيان هذا ثم قال فبان لك أن الفيض من ذاته ينقسم إلى رحمتين:

الرحمة الأولى: إفاضة الوجود على جميع الأكوان حتى خرجت من العدم إلى الوجود.

والرحمة الثانية: إفاضة فيض الرحمات الإلهية على جميعها من جملة الأرزاق والمنافع والمواهب والمنح فإنه بذلك يدوم تمتعها بالوجود قال فإذا علمت هذا علمت أنه ﷺ عين الرحمة الربانية لأنه رحم جميع الوجود بوجوده ﷺ ومن فيض جوده أيضاً رحم جميع الوجود فلذا قيل فيه إنه عين الرحمة الربانية ﷺ انتهى المراد منه. وانظر بقيته.

وفى همزية البوصيرى:

رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء

ومن أسمائه أيضاً "**خزائن الرحمة**" قال فى تحفة الأخيار ومطالع المسرات فى الكلام على الصلاة التى وجدت على بعض الأحجار بقلم القدرة وهى اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك [٣١٠] إلى آخرها لدى قوله فيها وخزائن رحمتك ما نصه: جمع خزانة بكسر الخاء لما يخزن فيه المتاع والأموال والأرزاق وهو ﷺ خزائن رحمة الله الموضوعة فى العالم فلا يرحم أحد إلا على يديه وبما خرج له من خزائنه ويرحم الله الشيخ أبا الحسن البكرى الصديقى المصرى حيث يقول:

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعد أو تنزل
فى ملكوت الله أو ملكه من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها يعلم هذا كل من يعقل

انتهى.

قلت وأبو الحسن هذا هو والد الأستاذ الأعظم شمس الدين أبى المكارم أبيض الوجه محمد كان فقيها محدثاً مفسراً صوفياً عظيم الشأن واضح البرهان وله تصانيف كثيرة منها تفاسير ثلاثة ويقال إنه بلغ درجة الاجتهاد المطلق وله كرامات كثيرة توفى

سنة اثنين وخمسين وتسعمائة عن أربع وخمسين سنة لأن ولادته سنة تسع وتسعين وثمان مائة بمصر المحروسة والأبيات المذكورة هى من قصيدة له مشهورة مجربة لقضاء الحوائج لمن تلاها بصدق وهمة وحضور لا سيما إن كررها مستحضرا لحاجته ولوساطته ﷺ فيها وفى كل رحمة صاعدة أو نازلة خاصة أو عامة فى ملك الله أو ملكوته.

ومن أسمائه أيضاً "**مؤتى الرحمة**" روى بكسر [٣١١] التاء اسم فاعل من أتى بمعنى أعطى أى أنه يؤتيها ويعطيها غيره وروى بفتحها اسم مفعول بمعنى أوتيها هو وأعطيها من قبل الله سبحانه والمعنيان صحيحان فى حقه ﷺ فإنه المؤتى من قبل الله تعالى لجميع الرحمات والمؤتى لها غيره من سائر المخلوقات فى جميع الأوقات وسائر الحالات فالرحمات كلها إليه وخروجها وتفرقها منه وعلى يديه ﷺ وفى الإبريز فى الكلام على حديث إن هذا القرآن أنـــزل على سبعة أحرف(1) أثناء كلام له ما نصه: وعلى قدر رحمة الله للعبد تكون رحمته هو لسائر الناس ولا شك أنه ليس فى مخلوقات الله عز وجل من هو مرحوم مثله ﷺ فلذلك كانت رحمته ﷺ للخلق لا يوازيها شيء ولا يلحقه فى ذلك أحد وقد بلغ من عظيم رحمته ﷺ أن عمت رحمته عليه السلام العالم العلوى والعالم السفلى وأهل الدنيا وأهل الآخرة راجع تمامه.

ومن أسمائه أيضاً "**إمام الخير**" ومعناه المقتدى به فى كل خير والموصل إليه وهو إمام الأخيار وقائد الأنبياء وجميع الأبرار أو أنه يقتدى به الخير ويتبعه فيوصله لأهله بمقتضى الرحمة الممتدة منه السارية به فى أطوار العالم بحكم ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

ومن أسمائه أيضاً "**أمين الله على الخزائن**" والمراد بها الأسماء والصفات المتعلقة [٣١٢] بالجود والإفاضة فهو ﷺ أمين عليها إذ لا يتجلى الحق تعالى باسم منها أو صفة

---

(١) أخرجه مسلم (١/٥٦٠ رقم ٨١٨).

ولا يفيض على أحد شيئا منها إلا بواسطته وعلى يديه فجميع العطايا منه وهو مخرجها من الخزائن الإلهية ومقسمها بل هو ﷺ أمين كل الأسماء والصفات المتعلقة بالظهور والإظهار وفى الصلاة الأكبرية للشيخ محيى الدين: أمين الله على خزائن الفواضل.

ومن أسمائه أيضاً **"القاسم"** وهو اسم فاعل من القسم وهى تفرقة الأموال ونحوها بين أهلها المستحقين لها وفى مسند أحمد والصحيحين وغيرها عن معاوية مرفوعاً من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين وإنما أنا قاسم و الله يعطى.[١]

وأخرج أحمد عن أبى هريرة مرفوعاً من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين وإنما أنا قاسم ويعطى الله.[٢]

وأخرج الشيخان عن جابر مرفوعاً سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى فإنما أنا بعثت قاسما أقسم بينكم.[٣]

وأخرج الحاكم فى "المستدرك" وصححه، والبيهقى فى "الشعب" والطبرانى فى "الأوسط" وأبو يعلى، وابن سعد فى "طبقاته" كلهم عن أبى هريرة والخرائطى فى مكارم الأخلاق عن سلمان مرفوعاً أنا أبو القاسم الله يعطى وأنا أقسم ومعنى هذه الأخبار أن المعطى لكل شيء هو الله وحده لا شريك له وتفرقة الأرزاق وقسمته من مال أو قوت أو جاه أو علم أو حياة أو غير ذلك هى بيده ﷺ فلا يصل إلى أحد شيء من الأرزاق الحسية [٣١٣] والمعنوية فى الحياة وبعد الممات إلا على يديه ﷺ بل هو الواسطة فى نيل النبوة والرسالة للمرسلين وفى نيل الولاية والقرب للأولياء والمقربين كما يأتى بسطه بعد إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (٧١٩/٢ رقم ١٠٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٤/٢).

(٣) أخرجه البخاري (١١٣٣/٣ رقم ٢٩٤٦)، ومسلم (١٦٨٣/٣ رقم ٢١٣٣).

ومن أسمائه أيضاً "**الجامع**" أى لما افترق فى غيره من المظاهر والمجالى إذ هم مستمدون منه وآخذون عنه فكل تجل وظهور فى النبيين والمرسلين والصديقين والعارفين منه أخذ وبواسطته كان قال الرصاع نقلاً عن بعض أهل التحقيق فى قوله ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً** ﴾ [البقرة:١٤٣] أن الله تعالى أيد موسى باسمه الرب فقال ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ** ﴾ [الأعراف:١٤٣] وأيد عيسى باسمه المحيى وإبراهيم باسمه الباطن فأراه ملكوت السماوات والأرض وأيد سيد أهل الأكوان الجامع لخصال أهل العرفان بقوله ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ** ﴾ [الأنفال:٦٤] فذكر له اسمه الجامع لذاته وصفاته فقرنه باسم نبوته فليس ذلك لغيره ثم نقل عن بعضهم أن ذاته الكريمة ﷺ جمعت حقائق الموجودات، ونبوته جامعة لسائر النبوات، ونوره جامع لسائر الأنوار وسره منه تفرعت الأسرار ويومه جامع لسائر الأيام وكتابه جامع للكتب المنـــزلة على أنبياء الله الكرام عليهم الصلاة والسلام انتهى. نقله فى الإلمام والإعلام.

وفى "تحفة الأخيار" ومطالع المسرات فى الكلام على أسمائه ﷺ ما نصه: وأما اسمه ﷺ " **جامع** " فلأنه ﷺ [٣١٤] الجامع لما افترق فى غيره من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وكذا الأولياء والعلماء رضى الله عنهم وكيف لا وهم صور تفصيله وخلفاؤه ومظاهر تعيناته فما منهم إلا وهو سابح فى نوره وممتد من بحره كل على حسب مقامه وكل خير وبركة قلت أو جلت منه حصلت وبطلعته ظهرت وعنه امتد الوجود كله كما امتدت الشجرة عن البذر وهو بذر الوجود وأقرب موجود ويعسوب الأرواح وهو الروح الأعظم وآدم الأكبر وهو ذو الكلمة الجامعة والرسالة المحيطة وهو الجامع للخلق على الله والجامع لشملهم بتأليفه بينهم وجمع شتاتهم والجامع لدوائر الخيرات والرسالات والنبوات زاد فى مطالع المسرات بعد هذا والحقائق العيانية وأسرار التوحيد الربانية وجوامع الغيوب الفردانية وزاد فى تحفة الأخيار بعده وقطب دائرة السعادات وجامع جوامع الغيب المحيط الفردانى والجامع لأسرار توحيد الأحدية الربانى ومجمع الحقائق الإيمانية ومرتقى التجليات الإحسانية ومهبط الأسرار الرحمانية ومجمع جميع أسرار الصفات وأسرار أسماء الأفعال فهو مظهرها ومضمرها وهو سر الله

تعالى الذى أودعه مكنوناته العلوية والسفلية فهو السر الذى به ظهرت الأسرار وهو النور الذى أشرقت به الأنوار فلا مكون إلا وهو سره الذى قام به أمره فلولا السر المحمدى الذى أودعه الله المكونات الملكية والسر الأحمدى الذى أودعه [٣١٥] المكونات الملكوتية لما قامت بها أسماء الصفات وأسماء الأفعال ولما كانت أثرا يقوم بها الاستدلال فلا شيء إلا وهو به منوط ﷺ انتهى بلفظهما.

ومن أسمائه أيضاً "**إنسان عين الكل**" و"**إنسان عين الوجود**" وفى تحفة الأخيار ومطالع المسرات لدى قوله فى "دلائل الخيرات" فى الصلاة التى وجدت على بعض الأحجار بقلم القدرة إنسان عين الوجود ما نصه: وكما أن إنسان العين هو سر العين وزينتها وفائدة وجودها وبه يتوصل الجسد إلى منافعه ويهتدى إلى مراشده ولولا هو لم يكن للعين نور ولا إبصار ولا كان الجسد شبحا بلا روح وصورة بلا معنى لأن الأعمى ميت وإن لم يقبر كذلك هو ﷺ روح الأكوان وحياتها وسر وجودها ولولا هو لم يكن لها نور ولا دلالة بل لذهبت وتلاشت ولم يكن لها وجود كما قال سيدى عبد السلام ﷺ ونفعنا به ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كماقيل الموسوط وقال سيدى على بن وفا ﷺ:

روح الوجــود حياة من هو واجد لـولاه مـا تم الوجـود لمـن وجد

وقال فى صلاته نور كل شيء وهداه وسر كل سر وثناه ثم قال إنسان عين المظاهر الإلهية ولطيفة تروضات الحضرة القدسية مدد الأمداد وجود الجود وواحد الآحاد وسر الوجود ثم قال وسرك المنـزه السارى فى جزئيات العالم [٣١٦] وكلياته علوياته وسفلياته من جوهر وعرض ووسائط ومركبات وبسائط ثم قال وأرى سريان سره فى الأكوان ومعناه المشرق فى مجاليه الحسان وقال الشيخ شمس الدين العبدوسى ﷺ فى صلاة له مظهر سر الوجود الجزئى والكلى وإنسان عين الوجود العلوى والسفلى روح جسد الكونين وعين حياة الدارين ويرحم الله القائل وعبارة المطالع وقال بعضهم فى ذلك:

كل المكارم تحت طى بروده ولقد أضاء الكون عند وروده
والبحر يقصر عن موارد جوده إنسان عين الكل سر وجوده

انتهى.

وإذا تمهد هذا وعرف ورد إليه الفكر وصرف عرف به ومنه أنه ما من ذرة من ذرات العالم العلوى والسفلى والكون بأجمعه إلا وهى مستمدة منه ﷺ فى ابتداء وجودها وبعد الوجود وأنه لا غنى لكائن عنه ولا موجود وأن الكل مفتقر غاية الافتقار أبدا إليه وواقف وقوف الضراعة والابتهال والحاجة بين يديه يطلب بلسان حاله أو مقاله أو بهما المدد والفيض والنوال ومن كل ما من الله به عليه فى الحال والمآل وأنه الواسطة العظمى لكل مخلوق والباب الذى تخرج منه الأرزاق الحسية والمعنوية كلها إلى كل مرزوق وأنه لا وصول إلى الله تعالى إلا من جهته وبابه ولا معول للخلائق كلهم دنيا وأخرى إلا على فضله وجنابه ولله در البوصيرى إذ يقول فى همزيته: [٣١٧]

أنت مصباح كل فضل فما تصدر إلا عن ضوئك الأضواء

ويقول:

لا تقس بالنبى خلقاً فهو البحر والأنام إضاء
كل فضل فى العالمين فمن فضل النبى استعاره الفضلاء

ولنزد هذا بيانا بما حضر الآن من نصوص العلماء الأكابر من أهل الباطن والظاهر فنقول:

قال الشيخ الأكبر فى فتوحاته على نقل الشعرانى فى يواقيته عنه على ما رأيته فى نسخه المطبوعة ونسبه للحاتمى أيضاً غيره كصاحب لوامع أنوار الكوكب الدرى إن مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح محمد ﷺ إذ هو قطب الأقطاب كما سيأتى بسطه فى مبحث كونه خاتم النبيين فهو ممد لجميع الناس أولاً وآخرا فهو ممد كل نبى

وولى سابق على ظهوره حال كونه فى الغيب وممد أيضاً لكل ولى لاحق به فيوصله بذلك الإمداد إلى مرتبة كماله فى حال كونه موجودا فى عالم الشهادة وفى حال كونه منتقلا إلى الغيب الذى هو البرزخ والدار الآخرة فإن أنوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين ثم قال فكل نبى تقدم على زمن ظهوره فهو نائب عنه فى بعثته بتلك الشريعة انتهى.

وقد نقله العارف بالله سيدى مصطفى البكرى فى الروضات العرشية إلا أنه قال: قال الشعرانى رحمه الله تعالى [٣١٨] سمعت شيخنا ﷺ يقول مستمد إلى آخره فيكون هذا الكلام على نسخته عن كلام سيدى على الخواص لا من كلام الشيخ فى الفتوحات ولم أقف عليه فيها بهذا اللفظ والله أعلم.

إلا أنه ذكر نحوه الشيخ داود القيصرى فى "شرح الفصوص" لدى قولها فى الخطبة وصلى الله على ممد الهمم إلى قوله محمد وآله وسلم ونصه وهذا إشارة إلى أن النبى ﷺ ممد أرواح جميع الأنبياء السابقين عليه بحسب الظهور والزمان حال كونه فى الغيب لكونه قطب الأقطاب أزلا وأبدا كما يمد أرواح الأولياء اللاحقين به بإيصالهم إلى مرتبة كمالهم فى حال كونه موجوداً فى الشهادة ومنتقلا إلى الغيب وهو الدار الآخرة بأنواره غير منقطعة عن العالم قبل تعلق روحه بالبدن وبعده سواء كان حياً أو ميتاً انتهى.

وقال فى الفصوص بعد كلام له ما نصه: فكل نبى من لدن آدم إلى آخر نبى ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود وهو قوله كنت نبياً وآدم بين الماء والطين وغيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا حين بعث انتهى.

وقال فى "رسالة الأنوار" له ما ملخصه واعلم أن محمداً ﷺ هو الذى أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم فى عالم الأرواح حتى بعث بجسمه فأولياء الأنبياء الذين سلفوا يأخذون من أنبيائهم وهم يأخذون من محمد ﷺ انتهى. نقله فى فتح الرحمن [٣١٩] فى

شرح صلاة أبي الفتيان وقال الإمام سعد الدين الفرغانى فى شرحه للتائية الكبرى لابن الفارض بعد ما ذكر أن رسالته ﷺ كانت واقعة وثابتة من حال عهد المحبة الذاتية من قبل تعين العناصر الأربعة وتميز كل واحد منها عن الآخر وأنه بعث إلى الأرواح المفصلة فى حقيقة اللوح المحفوظ ثم إلى العرش والكرسى ثم إلى السماوات ثم إلى العناصر ثم إلى المركبات ما نصه: إلى أن ظهر بلبسة الصورة البشرية الآدمية باطنا فى كل فرد من أفرادها المتبوعة المسمين بالأنبياء والرسل وعين لكل واحد شريعة موصلة له ولمن تابعه إلى الجمعية والكلية وكانت حقائق هؤلاء الرسل والأنبياء عليهم السلام كالصور التفصيلية الكلية والأجزاء والتوابع لحقيقته التى هى حقيقة الحقائق فكان قد عين على الحقيقة لنفسه من حيثية كل جزء وتبع له كلى بالنسبة مسمى بالنبى والرسول ولتوابعه المدعوين شريعة يتبين بها استقامة سيرهم على سنن الكلية والجمعية وبدا لهم بآيات ومعجزات يستدل بها صور تفاصيله على صدقه إلى أن قال فكان رسول الله ﷺ رسولا من الأزل إلى الأبد وجميع المرسلين كانوا صور تفصيل حقيقته وخلفاءه ومظاهر تعيناته وهو كان ظاهرا بهم وباطنا فيهم فى نـــزولهم وعروجهم وولايتهم ونبوتهم واهتداؤهم إلى كمالاتهم الحقيقية كان بهدايته الباطنة [٣٢٠] فيهم فكان آدم ومن دونه تحت لواء كليته ومتبوعيته وهم خلفاؤه وأتباعه انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ الأستاذ الولى الكامل سيدى عبد الغنى النابلسى فى كتاب الرد المتين على منتقد العارف محيى الدين ما نصه: واعلم أن روحانيات الأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام مستمدة من حضرة الروح الأعظم الذى هو روح الوجود الكل وهو فى الحقيقة محمد حبيب الله ﷺ إذ هو الأصل قال الله تعالى فى أول الأنبياء آدم عليه السلام ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر:٢٩] وقال تعالى فى آخر الأنبياء عيسى عليه السلام ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [التحريم:١٢] وقال تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ [آل عمران:٥٩] الآية فبدأ الله تعالى الأنبياء بآدم ثم أخرج منه حواء وأظهر جميع الأنبياء عليهم السلام من صلبه إلى أن خلق مريم وأظهر منها عيسى عليه السلام فكان الابتداء

بأنثى من ذكر والانتهاء بذكر من أنثى ثم لما تمت مراتب النبوة المحمدية وتفصلت أطوارها فى هذا الوجود أظهرها الله تعالى مجملة فكانت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم نبى الله ورسوله إلى كل شىء خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ أبو الحسن سيدى يوسف الفاسى فى بعض أجوبته: سائر العلماء والأولياء رضى الله عنهم صور تفصيله ﷺ وخلفاؤه ومظاهر [٣٢١] تعيناته فما منهم إلا وهو سابح فى نوره وممتد من بحره كل على حسب مقامه ثم قال فعلى هذا فلا زائر ولا مزور إلا له ومنه ﷺ إذ هو أول موجود أخرج من العدم والرابطة بين الحدوث والقدم وأساس الخليقة على التمام انتهى نقله فى الإلمام والإعلام.

وفى تحفة الأخيار فى الكلام على اسمه ﷺ " الأحسن " وأحسن الناس بعدما ذكر أن منه ﷺ تستمد جميع العوالم وأن نور الوجود وجماله وخيره وكماله فى البواطن والظواهر إنما استمد ويستمد من نور ذاته الباطنة إلى غير ذلك ما نصه: فبان أن كل خير وبركة قلت أو جلت منه حصلت وبطلعته ظهرت وكيف لا وسائر العلماء والأولياء رضى الله عنهم صور تفصيله ﷺ وخلفاؤه ومظاهر تعيناته فما منهم أحد إلا وهو سابح فى نوره وممتد من بحره على حسب مقامه فهو الجامع المفترق والرسول على الإطلاق قال سيدى على بن وفا ﷺ فى صلاته وسرك المنـــزه السارى فى جزئيات العالم وكلياته علوياته وسفلياته من جوهر وعرض ووسائط ومركبات وبسائط ثم قال وأرى سريان سره فى الأكوان ومعناه المشرق فى مجاليه الحسان فعلى هذا لا ترى على التحقيق كرامة ولا آية ولا خرق عادة إلا وهى له ﷺ لأن جميع الأولياء بل وجميع الأنبياء منسوبون إليه ومستمدون منه واتفقت كلمة أولياء الله والعلماء بالله [٣٢٢] على أن مدد العالمين كلهم منه ﷺ فهو الرسول المطلق وكل من تقدم من الأنبياء والرسل قبله فعلى حسب النيابة عنه فكانت قبل بعثته ووجود شخصه

نبوته وبعده ولايته فهو الظاهر بهم والباطن فيهم وهو الأول والآخر والظاهر والباطن قال ﷺ نحن الآخرون السابقون. (١)

ولهذا كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نسخة من كتابى أى صورتى آدم وسيدنا محمد ﷺ على الكمال والعارفون الوارثون نسخة من آدم وباطن سيدنا محمد ﷺ على أتقن مثال والمؤمنون نسخة من آدم وظاهر سيدنا محمد ﷺ تسليماً كثيراً انتهى ملفقا من كلام الشيخ أبي محمد عبد الجليل وجد أبوى الشيخ أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسى رضى الله عنهم انتهى كلامه فى التحفة.

قلت وزاد بعضهم قال وأما أهل الشمال فنسخة من طينة آدم لا غير انتهى.

وفى صلوات القطب الأستاذ شمس الدين أبي المكارم سيدى محمد البكرى: عبد الله ونعم العبد الذى به كمال الكمال وعابد الله بالله بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال الداعى إلى الله على صراط مستقيم نبى الأنبياء وممد الرسل عليه بالذات وعليهم منه أفضل الصلوات وأشرف التسليم.

قال فى "الروضات العرشية" فقوله نبى الأنبياء يشير إلى أنهم نوابه وخلفاؤه وهو الداعى على الحقيقة من الابتداء إلى [٣٢٣] الانتهاء انتهى.

وقال العلامة ابن زكرى فى الإلمام والإعلام لدى قول أصله: اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار ما نصه: يحتمل معانى ووجوها ثم قال رابعها أن يكون إشارة إلى أرواح العلماء والعارفين من المرسلين والنبيين وجميع عباد الله الصالحين تتلقى من روحه ﷺ العلم والحكمة والمعارف الربانية والأسرار الملكية ولهذا سمى روحه أبا الأرواح فكل ما يرد على القلوب من التنـــزلات العرفانية والمنح الإلهية منه وبواسطته ﷺ إذ هو الهادى والمهدى لكل من اهتدى وغيره من الهداة نوابه وفروعه انتهى المراد منه وراجع ما ذكره فى بقية الوجوه فإنه مما يصلح إيراده أيضاً هنا.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤/١ رقم ٢٣٦).

وقال ابن حجر المكى فى شرح الهمزية لدى قولها لا تقس بالنبى فى الفضل خلقاً البيتين عقب قوله فى آخرهما الفضلاء ما نصه: لأنه الممد لهم إذ هو الوارث للحضرة الإلهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فإنه لا يستمد منها إلا بواسطته فلا يصل لكامل منها شيء إلا وهو من فيض مدده وعلى يديه فآيات كل نبى إنما هى مقتبسة من نوره ﷺ لأنه ﷺ كالشمس وهم عليهم الصلاة والسلام كالكواكب فهى غير مضيئة بذاتها وإنما هى مستمدة من نور الشمس فإذا غابت أظهرت أنوارها فهم قبل وجوده ﷺ إنما كانوا يظهرون فضله [٣٢٤] وأنوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع ألا ترى أن ظهور خلافة آدم وإحاطته بالأسماء كلها إنما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به نبينا ﷺ ثم توالت الخلائف إلى زمن بروز جسمه الشريف، فلما برز كان كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة إلا وقد أعطى مثلها أو ما هو أعظم منها كما سبره الأئمة ووضحوه انتهى منه بلفظه.

وقد اختصره صاحب لوامع أنوار الكوكب الدرى وزاد بعده ما نصه: فبنوره ﷺ نطق كل ناطق وحس كل حس وعقل كل عاقل وكرم كل كريم وعلم كل عالم إلى غير ذلك من أنواع الفضائل انظر ابن حجر والمواهب فقد أجادا وأفادا وتذكر قول الناظم يعنى فى بردة المديح:

وكل آى أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

انتهى.

وفى اللوامع المذكورة لدى قول البوصيرى:

والكرامات منهم معجزات ... حازاها من نوالك الأولياء

بعد أن نقل عن الإمام الفرغانى ما تقدم عنه من أنه لم يكن داع حقيقى من الابتداء إلى الانتهاء إلا هذه لحقيقته الأحمدية التى هى أصل جميع الأنبياء وهم كالأجزاء والتفاصيل الحقيقية [٣٢٥] إلى آخر كلامه، وعن البوصيرى قوله:

وكـــلهم مـــن رســـول الله ملتمس

إلى آخر البيتين ما نصه: ويؤخذ من استمداد الأنبياء منه ﷺ استمداد الأولياء منه بطريق الأحروية ولكن الحظوظ مختلفة فحظ النبى زق من عسل وحظ الولى ما رشح منه كما قال أبو يزيد البسطامى ﷺ فينبغى لمن زار ولياً من أولياء الله تعالى أن يستحضر استمداده من حضرته ﷺ فيكون بذلك زائرا له ﷺ انتهى.

وأشار بقوله كما قال أبو يزيد إلى ما نقلوه عنه من قوله جميع ما أعطى الأولياء مما أعطى الأنبياء كزق ملئ عسلا فرشح منه رشحات فتلك الرشحات هى ما أعطى الأولياء وما فى باطن الزق هو ما أعطى الأنبياء انتهى.

فخرج أنه ﷺ ممد الرسل وسائر الأنبياء فمن دونهم من الأصفياء والصالحين والأولياء وأنه واسطة الكل الذى عليه المعول والمدار بل واسطة العوالم كلها والمخلوقات بأجمعها فى دار الدنيا ودار القرار، ولا يخرج عن وساطته شيء أصلاً عاليا أو سافلا فرعا أو أصلا.

وبه تعلم شمول وساطته وإمداده أيضاً لكل ملائكة الله حتى للعالمين والمهيمين منهم فى ذات الله وإن قيل إنهم أفضل حتى من خواص البشر وهم الأنبياء لأن نبينا ﷺ خارج عن هذا الخلاف قطعا عند جميع العارفين وسائر العلماء [٣٢٦] فتنبه واحذر أن تغتر ببعض الإطلاقات فتصير من أهل الجهالات أو الضلالات وإنما غلبت الفناء على المهيمين واستغراق الشهود غيبهم عن شهود حضرة النبى المحمود وأدمج لهم حضرته فى حضرة المعبود ذى الجلال والكبرياء المشهود كما أشار إلى ذلك الشيخ عبد الرحمن العيدروس فى فتح الرحمن فى شرح صلاة أبى الفتيان ونصه وأما المهيمون من طوائف الملائكة عليهم السلام فإنهم لما كانوا فى شدة الاستغراق فى شهود الحضرة

جعلوا كأنهم لا يعقلون غير الذات فكمال الاستغراق أدمج لهم الحضرة المحمدية ولا يلزم من هذا نفى كونه ﷺ واسطة لهم كغيرهم قال وفى شرحنا الكبير على الأبيات العيدروسية فى هذا المبحث أطلنا الكلام فيما ذكرناه هنا فليراجع مع ما سيأتى فى مواضع من هذه التعليقة انتهى منه بلفظه.

وفى "تحفة الأخيار ومطالع المسرات" فى الكلام على الصلاة التى وجدت على بعض الأحجار بخط القدرة وهى اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك إلى آخرها لدى قوله فيها عين أعيان خلقك ما نصه: والمراد أن أعيان خلق الله الذين هم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون وجميع عباد الله الصالحين كما أنهم هم خيار خلق الله وكبراؤهم أوهم أعينهم التى بها يبصرون وسر وجودهم كذلك النبى ﷺ هو خير أولئك الأخيار وكبيرهم أو هو عينهم التى بها يبصرون [٣٢٧] وسر وجودهم ويحتمل أن يكون المضاف بمعنى من المعانى المذكورة والمضاف إليه بمعنى آخر منها والأقرب أن المراد العين الباصرة فيهما معا والله أعلم وقال سيدى على بن وفا:

عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم أعين هو نورها لما ورد

وقال الشيخ أبو محمد عبد الحق بن سبعين فى حزب الفلاح:

والخلاص عين الأعيان وسر التعينات ... كنز الأسرار ومرآت التجليات

وقال المحشى ويعنى به العارف بالله أبا زيد سيدى عبد الرحمن بن محمد الفاسى بعد أن قال فى هذا المعنى: وبالجملة فقد اتفقت كلمة أولياء الله تعالى على خصوصية النبى ﷺ على كل العوالم وأنه سر الله الممد فى الأرواح وبنسيمه وتنسمه لها حياتها والله أعلم.

ونقل سيدى عبد النور قال يعنى الشريف العمرانى قدس الله سره عن شيخه أبى العباس الحمامى عن شيخه أبى عبد الله بن سلطان أنه قال رأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقلت له يا سيدى يا رسول الله أنت ممد الملائكة والمرسلين فقال أنا ممد الملائكة

والنبيين والمرسلين وسائر خلق الله أجمعين وأنا أصل الموجودات والمبدء والمنتهى وإلى غاية الغايات ولا يتعدانى أحد قال ورأيته أيضاً فى النوم فأجرى الله له على لسانى له السلام عليك يا عين العيون ويا معدن السر المصون انتهى.

زاد فى تحفة الأخيار بعد هذا إلا أن هذا [٣٢٨] الذى تقرر كله فى الجملة وأما بالذوق والوجدان فمنهم من يدرك ذلك ويكشف له عنه ومنهم من لا يدركه قال المحشى أى فى حاشيته على الحزب الكبير للشاذولى وقد نبه الحاتمى ﷺ يعنى فى رسالة الأنوار له على نكتة ينبغى الاحتفاظ عليها [(١)] حيث قال اعلم أن كل ولى لله تعالى فإنه يأخذ ما يأخذه بواسطة روحانية النبى ﷺ فمنهم من يعرف ذلك ومنهم من لا يعرف ويقول قال لى الله وليس غير تلك الروحانية انتهى.

وهو موافق لما أشار إليه سيدى أبو العباس المرسى ﷺ حيث قال إن الولى إنما يكاشف بالمثال يعنى كما يرى مثال البدر فى الماء وبواسطته وكذلك الحقائق الغيبية والأمور الإشهادية مجلوة وظاهرة فى بصيرة النبى ﷺ وله عيانا لا مثالا والولى لقربه منه ومناسبته له لهديه بهديه ومتابعته له يكاشف بمثال ذلك لا به فظهر الفرق وثبتت ميزة النبى وانتفى اللبس بين النبوة والولاية وصح ما أطبق عليه الأولياء من المحادثة والمكالمة وقولهم قيل لى ونوديت فى سرى ثم قال يعنى المحشى وإذا أحطت بهذا علما تحققت واساطة النبى عليه السلام وبرزخيته على الإطلاق فى الغيب والشهادة وذلك معلوم لأهل الله ذوقا ومتحقق عندهم كشفا والله أعلم انتهى كلام المحشى. انتهى كلام التحفة.

وقد نقل العلامة ابن زكرى [٣٢٩] فى الإلمام والإعلام كلام المحشى هذا وزاد بعده ما نصه: وأن تفهم ما ذكرناه من أن الولى قد لا يستحضر واساطة ﷺ إذا استولى عليه الفناء واستغرقه الشهود.

---

(١) فى نسخة بها.

قلت ولا يبعد حصول بعض الشهود بعض الشعور للمهمين فى مبدأ وجوده وفى وقت ما من أوقاتهم حتى يعرفوه ﷺ بنبوته ورسالته ويعرفوا مكانته عند الله تعالى ووساطته وإمداده لهم ولغيرهم ويبتهل بالضراعة إليه والصلاة والسلام عليه أداء لبعض واجباته بل هذا هو الظاهر الائح الذى تنشرح له البصائر المؤيدة وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب:٥٦] فعم فى الملائكة ولم يخص منهم جنس دون جنس ولا فرقة دون أخرى ومما يؤيد هذا أنه مبعوث إليهم لقوله وبعثت إلى الخلق كافة وهم من جملة الخلق فلزم من سبب ذلك الشعور به وببعثته ولو فى وقت ما ثم يعودون لحالتهم التى أقامهم الله تعالى فيها والله أعلم ثم الإكثار من الصلاة والسلام عليه ﷺ وظيفة من علم أنه الواسطة فى كل شىء والله لا يخرج عن مدده ودائرته شىء أداء لبعض الحقوق وترك ذلك والإعراض عنه ربما أودى بصاحبه إلى العقوق قال فى تحفة الأخيار ومطالع المسرات لدى قول أصله وهى يعنى الصلاة عليه ﷺ [٣٣٠] من أهم المهمات إلى آخره بعد ما ذكر أن أهميتها من وجوه ما نصه: ومنها ما فيها من شكر الواسطة فى نعم الله علينا المأمور بشكره وما من نعمة لله علينا سابقة ولاحقة من نعمة الإيجاد والإمداد فى الدنيا والآخرة إلا وهو السبب فى وصولها إلينا وإجرائها علينا فنعمه علينا تابعة لنعم الله تعالى ونعم الله لا يحصرها عدد كما قال تعالى ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [النحل:١٨] فوجب حقه علينا ووجب علينا فى شكر نعمته أن لا نغفل عن الصلاة عليه مع دخول كل نفس وخروجه انتهى.

وفى التحفة المذكورة أيضاً ما نصه: والنبى ﷺ له علينا من الأيادى العظيمة والمنن الجسيمة دنيا وآخرة ما لا يحصى بحيث إنا نسبح فيها ونتقلب ظهرا لبطن ولا منعم من الخلق مثله فإنه الواسطة لنا فى كل خير وفى جميع النعم التى وصلت إلينا وهو أحرص شىء على هدايتنا ونجاتنا ومهتم بنا فى الدنيا والآخرة حتى إنا لو استغرقنا أعمارنا وأناء ليلنا ونهارنا فى الصلاة عليه وشغل القلب بذكره بعد ذكر الله تعالى لكان ذلك قليلا فى تأدية واجب حقه وما تقتضيه محبته لحسنه وإحسانه ونحن مطالبون بذلك وواجب علينا بمقتضى الإيمان والإحسان ألا ننساه ولا نغفل عنه انتهى.

الاجتماع به ﷺ مناماً ويقظة

وفى "فتح الرحمن فى شرح صلاة أبى الفتيان" فى أوله ما نصه: وقد قال بعض العارفين نفع الله بهم يعدم المربيون فى آخر الزمان [٣٣١] ويصير ما يوصل إلى الله تعالى إلا الصلاة على النبى ﷺ وبها يحصل الاجتماع به ﷺ مناما ويقظة وحسبك أنه اتفق العلماء على أن جميع الأعمال منها المقبول والمردود إلا الصلاة على النبى ﷺ فإنها مقطوع بقبولها إكراما له ﷺ انتهى منه بلفظه.

ومثله له فى كتابه المسمى "مرآة الشموس فى مناقب آل العيدروس" ولغيره من غيرها واحد وقد بحث جماعة من العلماء فى كونها مقبولة قطعا وقالوا إن أراد قائل ذلك أنها أرجى فى القبول من غيرها فمسلم وإن أراد الجزم والقطع بذلك فلا سبيل إليه فإنها كغيرها من الأعمال التى يعرض لها القبول والرد وإن كان القبول فيها أرجى.

وفى جواهر المعانى نقلاً عن الشيخ أبو العباس أحمد التيجانى فى شرحه لجوهرة الكمال فى آخره بعد كلام له ما نصه: فبان لك أن الصلاة على رسول الله ﷺ فى حق الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن فإن القرآن مرتبته مرتبة النبوة تقتضى الطهارة والصفاء وتوفية الآداب المرضية والتخلق بأخلاق الروحانية فلذا يتضرر العامة بتلاوته لبعدهم عن ذلك وأما الصلاة عليه ﷺ فليس فيها إلا التلفظ بها باستصحاب تعظيم النبى ﷺ بحالة تليق بتاليها من الطهارة الحسية ثوبا وجسدا ومكانا وتلاوتها باللفظ المعهود فى [٣٣٢] الشرع من غير لحن فإن الحق سبحانه وتعالى ضمن لتاليها أن يصلى عليه ومن صلى الله عليه مرة لا يعذبه ولا وسيلة عند الله أعظم نفعاً وأرجى فى استجلاب رضا الرب عن العبد فى حق العامة أكبر من الصلاة على النبى ﷺ وإن تدافعت العلماء فى القطع بقبولها فمن قائل بأن قبولها قطعى ومن قائل بعدم القطع وقبولها كسائر الأعمال والذى نقول به إنها مقبولة قطعا والحجة لنا فى ذلك إن الله تعالى يقول للنبى ﷺ من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه وهذا الوعد صادق لا يخلف وهو لا من حيثية العبد بل من حيثية شدة العناية منه سبحانه وتعالى بنبيه ﷺ وقيامه

سبحانه وتعالى عنه بالمكافأة لمن صلى عليه ﷺ فلا يترك صلاة العبد تذهب دون شيء وهو معنى قبول الصلاة من العبد انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسى فى شرح صغرى العقائد له فى الكلام على الهيللة بعد ما ذكر أنه ينبغى للذاكر أن يشفع الهيللة بإثبات رسالة سيدنا محمد ﷺ ليحفظ نور توحيده بإدخاله فى منيع حرز الشريعة ما نصه: وهكذا ينبغى فى كل ذكر من أذكار الله تعالى أن لا يغفل المؤمن فيه عن ذكر سيدنا ومولانا محمد ﷺ إما بأن يصلى عليه إثره أو يقر برسالته مع الصلاة عليه ﷺ [٣٣٣] ونحو ذلك مما يوجب تعظيمه والتمسك بأزياله إذ هو عليه الصلاة والسلام باب الله الأعظم الذى لا ينال كل خير دنيا وأخرى إلا بالتعلق به فمن غفل عن ذكره والتمسك بشريعته ﷺ لم ينل مقصوده وكان مرمياً به فى سجن القطيعة محروم من خير الدنيا والآخرة وسيدنا محمد ﷺ هو دليل الخلق إلى الله تعالى فكيف يصل إلى الله تعالى من غفل عن دليله وقد قال بعض من طبع الله على قلبه ممن يتعاطى التصوف وليس هو من أهله مقالة قريبة من الكفر أو هى الكفر بعينه إن الإكثار من ذكر النبى ﷺ حجاب عن الله تعالى وسبك بعض الضالين هذه العبارة فقال إذا أفرد التهليل من إثبات الرسالة كان أبلغ وأسرع فى تأثير معنى التوحيد واحتج لضلاله وتسويل شيطانه بأن قال للتهليل معنى ولإثبات الرسالة معنى وإذا اختلفت المعانى على الباطن ضعف التأثير وبعدت الثمرة قال وإنما يحتاج إلى وصل الذكرين عند الدخول فى الإسلام قال بعض الأئمة الراسخين رضى الله عنهم وهذه المقالة والعياذ بالله تعالى من الفتن التى لا مورد لها غير النار ولا عقبى لها سوى دار البوار وما ذاك إلا مكر واستدراج إلى رفض الشريعة والانحلال من ربقتها وتعطيل رسومها ولو علم هذا الضال ما تحت قولنا محمد رسول الله ﷺ [٣٣٤] من الأسرار التوحيدية والحكم الإلهية لانقشع عنه ذلك العمى وأصاب المرمى انتهى.

وكتب العارف بالله أبو زيد وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد الفاسى فى حواشيه عليه على قوله قال بعض الأئمة الراسخين ما نصه: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن

محمد الساحلى فى كتابه بغية السالك الشهير ومنه لخص المؤلف يعنى السانوسى ما أتى به فى هذا الفصل وفى الذى بعده انتهى.

وكتب أيضاً على قوله أولاً وكان مرميا به فى سجن القطيعة ما نصه: ذكر السيوطى فى بعض تواليفه عن بعضهم أنه رأى النبى ﷺ فسأله عن ابن سينا وعن الغزالى وعن ابن الخطيب الرازى فأثنى على الغزالى خيراً كثيراً وقال فى ابن الخطيب الرازى إنه معاتب وقال فى ابن سينا إنه رجل أراد أن يصل إلى الله من غير واسطتى فانقطع عن الله انتهى.

قلت حكى ذلك السيوطى فى تأييد الحقيقة العلية وتشيد الطريقة الشاذلية ونصه وقد حدثت عن العلامة الكريمى أنه حكى أن بعضهم رأى النبى ﷺ فى النوم فسأله عن الغزالى والفخر الرازى وابن سينا فأثنى على الغزالى خيراً كثيراً وقال فى الفخر إنه معاتب وقال فى ابن سينا إنه أراد أن يصل إلى الله من غير واسطتى فانقطع انتهى منه بلفظه.

قلت والشيخ أبو حامد لا يخفى جلالته ومكانته علماً وورعاً وفضلاً وطريقة وقد ذكرت له مناقب وشهد له خلائق بالولاية العظمى [٣٣٥] والمقام العالى الأثنى ودرجة الصديقية الكبرى نفعنا الله به وراجع ترجمته وما له من المناقب فى أوائل "شرح الإحياء" للشيخ مرتضى الزبيدى وأما الفخر، فالمراد به الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين البكرى الطبرستانى الأصل الرزاى المولد المعروف بابن الخطيب والملقب بفخر الدين وهو العالم المشهور الكلامى المفسر المتوفى سنة ست وستمائة بمدينة مراط وكأن سبب معاتبته توغله فى علم الكلام وسلوكه مسلك أهله من التفكر فى الذات العلية والحكم عليها من حيث الفكر والإيمان به سبحانه على حسب ما تقتضيه عقولهم وأفهامهم وحصروا صفات البارى تعالى عن ذلك علوا كبيراً وعبدوه مقيدا محصورا محكوما عليه بما اعتقدوه ونفوا أن يكون له تعالى تجل وظهور على خلاف معتقدهم وألفوا فى ذلك تآليف مئولين ما ورد مما توهم خلاف ما اعتقدوه

وهذا هو الذى نـــزه البارى تعالى نفسه عنه بقوله ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات:١٨٠] وحذر منه بقوله ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران:٢٨] أى ذاته أن تخوضوا فيها بعقولكم وأفهامكم وحذر منه أيضاً الرسول ﷺ بقوله تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فإنكم لا تقدرون قدره أخرجه أبو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس وفى لفظ تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله أخرجه ابن النجار والرافعى عن أبي هريرة وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس.

وفى آخر تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فتهلكوا أخرجه أبو الشيخ [٣٣٦] عن أبي ذر.

وفى آخر تفكروا فى كل شيء ولا تتفكروا فى ذات الله فإن ما بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك أخرجه أبو الشيخ فى كتاب العظمة وابن مردويه والبيهقى فى الشعب وضعفه والأصبهانى وأبو نصر السجزى فى الإبانة وقال غريب والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس.

وفى آخر تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى الله أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر وأبو الشيخ فى العظمة والطبرانى فى الأوسط وابن عدى فى الكامل وابن مردويه والبيهقى فى الشعب وضعفه والأصبهانى وأبو نصر السجزى فى الإبانة وقال غريب عن ابن عمر.

وفى آخر لا تتفكروا فى الله وتفكروا فى خلق الله أخرجه أبو الشيخ فى العظمة وأبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن سلام.

وفى آخر تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فإنكم لن تقدروا قدره أخرجه فى الحلية عن ابن عباس بإسناد ضعيف والأصبهانى فى الترغيب والترهيب من وجه آخر وأصح منه.

قال فى "الفتوحات" فى الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة وليس لأبى حامد الغزالى عندنا زلة يحمد الله عليها أكبر من هذه فإنه تكلم فى ذات الله من حيث النظر الفكرى

فى المضنون به على غير أهله وفى غيره ولذلك أخطأ فى كل ما قاله وما أصاب، وجاء أبو حامد وأمثاله أى كالفخر الرازى فى ذلك بأقصى غايات الجهل وما بلغ مناقضة لما أعلمنا الله به من ذلك واحتاجوا لما أعطاهم الفكر خلاف ما وقع به الإعلام [٣٣٧] الإلهى إلى تأويل بعيد لينصروا جانب الفكر فى الحق على جانب إعلام الله عن نفسه ما ينبغى أن ينسب إليه وكيف ينبغى أن ينسب إليه تعالى فما رأيت أحداً وقف موقف أدب فى ذلك إلا خاض فيه على عماية إلا القليل من أهل الله لما سمعوا ما جاءت به رسلهم صلوات الله عليهم فيما وصف به نفسه وكلوا علم ذلك إليه و لم يتأولوا حتى أعطاهم الله الفهم فيه بإعلام آخر أنـزله فى قلوبهم فكانت المسألة منه تعالى وشرحه منها تعالى فعرفوه به لا بنظرهم انتهى منه بلفظه.

قلت وكان الشيخ أبو حامد ﷺ فى ابتداء أمره سالكا مسلك أهل الكلام فيلسوفا ثم من الله عليه بالتخلص من الكلام والفلسفة إلى التصوف وسلوك طريقة القوم حتى وصل إلى ما وصل إليه من المرقى الأعلى والمكانة التى كادت أن لا تلحق.

ويحكى عن الفخر أنه رجع أيضاً عما كان عليه من المسلك الكلامى وتاب منه وذلك عند موته وأنه صار حينئذ يقول اللهم إيمانا كإيمان العجائز وأنشد متأسفا على ما فاته:

نـهـايـة أقـدام العـقول عقال ... وأكـثر [1] سـعى العـالمين ضلال

وأرواحـنا فى وحشـة من جسومنا ... وحـاصـل دنـيانا أذى ووبـال

و لم نسـتفد مـن بحثنا طول عمرنا ... سـوى أن جمعـنا فـيه قـيل وقال

ونهاية الإقدام فى علم الكلام كتاب لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى توفى سنة سبع وأربعين وخمسمائة [2][٣٣٩] وكأنه وغيره ممن ضل عن طريقه ﷺ أو

(١) فى نسخة وغاية.

(٢) سقط من المخطوطة صفحة ٣٣٨.

زعم أن الإكثار من ذكره عليه السلام حجاب عن الله لم يعلموا ما أجمع أهل الله عليه وذهب أهل الحل والعقد منهم إليه من أنه ﷺ هو صراط الله وبابه الذى لا مطمع لأحد فى العبور إلى حضرته تعالى إلا عليه ومنه وأن من خرج عنه ورام العبور إليها أو الدخول من غيره انقطع عن حضرته تعالى وانفصل وطرد ولعن وخسر الدنيا والآخرة وباء بخزيهما ووبالهما وقد تقدم قريبا قول الشيخ السنوسى فى شرحه لصغراه إذ هو ﷺ باب الله الأعظم الذى لا ينال كل خير دنيا وأخرى إلا بالتعلق به وفى شعب الإيمان للشيخ عبد الجليل القصرى أثناء كلام له ما نصه: فالرسول هو باب الله الأعظم لا يدخل عليه إلا منه ولا يوصل إلى الله تعالى إلا به انتهى.

وفى صلاة سيدى على بن وفا ﷺ بابك الأعظم وصراطك الأقوم وبرقك اللامع ونورك الساطع ومعناك الذى هو بأفق كل قلب سليم طالع وفى قصيدة الشيخ الإمام القطب الهمام الأستاذ الأعظم المجتهد المطلق المكرم تاج العارفين أبى الحسن محمد بن جلال الدين أبى الفضل محمد بن عبد الرحمن البكرى الصديقى المصرى وهى التى تقدم تقريباً صدرها:

وأنـــت بـــاب الله أى امـــرئ　　　أتـــاه مـــن غـــيرك لا يدخـــل

[٣٤٠] وفى كفاية المريد وحلية العبيد لأبى عبد الله الخروبى فى أوائله ما نصه: فعليكم أيها الإخوان السالكون والأصحاب الناسكون والرفقة المريدون باتباع نبيكم ﷺ فى أقواله وأفعاله وأحواله إذ هو الطريق الأسلم والباب الأعظم ألا ومن أراد سلوكاً على غير سبيلى ودخولا من غير بابه فقد سدت دونه الأبواب وضرب بينه وبين مراده بالحجاب وتاه فى ميدان البطالة وسعى فى حتف أنفه لا محالة وكتب فى ديوان الغافلين وحشر فى زمرة الخاسرين انتهى منه بلفظه.

وفى "المنن" للشعرانى إذا كانت لك حاجة إلى الله تعالى فتوسل إليه بسلطان المرسلين محمد ﷺ فإنه بابه الذى لا يمكن الوصول بدونه وإذا كانت لك حاجة إلى

النبى ﷺ فتوسل إليه بوزيريه أبى بكر وعمر فإنهما بابه ولا يمكن الوصول إليه بغير وزيريه ومن فاته الأدب حرم الوصول انتهى بواسطة.

وفى الوصية لسيدى عبد السلام الأسمر ما نصه: وإياكم ثم إياكم ثم إياكم أن تتركوا الصلاة على النبى ﷺ فإنه لا يفتح الباب إلا بعد ذكر النبى ﷺ ولا سبيل لروح آدمى من الناس كلهم أن تقدم على الله تعالى إلا بتقديم الروح الذكية وهى روح النبى ﷺ فافهموا انتهى منها بلفظها.

وفيها أيضاً ما نصه: ولا تؤثروا محبة فوق محبة الله عز وجل فهو الفاعل بكم جميع الإحسان [٣٤١]وأما النبى ﷺ فلا تحبوا أحداً من الخلق مثل محبته ولا يكمل إيمانكم حتى يكون النبى ﷺ أحب إليكم من أنفسكم وأهلكم وآبائكم وأمهاتكم وأولادكم وأزواجكم وجيرانكم والناس أجمعين فلابد من إيثار محبته ﷺ على كل محبوب سوى الله تعالى لأنه ﷺ هو المنجى لكم من الهلاك وهو باب الله تعالى فافهموا ومن لا محبة له قوية غاية القوة فى النبى ﷺ فإيمانه ناقصة ناقصة انتهى منها بلفظها أيضاً.

وفى الإبريز أثناء كلام لشيخه مولانا عبد العزيز ﷺ فى حقيقة الرؤيا المنامية قال فإن النبى ﷺ هو باب الله عز وجل ومن جهل الباب وضل عنه فإنه لا يمكنه دخول الدار أبدا فلولا هو ﷺ ما صح لنا إيمان بالله ولا شيء من خير الدنيا والآخرة انتهى.

وفى "تحفة الأخيار" لسيدى المهدى الفاسى لدى قول أصله فى أول كتاب وهى من أهم المهمات بعد كلام له ما نصه: وهو ﷺ باب الله الأعظم وصراطه الأقوم لا يصل أحد إلى الله ولا يدخل إلا من بابه ولا يشم شيئا من روائح القرب إلا بواسطته ومن وراء حجابه ولا غنى لمخلوق عنه ولا فوز لمن انفلت من ربقته أو أطلق يده من عروته وكيف يصرف أحد وجهه عنه وهو وسيلته ووسيلة أبيه آدم من قبل ﷺ كثيراً أبد الآبدين بلا انقضاء [٣٤٢] ولا انقطاع انتهى ونصوصهم فى هذا كثيرة وغاب عنهم العلم أيضاً بأن كل ما يفيضه الحق تعالى على جميع الوجود مطلقاً أو مقيدا كثيراً أو قليلا مما ظهر أو استتر من العلوم والأنوار والمعارف والأسرار والأعمال والأحوال

والفيوضات والتجليات والمواهب والمنح والأرزاق وجميع وجوه العطايا إنما يفيضه ويعطيه بواسطته ﷺ وعلى يديه وهذا أيضاً مما أجمع عليه العارفون وصرح به ذوقا وكشفا الأولياء الصادقون ومن ظن أنه يصل من عند الله تعالى شيء للوجود بغير واسطته فقد جهل أمر الله وضل وافترى وإن لم يتب خسر الدنيا والأخرى نسأل الله العافية من بلائه بجاه رسله وأنبيائه آمين ونصوص أهل الله بهذا لا تنحصر كثرة وعددا وقد تقدم منها ما فيه الكفاية لمن اهتدى.

وفى "تحفة الأخيار" ومطالع المسرات لدى قول الجزولى اللهم صل على سيدنا محمد صاحب الحسن والجمال والبهجة والكمال إلى آخره ما نصه: ويحتمل أن المراد بالحسن والجمال وما عطف عليهما حسن الكون وجماله وبهجته وكماله وبهاؤه ونوره يعنى أن ذلك منه ﷺ وهو مصدره وإليه استناده وهو صاحبه فكل حسن وجمال وبهجة وكمال وبهاء ونور فى ظهر الوجود وشوهد فى أى حاديث موجود فهو ﷺ أصله وسببه ومنه مادته فى الملك والملكوت والجبروت والرحموت فهو طراز الحلة وإنسان [٣٤٣] عين الأعيان الجلة ومنه انشقت الأسرار وانفلقت فرياض الملكوت بزهور جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ولا شيء إلا به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ﷺ انتهى.

وقال فى "الإلمام والإعلام" لدى قول أصله وحجابك الأعظم ما نصه: تقدم قريبا أنه ﷺ حجاب رحمة بين العبد وهيبة ربه ولولا وساطته لم يستطع تلقى أمر الله ونهيه من واسطة الملك فأحرى من خطاب الملك وسبق أيضاً أنه لولا وساطته لم يستطع العبد وصف المشاهدة لقوله ﷺ حجابه النور ولو بدت سبحات وجهه لاحترق ما أدركه بصره من خلقه فمعنى كونه حجابا أنه حجب الخلق عن الاضمحلال والتلاشى والهلاك الذى يوجبه التلقى والشهود أى هو الذى حجبت به خلقك عما ذكر فالخلق هم المحجوبون به عما ذكر لا عن التلقى والشهود إذ به يتوصلون إلى ذلك انتهى.

وقال الشيخ سيدى عبد الكريم الجيلى فى الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية فى الباب الأول فى معرفة أن محمداً ﷺ هو النسبة التى بين الله وعبده بعد ما ذكر أنه ﷺ الرحمة التى عمت الموجودات كلها وأنه كان الواسطة بين الله وبين العالم ونسبة بينه وبين جميع المخلوقات من نبى وملك وغيرهما من بقية الموجودات وأتى [٣٤٤] على ذلك بأدلة ما نصه: فعلم بما أوردناه أنه ﷺ لو لم يكن موجودا لما كان شىء من الموجودات يعرف ربه بل لم يكن العالم موجودا لأن الله تعالى ما أوجد العالم إلا لمعرفته فلو أنه علم من قوابلهم عدم المعرفة لعدم النسبة لما كان يوجدهم بل أوجد النسبة أولاً ثم أوجدهم من تلك النسبة لكى يعرفوه بها ولو لم تكن النسبة لم يكونوا وإلى ذلك أشار الحديث القدسى فى قوله تعالى للنبى ﷺ لولاك ما خلقت الأفلاك ولما كان ﷺ علة لوجود العالم وسببا لرحمته وواسطة بين الله وبينهم كان له مقام الوسيلة فى الآخرة لأن الخلق توسلوا به إلى معرفة الله تعالى وتوسلوا به فى الوجود لأنهم خلقوا منه وتوسلوا به فى كل خير ظاهر وباطن فهو ﷺ صاحب الوسيلة وقد تكلمنا طرفا فى معنى كونه واسطة بين الله وبين الخلق وأوضحناه فى كتابنا الموسوم بالكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم انتهى منه بلفظه.

مقام الوسيلة

ومقام الوسيلة قيل إنه مقام حسى وأنه علم على أعلى منـــزلة ودرجة فى الجنة وهى منـــزلة رسول الله ﷺ وداره فى الجنة وهى أقرب أمكنة الجنة إلى العرش وقيل إنه معنوى وهو أنه يكون فى الجنة فى قربه من الله القرب المعنوى بمنـــزلة الوزير من الملك من غير تشبيه ولا تمثيل يتوسل ويشفع فى قضاء [٣٤٥] الحاجات ورفع الدرجات ونيل المطالب وحصول جميع الرغبات ولا يصل لأحد شىء إلا بواسطته وعلى يديه والمعنيان معا صحيحان فى حقه ﷺ وحينئذ فهما وسيلتان إحداهما حسية والأخرى معنوية وكل منهما مختص به ﷺ.

وفى "شفاء السقام" لتقى الدين السبكى فى الباب العاشر فى الشفاعة أثناء كلام له ما نصه: لكن الشيخ عبد الجليل القصرى فى كتاب شعب الإيمان له ذكر فى تفسير الوسيلة التى اختص بها النبى ﷺ أنها التوسل وأن النبى ﷺ يكون فى الجنة بمنـزلة الوزير من الملك من غير تمثيل لا يصل إلى أحد شىء إلا بواسطته ﷺ انتهى.

وقال العارف بالله أبو يزيد الفاسى فى حواشيه على "دلائل الخيرات" وهى المسماة بالأنوار اللامعات فى الكلام على دلائل الخيرات ما نصه: الوسيلة قال السيوطى فى خصائصه هى أعلى درجة فى الجنة وقال عبد الجليل القصرى فى شعب الإيمان الوسيلة التى اختص بها هى التوسل وذلك أن النبى ﷺ يكون فى الجنة بمنـزلة الوزير للملك بغير تمثيل لا يصل لأحد شىء إلا بواسطته انتهى.

ونصه فى الشعب وأما المقام الثالث من شفاعته ﷺ فإنها فى الجنة وهى دائمة وهى مقام الوسيلة التى لا تنبغى إلا لمحمد ﷺ روى أبو سعيد الخدرى ﷺ كما فى الصحيح [٣٤٦] أن رسول الله ﷺ قال إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن وصلوا على فإن من صلى على صلاة صل الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منـزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة.

وهى مشتقة من التوسل الذى هو الطلب والدعاء والتشفع فالنبى ﷺ فى الجنة فى قربه من الله بمنـزلة الوزير من الملك فى درجة الوسيلة يتوسل ويشفع فى قضاء الحاجات ورفع الدرجات ويستأذن فى الزيارة العلية والنظر إلى الوجه الكريم وفتح أبواب حضائر القدس وغير ذلك وهو أول من يتقدم للزيارة وأول من ينظر إلى الله تعالى وأول فى كل شىء فيتوسل لنفسه ولغيره فلا يرد على الخلق فى الجنان خير إلا على يديه ﷺ لأنه أول من يرتقى فى الدرجات فيرتقى بارتقائه ويزيد بزيادته كل من فى الجنة فافهم فهمنا الله وإياك انتهى منه بلفظه.

قلت وحديث إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن أورده هكذا فى الجامع الصغير من غير زيادة وعزاه لأحمد ومالك والستة من حديث أبى سعيد ثم أورده بلفظ إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا على الحديث كما تقدم وعزاه لأحمد ومسلم والثلاثة عن عبد الله بن عمرو بن العاص وحينئذ فهما حديثان دخل له [٣٤٧] أحدهما فى الآخر والله أعلم.

ومن كتاب "نقد النصوص" للعارف بالله المنلى الجامى قدس سره ما نصه: وفى كتاب الفكوك يعنى للشيخ الكبير صدر الدين أبى المعالى محمد بن إسحاق القونوى الإنسان الكامل الحقيقى هو البرزخ بين الوجوب والإمكان والمرآة الجامعة بين صفات القدم وإحكامه وبين صفات الحدثان وهو الواسطة بين الحق والخلق وبه ومن مرتبته يصل فيض الحق والمدد الذى هو سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله علوا وسفلا ولولاه من حيث برزخيته التى لا تغاير الطرفين لم يقبل شىء من العالم المدد الإلهى الوجدانى لعدم المناسبة والارتباط ولم يصل إليه فكان يفنى وأنه عمد السماوات والأرض ولهذا السر برحلته من مركز الأرض التى هى صورة حضرة الجمع وأحديته ومنـــزلة الخلافة الإلهية إلى الكرسى الكريم والعرش المجيد المحيطين بالسماوات والأرض ينخرم نظامها فبدل الأرض غير الأرض والسماوات إلى أن قال فإذا انتقل انشقت السماء وكورت الشمس وانكدرت النجوم وانتثرت وسيرت الجبال وزلزلت الأرض وجاءت القيامة ولولا ثبوته من حيث مظهريته فى الجنة التى محلها الكرسى والعرش المجيد لكان الحال فيهما كالحال فى الأرض والسماوات وإنما قيدت ثبوته بقولى من حيث مظهريته من أجل ما أطلعنا الله عليه من أن الجنة لا تسع إنسانا كاملا وإنما يكون منه فى الجنة ما يناسب الجنة وفى كل عالم ما يناسب ذلك العالم وما يستدعيه ذلك [٣٤٨] العالم من الحق من حيث ما فى ذلك العالم من الإنسان بل أقول ولو خلت جهنم منه لم تبق وبه امتلأت وإليه الإشارة بقدم الجبار المذكور فى الحديث انتهى المراد منه بلفظه راجعه فى الكلام على الفص الآدمى.

وفى عبارة لبعضهم قال لولا ثبوت الإنسان الكامل فى الجنة وعدم زواله منها لكان الحال فيها كالحال فى الأرض والسماوات من زوالهما عند زواله منهما وكذا لو خلت منه جهنم لزالت بل إذا زال عن دار أى دار كانت فإنها تـــزول بزواله وإذا ثبت فيها فإنها تثبت بثبوته وكذا جميع الأمكنة ومنه تعلم أن العوالم كلها لا تخلو منه لأنها لو خلت منه لتلاشت واضمحلت لكونها ليس لها قيام ولا قوام إلا به ولجمعيته للأسماء الإلهية والإمكانية ومظهريته للطرفين وكونه برزخا جامعا بين قوسى الوجوب والإمكان لم تسعه الجنة ولا عالم من العوالم وإنما يكون منه فى الجنة ما يناسب الجنة وفى كل عالم ما يناسب ذلك العالم وفى جهنم ما يناسب جهنم إذ لو خلت جهنم منه لم تبق وبه امتلأت أعنى بما يناسبها منه وإليه الإشارة بقدم الجبار المذكور فى الحديث الشريف فلتفهم والله أعلم انتهى.

وقال الشيخ شرف الدين القيصرى فى "شرح الفصوص" لدى ما ذكره الشيخ من أن الأمر إذا انتقل إلى الآخرة يكون الإنسان الكامل ختما على خزانتها ختما أبديا ما نصه: وكون الكامل ختما على خزانة الآخرة دليل على أن التجليات الإلهية لأهل الآخرة إنما هى [٣٤٩] بواسطة الكامل كما فى الدنيا والمعانى المفصلة لأهلها مفرغة من مرتبته ومقام جمعه أبدا كما تفرغ منه أزلا وما للكامل من الكمالات فى الآخرة لا يقاس على ما له من الكمالات فى الدنيا إذ لا قياس لنعم الآخرة على نعم الدنيا.

وقد جاء فى الخبر الصحيح إن الرحمة مائة جزء جزء منها لأهل الدنيا وتسعة وتسعون لأهل الآخرة. (١) ومن يتحقق بهذا المقام ويمعن النظر فيه يظهر له عصمة الإنسان الكامل وقدره انتهى منه بلفظه.

وللشيخ عبد الجليل القصرى فى الشعبة السادسة عشر وهى العدل بعد ما ذكر تفسير معناه وأنه الحكم بالحق ووضع الحقوق مواضعها وأن لله عز وجل حقا ولكتابه

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٠٨ رقم ٢٧٥١).

حقا وللملائكته حقا ولرسله حقا إلى غير ذلك ما نصه: وأما حق الرسول ﷺ فعظيم لا يقدر أحد قدره أيضاً فإن كل نعمة أسدى الله عز وجل إلى الأمة من نعم الدنيا كلها إنما كانت على يديه فمن كان سبب الهداية إلى رب العالمين والمعرفة به وسبب العبادة له وسبب النجاة من الضلال وسبب تنوير القلوب وشرح الصدور وتنبيه العقول وسلامة النفوس من وحشة الكفر وضيق الصدر وظلمة الحمق ومن العذاب الدنيوى وسبب الراحة بعد الموت وسبب النجاة من الخلود فى النار وسبب الخلود فى الجنة وسبب النظر إلى وجه الله الكريم وسبب النجاة من غضب الله عز وجل وسبب نيل [٣٥٠] الرضوان من الله تعالى وسببا لأن ينعم الله جل جلاله على عبيده أبد الآبدين بنعم لا تحصى كيف يقدر قدرها هذا الشخص أو يؤدى شكره أبدا فالعدل فى حقه ﷺ أن تلحظه بعين التعزير والتوقير وتراه فى المرتبة (١) التى جعله الله عز وجل فيها وتقدر قدره الذى هو عليه وهيهات أن لك بذلك إلى أن قال فشخص وصل قدره عند الله تعالى حبط أعمال الإسلام من أجل رفع السوط عنده لقد جل قدره وعظم خطره وكذلك رفع الصوت بالآراء على سنته وتقديم الرأى عليهما والتهاون بكلامه من ذلك المعنى بل تلحظ سنته كلامه بعين الإجلال والتعظيم كما يلحظ شخصه قال واختصار القول فى هذا المعنى أن البارى تبارك وتعالى جعل الخير والهداية والنعم التى فى يده سبحانه فى خزانة ملكه ثم خاطب الخلق كلهم وقال لا ينال أحد من الخير الذى فى يدى ذرة إلا على يدى هذا الشخص الذى أرسلته إليكم ولا ينال شيئا من الشر الذى لا يقوم له شيء وهو بيدى إلا من أغضب هذا الشخص ولم يطعه فهكذا ينبغى أن تفهم بعض درجات النبى ﷺ ومراتبه ومن العدل فى حقه ﷺ كثرة الصلاة عليه والدعاء له والإيثار له على كل شيء دون الله قال وهذا الذى ذكرته قطرة من بحر فنسأل الله الكريم جل جلاله أن يجعلنا من أمته ويميتنا على سنته وطريقته آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله [٣٥١] انتهى منه بلفظه من نسختين.

---

(١) فى نسخة المراتب.

أسباب إحباط العمل

قلت وجعل الله تعالى فى كتابه لإحباط العمل سببين: أحدهما الإشراك بالله تعالى فى قوله ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر:٦٥] وقوله ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾. [المائدة:٥]

والثانى: الإخلال بالأدب معه ﷺ فى قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات:٢] إلى قوله ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢] وهذا فيه من الإجلال لشأنه والتعظيم لقدره ما لا يوصف حيث كان الإخلال بالأدب معه موازيا للكفر فى إحباط العمل وجعله هباء منثوراً.

وقال الشيخ عبد الجليل أيضاً فى الشعبة الموفية خمسين وهى حب الرسول ﷺ بعد ما ذكر أنه لابد من ذكر شيء من محاسنه ﷺ وجمال ذاته الظاهرة والباطنة وأن الحسن والجمال والإحسان سبب المحبة ما نصه: فأول ذلك أن تعلم أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها وقد أحسن الرسول ﷺ إلينا بأن كان سبب الإيمان للجميع فهو فرد الإسلام وشرع الدين وفتق العقول بالهداية وأطلق الألسنة بل هو سبب كل خير ظاهرا وباطنا لأنه رحمة عامة فى أصل خلقته فهم ذلك من فهمه وجهله من جهله كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ثم ذكر شيئا من جمال شخصه الكريم الظاهر ومن جمال ذاته الباطنة وروحه المقدس ثم قال فقد [٣٥٢] تبين أن نور الوجود وجماله وخيره فى البواطن والظواهر إنما استمد ويستمد من نور ذاته الباطنة وقد سماه الله تعالى سراجا منيرا فى قوله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ [الأحزاب:٤٥،٤٦]كما قال تعالى فى الشمس ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ [نوح:١٦] فذاته ﷺ شمس الوجود منها يستمد جماله ونوره وحسنه كل موجود فكما أن الأبصار تستمد من أشعة الشمس المنبثة من القرص إلى أقطار العالم فيرى بنورها ويظهر ويتبين

كل شيء فكذلك تستمد العقول والبصائر والذوات من ذات المصطفى النورانية التي هي شمس الوجود وسراجه فافهم فأول ما خلق الله تبارك وتعالى نوره ﷺ في البدء فكان بذرة الوجود وأقرب موجود وهو مقام الحبيب من الحبيب ثم نشأ عنه الوجود كله كما تنشأ الشجرة من البذرة حتى كملت الموجودات الكليات ثم خلق آدم عليه السلام وولده والنور يمد الكل من الأصل حتى ظهر جسده الطاهر في آخر الدنيا وكمال الخلق كما تظهر ثمرة الشجرة بعد كمالها فهو الأول والآخر وعليه تقوم الآخرة كما نشأت عنه الأوائل لأنه الأول كما بظهور من منـــزلته وعظيم شرفه ظهرت رتبته ومنـــزلته على المنازل وظهر دينه على الدين كله فكان هو الظاهر كما بتوسله وخفى سره في مقامات شفاعته خفيت أسراره مع حبيبه في غيب الغيب بدخوله عليه وحده كما يدخل الوزير المقرب على الملك فكان هو الشفيع للكل والمطلع على السر والمحرك [٣٥٣] في القلب والمتوسل بالوسائل الجليلة في الغيب عن الكل لا يقوم ذلك المقام غيره شفاعة للجميع ورحمة للكل فكان هو الباطن في درجات الحب وغيب القرب فكان ﷺ أولاً وآخرا وظاهرا وباطنا أولاً في الخلقة والتقدمة وآخرا في البعث ورجوع الكل إليه وانتظارهم ليومه وظاهرا في المنـــزلة وباطنا في الوسيلة ثم قال وإلى عبادته الأولى الإشارة في حقائق التفسير بقوله تعالى ﴿ **قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ** ﴾ [الزخرف:٨١] ردا على من نسب إلى الله تبارك وتعالى الولد ومعنى ذلك لو كان لله ولد كما تـــزعمون فأنا كنت أحق بذلك من غيرى فإني أول العابدين لأني أول مخلوق ولست أدعى أني ولد بل أنا عبده فكيف تنسبون إلى غيرى البنوة وهو لم يشهد من القرب منـــزلتي ولا من المكانة مكانتي ولا من الأولية أوليتي.

قال وانظر أحاديث الإسراء أيضاً والآيات فيه فقد ركب البراق ورقى المعراج وركب الرفرف وجاوز مقامات الأملاك والأنبياء عليهم السلام إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى فإنما صعد ﷺ إلى مقامه الأول الذى هو بدء النور الذى خلق منه العرش ونوره الأول الذى ليس بينه وبين الله جل وتعالى واسطة بل هو الواسطة

للوجود كله ومن هذا تفهم حديث قتادة ﷺ الذى ورد أن الله تعالى يجلس محمداً ﷺ على العرش لاستغنائه هو جل جلاله عن العالمين فيقعده مكان الربوبية ويهب ملكه له لاستغنائه عن الكل فيكون مشرفا على [٣٥٤] الوجود كله لأن الوجود من نوره ومن جماله استنار فإذا فهمت هذا كله على الإجمال علمت أن كل حسن فى الوجود وكل جمال فمن نوره يستمد وليست تظهر منـزلته ﷺ التى هى ظهرت لأهل العلم إلا فى الآخرة لعموم الخلق وعموم العلماء فهو ﷺ أفضل الخليقة وهو رحمة للعالمين وعليه أسبغت جوامع النعم وخلعت خلع الجود والكرم وكان فضل الله عليه عظيماً وهو الملقن للمحامد والثنآت على ما أوتى من النعم والفضائل انتهى المراد منه بلفظه.

المقام المحمود

وقال فى الشعبة الحادية والعشرين وهى شعبة البرور ما نصه: فكما ورد فى حديث قتادة أن الله تعالى يقعده على العرش وذلك أن الله تعالى غنى عن الملك كله لا حاجة له فيه فيوهب لنبيه مكان الربوبية ومقام الإشراف على الملك كله لاستغنائه هو عنه فمن الذى يقدر أن يلحظه بالعين التى جعله الله هو وأزواجه فيها إلا ما شاء الله من ذلك انتهى منه بلفظه.

قلت وما نقله عن قتادة هو أحد الأقوال فى تفسير المقام المحمود وهو أنه إجلاسه عليه الصلاة والسلام على العرش حملا للمقام على أنه مصدر ميمى لا اسم مكان وقد روى الثعلبى نحوه عن ابن مسعود قال يقعده الله على العرش قالوا وله حكم الرفع إذ لا دخل للرأى فيه وابن مسعود ليس ممن يأخذ عن أهل الكتاب.

وفى المواهب قال مجاهد هو جلوسه على العرش.

وعن عبد الله بن سلام [٣٥٥] جلوسه على الكرسى ذكرهما البغوى انتهى.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال إن محمداً ﷺ يوم القيامة يجلس على كرسى الرب بين يدى الرب.

وأخرج الديلمى عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ **عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً** ﴾ [الإسراء:٧٩] قال يجلسنى معه على السرير.

وأخرج ابن مردويه عنه أيضاً أن النبى ﷺ قرأ ﴿ **عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً** ﴾ [الإسراء:٧٩] قال يجلسنى على السرير.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد قال يجلسه الله معه على العرش وأنكر الواحدى قول مجاهد هذا وزيفه ورد بأن جلوسه تعالى على العرش ثابت لا يمكن رده لكن بلا كيف ولا تشبيه وإقعاد سيدنا محمد ﷺ معه عليه لا يوجب له صفة الربوبية ولا يخرجه عن صفة العبودية إنما هو كإجلاس الملك على سريره من يعظمه فهو رفع لمحله وتشريف له على خلقه والمعية فيه معية مكانة وحظوة ومنـــزلة لا معية مكان ولذا قال شيخ الإسلام ابن حجر قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة النقل أى لأنه لم ينفرد به ولا من جهة النظر أى لما ذكرناه ونقل النقاش عن أبى داود صاحب السنن أنه قال من أنكر هذا القول فهو متهم قال فى شرح المواهب أى بعدم المعرفة حيث أنكر شيئا ثابتا بمجرد ما قام فى عقله وليس هذا مناف لما هو مشهور بل ادعى فيه الإجماع واستدل له بالأحاديث [٣٠٦] الصحيحة الصريحة والآثار عن الصحابة والتابعين من أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة العظمى لأن المراد أنه مقام الشفاعة وما ينضم إليه من كل ما يدل على رفعة شأنه وعلو مكانه وهذا منه والله أعلم.

وفى "اليواقيت" للشعرانى فى المبحث الأخير وهو الحادى والسبعون ما نصه: فإن قلت فما أعظم منـــزلة تكون لرسول الله ﷺ فى الآخرة فالجواب أن أعظم منـــزلة تكون له وقوفه بين يدى الله عز وجل كما ينبغى لجلاله لتنفيذ الأوامر الإلهية فى ذلك اليوم العظيم فهو الترجمان فى حضرة الملك العدل جل وعلا دون جميع الخلق قال الشيخ محيى الدين ومن خصائصه ﷺ فى ذلك المقام أن أهل الموقف كلهم يأخذون عنه

فى ذلك الموطن لأنه هناك وجه كله فيرى من جميع جهاته وله إعلام من الله تعالى فى كل جهة فيفهم عنه ما يريد انتهى.

ونصه فى "الفتوحات" فى الباب السابع وثلاثين وثلاثمائة ومنـــزل محمد ﷺ يوم الزور الأعظم على يمين الرحمن من حيث الصورة التى يتجلى فيها على عرشه ومنـــزله يوم القيامة ليس على يمين الرحمن لكن بين يدى الحكم العدل لتنفيذ الأوامر الإلهية والأحكام فى العالم فالكل يأخذ عنه فى ذلك الموطن وهو ﷺ وجه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب إعلام عن الله تعالى يفهم عنه يرونه لساناً ويسمعونه [٣٥٧] صوتاً وحرفاً انتهى منه بلفظه.

وفى درر الغواص على فتاوى سيدى على الخواص لسيدى عبد الوهاب الشعرانى ما نصه: وسألته ﷺ فى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة هل وهب فى حمالات الناس يعنى ما تحمل عنهم البلايا والمصائب التى تنـــزل بهم أو تريد أن تقع عليهم أو امتنع فقال لا أرى الامتناع من ذلك إلا أولى لك لأن غالب الناس قد استحقوا نـــزول البلاء والمحن والخسف والمسخ وإيش جهد ما تعمل فقلت له قد قال الله تعالى ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ** ﴾ [البقرة:٢٥١] فقال صحيح ولكن فيما يقدرون ثم قال جميع الأولياء الأحياء والأموات قد تـــزحزحت أبوابهم للغلق وما بقى مفتوحا إلا باب رسول الله ﷺ فأنـــزل كل شيء توجه به الناس إليك برسول الله ﷺ فإنه شيخ الناس كلهم وحكم الخلق كلهم بالنسبة إليه كالعبيد والغلمان الذين فى خدمته فهو يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون والله أعلم انتهى منه بلفظه.

وقال فى ترجمة سيدى على هذا من الطبقات ما نصه: وكان يقول ونحن فى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة جميع أبواب الأولياء قد تـــزحزحت للغلق وما بقى الآن مفتوحا إلا باب رسول الله ﷺ فأنـــزلوا كل ضرورة حصلت لكم به ﷺ انتهى.

وفى المنن الكبرى نقلاً عنه قال قد استدارت أبواب جميع الأولياء إلى الغلق وما بقى مفتوحا إلا باب سيد المرسلين ﷺ [٣٥٨] ومن كانت له حاجة فليصل على النبى ﷺ ألف مرة بتوجه تام ثم يسأله فى قضاء حاجته فإنها تقضى إن شاء الله تعالى انتهى.

وفى "العهود المحمدية" فى عهد الإكثار من الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ ليلا ونهارا ما نصه: وما فى الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وأخرى مثله ﷺ فمن خدمه على الصدق والمحبة والوفاء(١) دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المؤمنين كما ترى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ومن خدم السيد خدمته العبيد.

الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبى ﷺ

واعلم يا أخى أن طريق الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبى ﷺ من أقرب الطرق فمن لم يخدمه ﷺ الخدمة الخاصة به وطلب دخول حضرة الله فقد رام المحال ولا يمكنه حجاب الحضرة أن يدخل وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان من غير واسطة فافهم فعليك يا أخى بالإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ ولو كنت سالماً من الخطايا فإن غلام السلطان أو عبده إذا سكر لا يتعرض له الوالى أبدا بخلاف من لم يكن غلاما له ويرى نفسه على خدام السلطان وعبيده وغيرهم ولا يدخل من دائرة الوسائط فإن جماعة الوالى يضربونه ويعاقبونه فانظر حماية الوسائط وما رأينا قط أحداً تعرض لغلام الوالى إذا سكر [٣٥٩] أبدا إكراما للوالى فكذلك خدام النبى ﷺ لا تتعرض لهم الزبانية يوم

(١) فى نسخة والصفاء.

القيامة إكراما لرسول الله ﷺ فقد فعلت[1] الحماية مع التقصير ما لم تفعله سائر الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد إلى الرسول ﷺ الاستناد الخاص انتهى منها بلفظها.

وفى الكبريت الأحمر فى بيان علوم الشيخ الأكبر لسيدى عبد الوهاب أيضاً ما نصه: وقال يعنى الشيخ الأكبر فى الباب الثانى والتسعين وأربعمائة العلم المأخوذ عن رسول الله ﷺ بواسطة أو غيرها أوثق من العلم الذى يأخذه العبد من الله بلا واسطة من الوجه الخاص الذى هو الإلهام على أنه ليس لنا علم الآن يؤخذ عن الله إلا وهو من باطنية محمد ﷺ لقوله فعلمت علوم الأولين والآخرين وأنت يا أخى من الآخرين بلا شك فلا تقل قد حجرت على واسعا لأنى ما حجرت عليك العلم مطلقاً وإنما حجرت عليك أن لا يأتيك إلا بواسطة وهذا ليس بتحجير فتأمل قال وقد وافقنا على ما قلناه أبو القاسم بن قسى وما رأيت هذا النفس لغيره انتهى منه بلفظه.

وكأنه لخص كلام الفتوحات بالمعنى على عادته فيما ينقله عنها فى أكثر الأحوال ونص الفتوحات فى الباب المشار إليه أن كل علم يحصل للإنسان فى الدنيا من العلم بالله خاصة فإن محمداً ﷺ قد علمه فإنه علم علم الأولين والآخرين [٣٦٠] وأنت من الآخرين بلا شك وأما فى غير العلم بالله فقد يعطاه الإنسان من الوجه الخاص أى الذى هو الإلهام فلا يعلم إلا منه فهو رسول فى تعليمه إلى من يعلمه بذلك وهذا يعنى الوجه الخاص أعطاه مقام محمد ﷺ أى هو من باطنيته وليست الفائدة إلا فى العلم بالله تعالى فإنه العلم الذى به تحسن صورة العالم فى نفسه فالعلم بالله من الرسول فى المتعلم أعظم وأنفع من الغلم الذى يحصل لك من الوجه الخاص إذا كان المعلوم كونا من الأكوان ليس الله فما الشرف للإنسان إلا فى علمه بالله أما علمه بسوى الله تعالى فعلالة يتعلل بها الإنسان المحجوب فإن المنصف ما له همة إلا العلم به تعالى فاجهد أن تكون ممن يأخذ العلم بالله عن رسول الله ﷺ فتكون محمدى الشهود إذ قد قطعنا أنه لا علم بالله اليوم عينا يختص به أحد من خلق الله.

---

(١) فى نسخة نفعت.

ثم قال وهنا سر فابحث عليه ولا تقل قد حجرت واسعاً فإنى ما حجرت عليك ألا تعلم وإنما حجرت عليك أنك لا تعلم مثل هذا من الحق إلا فى صورة محمدية وقد بينا أن أعظم الرؤية رؤية محمدية فى صورة محمدية وإليه ذهب الإمام أبو القاسم بن قسى رحمه الله فى كتاب خلع النعلين له وهو روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين وخمسمائة وما رأيت هذا النفس لغيره فنعينه وإنه ما وصل إلينا انتهى المراد منه بلفظه.

وقد راجعت الفتوحات فيما ينقله الشعرانى منها فى هذا الكتاب وكذا فى اليواقيت والجواهر فى الباب [٣٦١] الذى يسميه فتارة أجده بمعناه وتارة لا أجده فى الباب الذى يسميه أصلاً فما أدرى سبب ذلك هل نسخته من الفتوحات مخالفة لما بأيدينا من نسخها أو ينقل الكلام بالمعنى على حسب ما يفهمه أو وقع فى النسخ المطبوعة من الكتابين بتحريف فى تعيين الأبواب وتسميتها والله أعلم.

وفى "شرح الفصوص" للشيخ شرف الدين القيصرى لدى قولها فى الفص الآدمى فإن الملائكة لم تقف مع ما تعطيه نشأة هذا الخليفة ما نصه: وهذا الكلام إشارة إلى ما مر من أن جميع الموجودات ما يأخذون كمالهم إلا من مرتبة الإنسان الكامل ولا يحصل لهم المدد فى كل آن إلا منها لأن الأسماء كلها مستمدة من الاسم الله الذى هو الكامل مظهره انتهى.

وأشار بقوله إلى ما مر إلى قوله سابقا وكما كان عليه السلام واسطة لوجودهم فى العلم والعين ماهية ووجودا كذلك كان واسطة لكمالاتهم قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وممدا لكل عين وذات بإيصالها إلى كمالها كفراً كان أو إيماناً انتهى.

وفى جوهر المعانى نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى فى شرحه ليقوتة الحقائق لدى قوله فيها والنور السارى الممدود قال ما نصه: وقوله السارى معناه أنه ﷺ سار فى جميع الموجودات كسريان الماء فى الأشجار لا قيام لها بدونه وتلك السراية منه ﷺ

فى الموجودات لا مطمع للعقل فى دركها ولا أن يحوم حول حماها فما وصل إليها أحد من خلق الله ولا عرف [٣٦٢] لها كيفية ولا صورة وكل الوجود فى حجاب عن هذا الإدراك يعنى إدراك السراية منه ﷺ فى الموجودات فما أدركتها أكابر الملائكة العالين ولا أكابر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كلهم لم يشموا لها رائحة فمن دونهم أحرى وأولى لا يذوق منها شيئا وغاية هذا السريان أنه ﷺ لو فقد سريانه فى ذات من ذوات الأكوان لصارت محض العدم من ساعته وإلى هذا الإشارة بقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ثم قال وقوله الممدود معناه هو الذى لا غاية له وهو أنه امتدت سرايته فى جميع الأكوان من كل ما انطبقت عليه كرة العالم بل وجميع ما دخل تحت حيطة الطوق الأخضر من جميع مخلوقات الله وزاد امتداده حتى سار فى جميع المعلومات التى أحاط العلم الإلهى بها ونفذت المشئة الربانية بأن لا خروج لها من العدم إلى الوجود أصلاً وكيفية السراية فى هذا المعدوم أيضاً لا يطيقها العقل تصورا وقبولا بل هى فى إحاطة العلم الإلهى فلا يعلم كيفيتها وصورتها إلا الله تعالى انتهى منها بلفظها.

فتبين بهذه النصوص المسطورة والأقاويل المعظمة المشكورة التى هى أقاويل الصفوة من أهل الله ونصوصهم المنبئة عن يقين لا عن اشتباه أنه ﷺ أصل جميع الموجودات ومنبع سائر الكمالات والسبب فى الوجود [٣٦٣] لكل خلق موجود وأنه لأولهم وآخرهم رسول الحق والمتفضل بالإمداد على جميع الخلق والواسطة بينهم وبين الخالق والموصل إليهم بقسمه كل ما يعطيه الرب الرازق وأنه لا خروج لكائن عن جنابه ولا محيص له عن الوقوف ببابه لا فى الدنيا ولا فى البرزخ ولا فى الموقف ولا فى الجنان ولا فى النظر إلى وجه الملك الديان لا حرمنا الله منه وتبين أيضاً أنه أصل جميع ما يصدر من أمته من توحيد وإيمان وأعمال صالحة وإخلاص وإيقان كما قال الشافعى رضي الله عنه ما من خير عمله أحد من أمة محمد ﷺ إلا والنبى ﷺ أصل فيه يعنى لأنه المعرف به والدال عليه والموصل بهدايته وإرشاده إليه وعليه فإيمانهم وتوحيدهم وإخلاصهم وأعمالهم الصالحة كلها فى صحائفه زيادة على ما له من الأجور المضاعفة التى لا يحصيها ولا

يحصرها إلا الله سبحانه لحديث من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء... الحديث أخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث جرير بن عبد الله وحديث من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا الحديث أخرجه أحمد ومسلم والأربعة عن أبى هريرة ولذا قال القائل وهو سيدى محمد وفا ﷺ :

فـــلا حســـن إلا من محاسن وجهه ولا محسن إلا له حسناته

[٣٦٤] وقال الإمام البوصيرى رر فى داليته المشهورة:

والمـــــرء فى مـــــيزانه اتـــــباعه فـــاقدر بـــذا قـــدر الـــنبى محمـــد

وانظر فى هذا المعنى "شفاء السقام" لتقى الدين السبكى وفى اليواقيت للشعرانى رحمه الله فى المبحث الأخير بعد كلام له ما نصه: فعلم أن محمداً ﷺ ملء الجنان فلا ولى يتنعم بجنته إلا وهو ﷺ معه متنعم بنعمته مشارك له فيها لأن الولى ما وصل إلى ذلك إلا باتباع شريعته ﷺ فلهذا كان سر النبوة قائماً به فى تنعمه وهو معنى قوله ﷺ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فله ﷺ من لذة النعيم مثل لذة جميع العاملين بشريعته زيادة على ثواب أعماله الزكية قال وعلى ما قاله الشيخ تقى الدين السبكى وغيره أن جميع الأنبياء كلهم من باطنه ﷺ من حيث أنه نبى الأنبياء كلهم فله مثل أجر جميع العاملين بجميع الشرائع انتهى منه بلفظه.

قلت ومما يشهد لما قاله الشيخ تقى الدين السبكى ومن وافقه حديث يا أبا بكر إن الله عز وجل أعطانى ثواب من آمن بى منذ خلق آدم إلى أن بعثنى وإن الله تعالى أعطاك يا أبا بكر ثواب من آمن بى منذ بعثنى إلى يوم القيامة أخرجه الخطيب فى تاريخه والديلمى فى مسند الفردوس عن على وأورده ابن الجوزى فى الواهيات وفى لفظ عن [٣٦٥] على قال: قال رسول الله ﷺ لأبى بكر الصديق يا أبا بكر إن الله أعطانى ثواب من آمن به من يوم خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة وإن الله أعطاك يا أبا بكر ثواب

من آمن به منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة أخرجه الدينورى فى المجالسة والعسكرى فى فضائل الصديق والخلعى والخطيب فى تاريخه والديلمى وابن الجوزى فى الواهيات وذكرهما معا السيوطى فى جمع الجوامع وذكر الحديث أيضاً فى الإحياء فقال العراقى فى تخريجها رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية الحارث الأعور عن على والحارث ضعيف انتهى.

وفى "الرياض النضرة" للطبرى عن على بن أبى طالب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبى بكر يا أبا بكر إن الله أعطانى ثواب من آمن به منذ خلق آدم إلى أن بعثنى وإن الله أعطاك ثواب من آمن بى مذ بعثنى إلى أن تقوم الساعة خرجه الخلعى يعنى فى الخلعيات والملائى يعنى فى سيرته وصاحب فضائله أى فضائل أبى بكر ﷺ.

قلت وعلى قياس ما سبق من أنه مرسل لجميع الخلق يكون له أجر إيمان وتسبيح وطاعات جميع ما خلق الله من إنس وجان وملك وحيوان ونبات وجماد وغير ذلك مما لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى وبه تعلم أن أجوره لا تتناهى ولا تدخل تحت حد ولا مقياس وأنها أكثر بمراتب عديدة من أجور جميع الخلق وسائر الناس بل له الكون بما فيه وما خرج [٣٦٦] منه فمن جوده الفياض لمن يصطفيه فالحمد لله الذى هدانا إليه وعرفنا به ودلنا عليه وما كنا لنهتدى لولا أن هادنا الله وفتح لنا باب فضله وجوده ورضاه.

وهنا أمر يتأكد أو يتعين التنبيه عليه لمنافاته بظاهره لما سترناه وتوجهت النفوس والعقول السليمة إليه وهو أن الشيخ سيدى عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى قال فى كتابه درر الغواص على فتاوى سيدى عليا الخواص ما نصه: وسألته يعنى الشيخ سيدى على الخواص ﷺ هل أصلى وأصوم وأجعل ثواب ذلك لآدم عليه السلام ليكون ذلك وصلة بينى وبينه فى المعرفة فى الآخرة لسبب أعلمته به فقال ﷺ لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبدا من نبى أو غيره فقلت له كيف فقال لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد وبين الرب فى الدعوة إلى الله تعالى لا إلى نفسه فإذا وقع الإيمان

الذى هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله ولم يبقى للرسول إلا حكم الإفاضة على العبد من جانب التشريع والاتباع كما فى حال المنجاة فى السجود سواء فنفس الرسول يغار من أمته أن يقفوا معه دون الله تعالى فإنه يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على ذلك كما أشار إليه قوله ﷺ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة الحديث وانظر يا أخى [٣٦٧] إلى غيرة الحق تعالى على عباده بقوله لمحمد ﷺ ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة:١٨٦] فأعلمنا الله بأنه أقرب إلينا من أنفسنا ومن رسولنا الذى جعله الله تعالى واسطة لنا فى كل خير مع أنه تعالى بالغ فى مدحه ﷺ حتى كاد أن يصرح بأنه هو لكثرة ما وصفه بالكمال فى نحو قوله ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء:٨٠] وبقوله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾ [الفتح:١٠] ومع ذلك قال له ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٢٨] فأخرجه عن حال الخلق ونفاه عنهم وأثبته معه فى البراءة عن المثلية وعن مشاركة أحد منهم له فى كماله أو رتبته ﷺ فافهم والله أعلم انتهى منه بلفظه.

فإن هذا الكلام يدل بظاهره على أن ترك الملاحظة للواسطة بعد الاهتداء بها والمعرفة لله تعالى بإرشادها أولى من ملاحظتها وتشخيصها فى الأعمال وغيرها نظرا إلى أن ذلك خلاف المطلوب من إفراد الوجهة إلى الله تعالى وقطع النظر عن كل ما عداه لأنه هو المقصود المعبود سبحانه وربما كانت هذه الملاحظة لدى قوتها واشتدادها قاطعة للعبد عن مولاه الحقيقى الخالق له والمدبر لأمره وشئونه والموصل إليه كل ما يحتاجه وما يطلبه حقيقة لكن هذا خلاف ما أسلفناه قبل ونص عليه الجم من أنه عليه السلام هو الواسطة العظمى بين الله تعالى وبين جميع العوالم فى كل قليل وكثير جليل وحقير [٣٦٨] دنيا وأخرى وأنه تنبغى ملاحظته وتشخيصه فى كل شىء وكل عمل

وإن قطع النظر عنه وصرفه بالكلية قاطع عن الله تعالى وموجب لكل هلاك ووبال فى الدنيا والآخرة نسأل الله العافية..

ولابد لنا من بسط هذه المسألة وتفصيلها حتى يهتدى من يريد الاهتداء لقصدها وسبيلها فنقول أما وساطته ﷺ فى نفس الأمر وحقيقته فى كل شىء فلا قائل بنفيها لا من أهل الباطن ولا ممن يعتد به من أهل الظاهر ونافيها ممكور به ويخشى عليه من زوال الإيمان إن لم يزل عنه فى الحال نسأل الله العافية كما أن قطع النظر عنه جملة وصرفه بالكلية يؤدى إلى الكفر بل نقول هو الكفر بعينه وأما ملاحظته وتشخيصه فى الأعمال كلها وفى كل شىء بعد الاهتداء بأنواره والمتابعة له فى أحواله وأطواره واستحضاره أنه الواسطة الكبرى والمعول عليه دنيا وأخرى فإن كانت لا مع الوقوف معه دون الله بل على أنه وسيلة إليه ورابطة موجبة للاتصال به والتعويل عليه فلا بأس بها بل هى عند المحققين من أهل الله تعالى المحمديين من عباده أعلى ومشربها أعزب وأرفع وأنفس وأغلى وفيها التشريع والتحقيق والجمع بين مقامى الإيمان والعلم الرفيق وهذا محمل ما سبق من النصوص العديدة والأنقال الفريدة الحميدة وإن كانت مع الوقوف معه من حيث الجملة [٣٦٩] وحصول ضعف فى الالتفات إلى الله والنفوذ إلى جنابه تعالى وعزته وعلاه كأنه ﷺ هو المقصود بالطريق المؤسس المعهود فهذا مذموم شريعة وحقيقة وصاحبه ملبس عليه جاهل بالحقيقة ويمكن أن يحمل عليه هذا الذى نقل عن الخواص وما ينقل من نحوه عن جماعة من الخواص إلا أن أهل الله فى هذا الباب على حالتين:

الحالة الأولى حالة قطع النظر عن الوسائط وهى حالة المستغرقين فى شهود المنعم الذين يشهدون عجز الواسطة عن كل شىء وأنها لا فعل لها أصلاً لأنها مقهورة مسخرة بتسخير الله تعالى ولو أرادت ترك الإمداد بهذه النعمة مثلا لم تقدر لقوة الباعث وجزم الإرادة والله هو خالق البواعث والإرادات ومحرك الذوات وملهمها ومنهضها فلا حاجة إلى شكر غيره أو حمده والثناء عليه بل حمده وشكره والحالة هذه إلتفات لغير الله تعالى ورؤية لصدور النعم من غيره وعلى هذه الحالة قول لقمان لابنه

على ما فى الإحياء أو سيدنا على، على ما فى وصيته على ما فى القوت لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما.

وفى حديث أخرجه البيهقى أنه وصل لحدير وهو فيما قيل رجل من الصحابة وقيل من التابعين من أبى الدرداء أشياء فقال اللهم إنك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك فقصر إلتفاته إلى الله لكونه رأى أنه المعطى لا سواه.

وأخرج أحمد، والحاكم، [٣٧٠] والبيهقى، والضياء، والطبرانى من حديث الأسود بن سريع قال جىء بأسير إلى رسول الله ﷺ فقال له عليه السلام تب فقال اللهم إنى أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال عليه السلام عرف الحق لأهله خلو سبيله وفيه محمد بن مصعب وثقه أحمد وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح.[1]

ولما نـــزلت براءة عائشة فى قصة الإفك المشهورة قال لها أبواها قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقالت أحمد الله لا إياكما أخرجه أبو داود وللبخارى تعليقاً فقال أبواى قومى إليه فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما لكن أحمد الله. وله ولمسلم فقالت لى أمى قومى إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله. وللطبرانى من حديث ابن عمر فقال أبو بكر قومى فاحتضنى رسول الله ﷺ فقالت لا والله لا أدنو منه.

وفى رواية أخرى من حديث ابن عباس أنها قالت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ولم ينكر رسول الله ﷺ ذلك عليها بل أمر أباها بالكف عنها مع أن الوحى فى شأنها وصل إليها على لسانه ﷺ وبواسطته.

قال فى "الإحياء" ومن لم يصفُ باطنه من رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره فليتقى الله فى تصفية توحيده عن كدرات الشرك وشوائبه انتهى.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٣٥/٣).

الحالة الثانية: حالة النظر للوسائط والملاحظة [٣٧١] لها والدعاء إليها وشكرها والثناء عليها من حيث إنها واسطة للبر وسببا للخير وطريق وصول نعمة الله إليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وهذه الحالة أكمل وأولى وأكثر ثوابا عند الله وأنفس وأعلى لقوله تعالى ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [لقمان:١٤] وقوله عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله أخرجه أحمد والترمذى وحسنه والضياء المقدسى فى المختارة وابن جرير فى تهذيبه والحارث بن أبى أسامة فى مسنده كلهم من حديث أبي سعيد به مرفوعاً ولأحمد وأبى داود والترمذى وقال حسن صحيح وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة وفى كلام غير واحد تبعا للشيخ محيى الدين فى فتوحاته فى الباب الثالث والسبعين فى الجواب عن السؤل الثانى عشر من أسئلة الحكيم الترمذى إن السائرين إلى الله فى سيرهم إليه تعالى بعزائم الأمور المشروعة من حيث ما هى مشروعة على قسمين:

طائفة منهم وهم الذين غلب عليهم شهود الحق تعالى من أهل مقام الإيمان الذى لا يدل إلا على الله قد ربطت همتها على أن الرسول ﷺ إنما جاء منبها ومعلما بالطريق الموصلة إلى الله فإذا نبه على ذلك وأوصل العلم به وحصل المقصود زال من الطريق وخل بينهم وبين الله تعالى وهؤلاء إذا سارعوا أو سابقوا إلى الخيرات أو فيها لم يروا أمامهم قدم أحد من المخلوقين لأنهم قد أزالوه من نفوسهم وانفردوا إلى الحق وهذه كما قال الشيخ الأكبر حالة الشيخ عبد القادر وأبى السعود بن الشبل ورابعة العدوية [٣٧٢] ومن جرى مجراهم فهم إذا حصلوا فى مجالس القرب والحديث مع الله خاطبهم الحق تعالى بالكلام الإلهى من غير واسطة لسان معين على حسب ما فى نفوسهم من ترك ملاحظة الواسطة.

والطائفة الثانية: وهم الذين غلب عليهم شهود الواسطة من أهل مقام العلم الذى لا يدل إلا على الوسائط وترتيب الحكمة المعتادة فى العالم أو مقام الجمع بين الإيمان والعلم جعلوا فى نفوسهم أنه لا سبيل لهم إليه تعالى إلا بالرسول ﷺ لأنه هو الحاجب فلا يشهدون منه تعالى أمراً إلا ويرون فى سيرهم قدم الرسول بين أيديهم ولذا لا

يخاطبهم الحق تعالى إلا بلسانه ولغته كمحمد بن فائد الأوانى أحد الأفراد من أصحاب الشيخ عبد القادر فإنه قال تركت الكل ورائى وجئت إليه فرأيت أمامى قدما فغرت وقلت لمن هذا اعتمادا منى أنه ما سبقنى أحد وإنى من أهل الرعيل الأول فقيل لى هذه قدم نبيك فسكن روعى وحينئذ فهذا المنقول عن الخواص لعله صدر منه فى وقت غلبت عليه فيه حالة الطائفة الأولى ولا يخفى أن الثانية أجل وأكمل وأعلى وأفضل لأنها طريقة الشيخ عبد السلام بن مشيش كما يدل على ذلك كلامه فى صلاته والشيخ أبى الحسن الشاذلى وأبى العباس المرسى وجميع الشاذليه وكل من نحى نحوه من الأكابر والأقطاب العلية بل هى طريقة الشيخ عبد القادر على ما نقله عنه سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتاب المنن والأخلاق ونص كلامه: ومما أنعم الله تبارك وتعالى به [٣٧٣] على جعل رسول الله ﷺ واسطة بينى وبين الله تبارك وتعالى فى كل حاجة طلبتها لأنه ﷺ كبير الحضرة الإلهية فسؤالنا ربنا عز وجل بلا واسطته سوء أدب معه ﷺ ولأنا لا نعرف الأدب مع الله تعالى لعدم إحاطتنا به عز وجل بخلاف رسول الله ﷺ فافهم ذلك.

وفى كلام سيدى عبد القادر الجيلانى ﷺ إياك أن تحذف واسطة رسول الله ﷺ وتكلم الله عز وجل بلا واسطة فإنك تكون إذ ذاك مبتدعا لا متبعا والكامل لا يطأ مكانا لا يرى قدم الاتباع لنبيه ﷺ فيه أبدا انتهى فافهم ذلك واعمل على التخلق به والله تبارك وتعالى يتولى هداك والحمد لله رب العالمين انتهى.

وإن كان كلام الشيخ فى الفتوحات يوهم خلاف هذا وأن الأولى أجل لتصديره بها ونسبتها لمن ذكرناه عنه من الكبار.

وفى "النفحات القدسية" للقطب أبى محمد عبد الله المحجوب بن إبراهيم الميرغنى المكى لدى قول أصله وحجابك الأعظم ما نصه: فإن قلت إذا قررت أنه ﷺ أعظم الحجب فما معنى قول العارف بالله سيدى محيى الدين بن عربى قدس الله سره الوهبى السائرون إلى الله تعالى بعزائم الأمور المشروعة على قسمين:

طائفة ربطت همتها على أن الرسول إنما جاء منبها ومعلما للطريقة الموصلة إلى جانب الحق فإذا أعطى المعلم ذلك زال من الطريق [٣٧٤] تعالى فهؤلاء إذا سارعوا وسابقوا إلى الخيرات لم يروا أمامهم قدم أحد من المخلوقين لأنهم قد أزالوه من نفوسهم وانفردوا إلى الحق والطائفة الأخرى جعلوا فى نفوسهم أنهم لا سبيل لهم إليه تعالى إلا والرسول هو الحاجب فلا يشهدون أمراً إلا وقدم الرسول بين أيديهم هكذا قال ثم قال والحالة الأولى هى حالة عبد القادر وأبى السعود بن شبل ورابعة العدوية ومن جرى مجراهم انتهى.

وظاهره أنه قد ينقطع الحجاب بالكلية كما مشى عليه أهل الطريقة الأولى وترجيحها على الثانية لنسبته لها لكمل العارفين.

قلت أى قال الشيخ عبد الله المحجوب السائرون مختلفون فى القوة والضعف فمنهم من يسير وتظهر له الفيوضات والتجليات من تلك الرشحات ولم يزل دائما فى ذلك فيظن أنه قد قطع الحجب كلها وإذا ما ظهر له مظهر الرسول ﷺ انحجب عن ذلك فيزيله عن نفسه وينفيه ويظن أن ذلك حجاب مانع ومن هنا يفهم قول بعضهم بلا نبى ولا رسول ونحوه ومنهم من يكون مضطرب الحال فمرة تعتريه الحالة الأولى ومرة الثانية ومنهم من يسير بهمة عالية فيحوز تلك الفيوضات الحاصلة من الرشحات قاصدا أعلى المقامات فينتهى إلى مقام يرى الرسول ﷺ حاويا له وحاجبا لغيره فمن دنا لهذا المقام ليس كمن كان بعيدا عنه إذ من كان حول الحمى يوشك أن يشم رائحته ومن سار إلى الفناء بلغ الله له سارحته وليس هذا فى الحقيقة حجاباً [٣٧٥] مانعا بل وصولا يانعا وهذا هو الحق لا شك فيه والكشف الذى لا ريب يعتريه ثم قال وبهذا يتبين لك أن الطريقة الثانية أعلى وأرجح لأنها طريقة أكابر العارفين منهم العارف بالله تعالى السيد الشريف عبد السلام بن مشيش شيخ أبى الحسن الشاذلى الذى قال فيه القطب الحفنى اطلعت على مقام الجيلانى والشاذلى فإذا مقام الشاذلى رحمهم الله تعالى أرفع ثم هذا القول من الشيخ ابن عربى الأليق حمله على اضطراب الحال وبحسب ما منح من الفيض والنوال قبل شهود عالى درجات الكمال فلا يلزم منه أن يكون الشيخ

عبد القادر وغيره ممن ذكر هذا طريقة إلا على فهمه إذ يمكن أن يكون الشيخ ممن اختلف حاله بل هو يقين عند من ظهر له كماله فتأمل هذا الأمر إن كنت ذا بصيرة ولا تنكشف حقيقة ذلك إلا لمن لوحظ بالعنايات الكبيرة انتهى منه بلفظه.

وفى "الإبريز" فى الباب التاسع ما نصه: قال يعنى شيخه ﷺ ثم بعد الفتح فى مشاهدة الحق سبحانه انقسم الناس قسمين فقسم غابوا فى مشاهدة الحق سبحانه عما سواه وقسم وهم أكمل غابت أرواحهم فى مشاهدة الحق سبحانه وبقيت ذواهم فى مشاهدة النبى ﷺ فلا مشاهدة أرواحهم تغلب مشاهدة ذواهم ولا مشاهدة ذواهم تغلب مشاهدة أرواحهم قال ﷺ وإنما كان هذا القسم أكمل لأن مشاهدهم فى الحق سبحانه أكمل من مشاهدة القسم [٣٧٦] الأول وإنما كانت مشاهدهم فى الحق سبحانه أكمل لأنهم لم ينقطعوا عن مشاهدة النبى ﷺ التى هى سبب فى الارتقاء فى مشاهدة الحق سبحانه فمن زاد فى مشاهدته عليه السلام زيد له فى مشاهدة الحق سبحانه ومن نقص منها نقص له قال ولو كان الاختيار للعبد وكان عمره تسعين سنة مثلاً لاختار فى جميع هذه المدة ألا يشاهد إلا النبى ﷺ وقبل موته بيوم يفتح له فى مشاهدة الحق سبحانه فإنه يحصل له فى هذا اليوم من الفتح فى مشاهدة الحق سبحانه لأجل رسوخ قدمه فى مشاهدة النبى ﷺ أكثر مما يحصل لمن فتح له فى المشاهدتين مما فى تلك المدة من أولها إلى آخرها ثم ذكر أنه على قدر الصفاء فى المشاهدة النبوية يحصل الصفاء ويزول الغمام فى المشاهدة للذات الأزلية راجعة ولا تغفل عما تقدم عن الشيخ الأكبر فى رسالة الأنوار له من أن كل ولى إنما يأخذ ما يأخذ بواسطة روحانيته ﷺ فمنهم من يعرف ذلك ومنهم من لا يعرفه ويقول قال لى الله وليس غير تلك الروحانية.

وعن العارف بالله أبى زيد الفاسى فى حواشيه على دلائل الخيرات من أنه تحققت وساطته ﷺ وبرزخيته على الإطلاق فى الغيب والشهادة قال وذلك معلوم لأهل الله ذوقا ومتحقق عندهم كشفا.

وعن العلامة الصوفى أبى عبد الله [٣٧٧] محمد بن عبد الرحمن بن زكرى الفاسى فى شرحه لصلاة ابن مشيش من أن الولى قد لا يستحضر واسطته ﷺ إذا استولى عليه الفناء واستغرقه الشهود ولما نقل ابن زكرى هذا فى شرحه المذكور كلام الشعرانى عن شيخه الخواص وذلك بنصه وحروفه كما فعلنا تعقبه بقوله قلت لا يهولنك أمر هذا الكلام مع ما حققناه يعنى من أنه لا غنى لأحد عن وساطته ﷺ أبدا فى الظاهر والباطن وإن بلغ ما بلغ قال أما مسألة إهداء الثواب للنبى ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء فقد تقدمت أدلتها من الحديث وفعل الأئمة المقتدى بهم وتقدم ما قاله سيدنا الشيخ زروق والكلام معه بالمناقشة والتوفيق فى آخر شرح قوله [صلاة تليق بك منك] إلى آخره.

وأما الاستغناء عن وساطته ﷺ فلا سبيل لأحد إليه وإن وصل ما وصل كما سبق تفصيله وبيانه فى كلام الشيخ المحقق سيدى عبد الرزاق العثمانى وهذا سيدنا الشيخ أبو العباس المرسى الذى لا نشك فى قطبانيته كما شهد له أبو الحسن الشاذلى وغيره بذلك قال لو احتجب عنى يعنى رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين وقد تقدم غير ما مرة عن غير واحد ما معناه إن كل من حصلت له رحمة فى الوجود أو خرج له قسم من رزق الدنيا والآخرة والظاهر والباطن [٣٧٨] والعلوم والمعارف والطاعات فإنما خرج له ذلك على يديه وبواسطته ﷺ وهو الذى يقسم الجنة بين أهلها ولذا عدوا من خصائصه ﷺ أنه أعطى مفاتيح الخزائن قال بعض العلماء وهى خزائن أجناس العالم فيخرج لهم بقدر ما يطلبون فكل ما ظهر فى هذا العالم فإنما يعطيه سيدنا محمد ﷺ الذى بيده المفاتيح فلا يخرج من الخزائن الإلهية شىء إلا على يديه ﷺ وهو معنى اسمه " الخليفة وخليفة الله " وقد سبق أنه لا طاقة لأحد بالتلقى بالشهود بدون واسطته ﷺ وأنه المرآة الكبرى والمجلى الأعظم وأن أقواله وأفعاله وأحواله كلها دائرة على الدلالة على الله والتعريف به والمعرفة لا نهاية لها فما دام الإنسان يترقى فيها فهو يغترف من بحره ويستمد منه حتى الأنبياء والمرسلون:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

غاية الأمر أن صاحب الفناء لا يشعر بذلك وقت فنائه فى الله لغيبته فيما فنى فيه فالمنتفى إنما هو شعوره وأما استمداده منه وتوجه الفتح له على يديه فثابت فى نفس الأمر فإن نبه لذلك بعد إفاقته اعترف به بدليل ما مر من أنه لا يخرج شىء من الخزائن الإلهية إلا على يديه وسبق فى كلام غير واحد من أئمة الطريق المقتدى بهم أن الاشتغال بالصلاة عليه طريق الفتح [٣٧٩] وأنها من ذكر الله وكون الله تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله ﷺ مما لا إشكال فيه ولا ينافى شيئا مما ذكرناه وبعد ثبوت الإيمان للعبد لا يستغنى عنه عن خلفائه ووسائطه ﷺ من المشايخ المهتدين فى التوصيل إلى المعرفة نعم بعد الوصول التام يستغنى عنهم ولا يستغنى عنه ﷺ.

وقد سئل الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضي الله عنه فقيل له من هو شيخك يا سيدى؟ فقال كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم فى عشرة أبحر خمسة من الآدميين النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين وخمسة من الروحانيين جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح.

وقد سبق فى كلام أويس القرنى رضي الله عنه وكلام الشيخ أبى الحسن الشاذلى أن الخلفاء الأربعة تفاوتوا فى معرفته ﷺ وإن معرفتهم بالله على حسب ذلك ولعل مقصود هذا الكلام الذى قاله سيدى على الخواص التنبيه على الاحتراز من الغلط فى شهوده ﷺ بأن يجعل المشاهد الواسطة كالمقصد فيقف عندها ولا ينفذ إلى المقصد وهذا إنما يقع لبليد قاصر إذ الدلالة لأحواله وأقواله وأفعاله ﷺ على الله تعالى ثابتة فالوقوف عند الدال مع عدم فهم دلالته غاية فى القصور [٣٨٠] وفى الجهل فى الدلالة ولا يستغرب هذا فإن مصائب الجهل لا تنحصر.

وقد حكى عن بعض المشايخ أن مريدا صدق فى محبته والاقتداء به لكنه توغل فى التمسك به والوقوف معه فصار ذلك له كالحجاب فصعد معه يوماً على سطح فأمر بطرحه من فوق السطح فجاء يلوذ به فدفعه عنه فطرحوه فحين كان نازلا فى الهواء

انقطع رجاؤه عنه ففتح له وكثير يقع لهم الغلط فى صحبة المشايخ فيرون النفع والضر منهم غافلين عن جانب الربوبية حتى إن بعضهم ينقطع عنهم عند ظهور عجزهم له عن قضاء ما يريده انتهى منه بلفظه.

وقد نقله الشيخ عبد الرحمن العيدروس فى شرحه لصلاة أبى الفتيان سيدى أحمد البدوى رادا به كلام سيدى على الخواص المذكور وذلك فى المهمة التى ذكرها لدى قول أصله من اندرجت النبوة تحت لوائه فهم منه وإليه.

قلت وأشار بقوله نعم بعد الوصول التام يستغنى عنهم إلى ما ذكروه من أن تولى الشيخ للمريد ينتهى بوصوله إلى الله تعالى ومطالعته لحضرته فإذا وصل إليه وطالع الحضرة ينفصم عنه أبدا ولا يبقى عليه من أمر الشيخ إلا إجلاله وتعظيمه ومراعته لحق الشيخوخة لا غير.

ومن جواب لأبى العباس التيجانى ذكره فى جواهر المعانى قال اعلم أن المريد ينفصم عن الشيخ عند وصوله لمطالعة الحضرة الإلهية ولا يبقى عليه يعنى للشيخ إلا تعظيمه واحترامه وإجلاله [٣٨١] ومعرفة شفوف رتبته عليه من حيث الشيخوخة فإنه انقطع التلميذ نظره عن هذا فى حق شيخه سلب وطرد انتهى.

وبقوله ولا يستغنى عنه ﷺ إلى ما ذكره غير واحد من أن وساطة النبى أى نبى كان عنها ولا ينفصم عنه أبدا بخلاف وساطة الولى والشيخ وقد حكى الشيخ أبو الحسن الشاذلى قال كنت كثيراً أبحث عن كلام القوم حتى قال الحق تعالى لى فى بعض وقائعى تعريف لك يغنيك عن علم الأولين والآخرين ما عدا علم النبيين والمرسلين وهذا هو الأصل المرجوع إليه وأنه لا واسطة بين الله تعالى وبين العباد حقيقة وأصالة إلا النبوة.

قال فى "جواهر المعانى" نقلاً عن شيخه أثناء كلام له فى هذا المعنى ومن رام الخروج عنها أعنى النبوة طلبا للأخذ عن الله من غيرها كفر وخسر الدنيا والآخرة قال وما ذكر من أن العقل يأخذ العلم عن الله بلا واسطة فإنما هو نفى للواسطة

المشهودة بأن لا يشهد واسطة بينه وبين الحق أصلاً لكنها موجودة فى نفسها غير مشهودة له وهى الحقيقة المحمدية فإنه لا مطمع لأحد فى درك حقيقتها فضلاً عن مشاهدتها فإنها أخفى من السر الخفى فإنه يعنى العقل يرى نفسه يأخذ العلم عن الله بلا واسطة وما برز له ذلك العلم إلا من الحقيقة المحمدية من حيث لا يراها وإن رآه من الحق فإنه مغطى عليه بحجاب التلبيس فهذا معنى أخذ العلم عن الله بلا واسطة وأما أن يتوهم أن العقل [٣٨٢] أو غيره يأخذ العلم عن الله تعالى من غير واسطة الحقيقة المحمدية مجردا عنها فهذا لا سبيل إليه وهذا الوهم باطل وإنما نفى الواسطة فى حقه نفياً شهودياً لا نفياً وجودياً فإنه فى وقت الأخذ عن الله ينمحق الأخذ محقا كليا فلا يبقى له شعور بنفسه فضلاً عن غيره من الوجود فيسمع ما يسمع فى تلك الحضرة من الإلقاءات وما يرى إلا أن الحق المتكلم وعنه الأخذ لا غيره انتهى المراد منه بلفظه.

وبالجملة فالمحذور الذى يتعين الاحتراز عنه هو الوقوف مع الواسطة وقطع النظر عما عداها حتى تصير كأنها مقصد فإن هذا والعياذ بالله تعالى نسيان للرب جل وعلا الذى هو الخالق المالك المتصرف حقيقة وربما أدى والعياذ بالله تعالى إلى الكفر المحض باعتقاد أن هذه الواسطة متصفة بشيء من أوصاف الربوبية وهذا هو الذى خافه النبى ﷺ على أمته وحذرهم منه بقوله فى حديث البخارى عن عمر بن الخطاب ﷺ لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله.

وقوله فى حديث مالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلاً والبزار عنه عن أبى سعيد الخدرى اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد وقوله فى حديث العقيلى عن أبى هريرة اللهم لا تجعل قبرى وثنا ولهذا قال فى بردة المديح:

دع ما ادعـــته النصـــارى فى نبيهم   واحكـــم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف   وانســـب إلى قدره ما شئت من عظم
[٣٨٣] فإن فضل رسول الله ليـــس   لـــه حـــد فيعـــرب عنـــه ناطق بفم

وفى حديث هناد، والطبرانى فى "الكبير"، والحاكم فى "المستدرك" عن على بن الحسين عن أبيه مرفوعاً لا ترفعونى فوق حقى فإن الله قد اتخذنى عبداً قبل أن يتخذنى رسولا.[١]

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن حبان فى "صحيحه" وسمويه، والبيهقى فى "الشعب" والضياء عن أنس مرفوعاً يا أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله والله لا أحب أن ترفعونى فوق منـــزلتى التى أنـــزلنى الله.

وأما اعتقاد أنه ﷺ واسطة بين الله تعالى وبين خلقه لا ينالهم منه تعالى شىء ولو قل إلا بواسطته وإن الله تعالى جعل على يديه كلا من نعمتى الإيجاد والإمداد وأنه لولا تعريف الله تعالى لنا به ﷺ ما عرفناه كما فى الحديث اللهم لولا أنت ما اهتدينا وكما فى الآية الشريفة ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف:٤٣] فلا محظور فيه بل هو من الاعتقادات الصحيحة التى لا يسع مسلما جهلها ومن اعتقد أنه أو غيره من جميع المخلوقات خارج عن وساطته ﷺ فهو جاهل من أعظم الجاهلين ضال باعتقاده هذا بل من أكبر الضالين نسأل الله العافية.

وفى "الإبريز" فى الباب الثانى فى الكلام على معنى ﴿ كهيعص ﴾ [مريم :١]بعد ما ذكر نقلاً عن شيخه أن المعنى المراد منها هو إعلام من الله تعالى لجميع المخلوقات بمكانة النبى ﷺ [٣٨٤] وعظيم منـــزلته عند الله وأنه تعالى من على كافة المخلوقات بأن جعل استمداد أنوارها من هذا النبى الكريم ﷺ وما ذكر أيضاً نقلاً عنه أن أرباب الكشف والعيان يشاهدون المادة سارية من سيد الوجود ﷺ إلى كل مخلوق فى خيوط من نور قابضة فى نوره ﷺ ممتدة إلى ذوات الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام وذوات غيرهم من المخلوقات فيشاهدون عجائب ذلك الاستمداد وغرائبه إلى آخره ما

(١) أخرجه هناد في الزهد (٢/٤١٠).

نصه: قال ﷺ ولقد وقع لبعض أهل الخذلان نسأل الله السلامة أنه قال ليس لى من سيدنا محمد ﷺ إلا الهداية إلا الإيمان وأما نور إيمانى فهو من الله عز وجل لا من النبى ﷺ فقال له الصالحون أرأيت إن قطعنا ما بين نور إيمانك وبين نوره ﷺ وأبقينا لك الهداية التى ذكرت أترضى بذلك فقال نعم رضيت قال ﷺ فما تم كلامه حتى سجد للصليب وكفر بالله وبرسوله ﷺ ومات على كفره نسأل الله السلامة بمنه وفضله.

قال وبالجملة فأولياء الله تعالى العارفون به عز وجل وبقدر رسوله ﷺ يشاهدون جميع ما سبق عيانا كما يشاهدون جميع المحسوسات بل أقوى لأن نظر البصيرة أقوى من نظر البصر كما سيأتى انتهى المراد منه بلفظه.

وفيها أيضاً فى أول الكتاب فى الفصل الثانى وفى أواخره [٣٨٥] فى الباب السابع إن غوث زمانه وعارف وقته وأوانه سيدى أحمد بن عبد الله المصرى حكى حكاية وهو أنه قال كان لى مريد وكنت أحبه حبا شديداً فكنت ذات يوم أعظم له أمر سيد الوجود ﷺ فقلت له يا ولدى لولا نور سيدنا محمد ﷺ ما ظهر سر من أسرار الأرض فلولا هو ما تفجرت عين من العيون ولا جرى نهر من الأنهار وإن نوره ﷺ يا ولدى يفوح فى شهر مارس ثلاث مرات على سائر الحبوب فيقع لها الإثمار ببركته ﷺ ولولا نوره ﷺ ما أثمرت يا ولدى إن أقل الناس إيمانا من يرى إيمانه على ذاته مثل الجبل وأعظم منه فأجرى غيره وإن الذات تكل أحيانا عن حمل الإيمان فتريد أن ترميه فيفوح نور النبى ﷺ لها فيكون معينا لها على حمل الإيمان فتستحليه وتستطيبه راجع بقية الحكاية فى أول الكتاب.

وفيه أيضاً فى الباب السابع ما نصه: سمعته ﷺ يقول لولا الدم الذى فى الذات واللحم والعروق المانع من معرفة حقائق الأمور لم يتكلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منذ وجدوا إلى أن ظهر نبينا ﷺ إلا بأمر نبينا ﷺ فلا تكون إشارتهم إلا إليه ولا تكون دلالتهم إلا عليه حتى إنهم يصرحون لكل من تبعهم بأنهم إنما ربحوا منه وإن مددهم

جميعا إنما هو منه ﷺ وأنهم فى الحقيقة نائبون عنه لا مستقلون وأنهم بمنـــزلة أولاده ﷺ [٣٨٦] وهو ﷺ بمنـــزلة الأب لهم حتى يكون الخلق كلهم فيه سواء ودعوة الجميع إليه ﷺ واحدة وإن هذا هو الكائن فى نفس الأمر والأمم الماضية بمجرد موتهم وانفصالهم عن هذه الدار يعلمونه يقينا وفى الآخرة يظهر لهم عيانا وعند دخول الجنة يقع الفصل بينهم وبين الجنة حيث تنكمش عنهم وتنقبض وتقول لهم لا أعرفكم لستم من نور محمد ﷺ فيقع الفصل بأنهم وإن سبقوا عليه فهم ممتدون من أنبيائهم وأنبياؤهم عليهم الصلاة والسلام ممتدون من النبى ﷺ فإذا الجميع ممتد منه ﷺ قال ﷺ لولا الدم وما سبق فى الإرادة الأزلية لكان هذا الواقع فى دار الدنيا انتهى المراد منه بلفظه والله أعلم.

تتمة فى معنى قولهم لولا المربى ما عرفت ربى ومعناه أنه لولا وجود الأستاذ المربى لنفوس المريدين والمهذب لها ووجود الانقياد إليه والتعليم والتعلم منه فى كل عصر وكل زمان وإلقائه للمريدين ما يكون سببا لمعرفته تعالى من العلوم والمعارف ما عرف الله تعالى فالأستاذ المربى هو المعرف لهم بالله تعالى على قدر قابليتهم واستعداداتهم أى المزيح عن قلوبهم ما هو سبب فى جهلهم بالمولى من اعتقاد ما لا يليق به ذاتاً وصفات وأفعالاً وأحكاما والمبين لهم ما تحصل به المعرفة اللائقة من الأسماء والصفات والأخلاق والكمالات التى تعرف بها سبحانه لخلقه وجعلها وسيلة إلى [٣٨٧] معرفته فكان السبب فى معرفتهم به تعالى بما ينبغى أن يعرف به خلقه دون ما لا ينبغى ولا يمكن أصلاً وهو معرفته بالكنه والحقيقة فإنه لا سبيل إليها لأحد من المخلوقين لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فهذا الكلام تنبيه على الواسطة وإثباتها واعتبارها وأنه لابد منها فى كل شيء حتى فى المعرفة به تعالى وإلا بقى العبد ساقطا فى مهاوى الجهالات غريقا فى بحار الكفر والضلالات نسأل الله العافية.

وقد قالوا ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح وكيف يفلح من لم يصاحب مفلحا.

وقال الجنيد إن الله سبحانه سن سنة أزلية أن لا يجد السبيل إليه إلا من قيد له أستاذاً عارفاً يكون واسطة بينه وبين الله وإن كان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء بغير علة ولا سبب.

وفى "الرسالة القشيرية" يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا هذا أبو يزيد يقول من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان انتهى.

وعن أبى عمرو الزجاجى قال لو أن رجلاً كشف له عن الغيب ولا يكون له أستاذ لا يجىء منه شىء.

وعن إبراهيم بن شيبان قال من ليس له أستاذ فهو بطال.

وعن أبى العباس المرسى قال كل من لا يكون له فى هذه الطريق شيخ لا يفرح به.

وفى العوارف سمعت كثيراً من المشايخ يقولون من لم ير مفلحاً لا يفلح.

وفى "شرح الحكم" لابن عباد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه.

وأعظم المربين وأكملهم وأعمهم تربية وأشملهم وسيدهم وإمامهم ورئيسهم ومقدمهم سيدنا محمد ﷺ فهو المعرف بالله على [٣٨٨] الإطلاق فى جميع الأوقات وسائر الحالات والدال للخلق على سبيل الاستغراق بجميع أنواع الدلالات ولا ينافى هذا ما فى "الرسالة القشيرية" فى باب المعرفة بسنده إلى ذى النون المصرى أنه قيل له بما عرفت ربك قال عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى.

ومثله نقله ابن غانم المقدسى فى حل الرموز عن الصديق ﷺ وما جاء عن سيدنا على من أنه سئل هل عرفت الله بمحمد أو عرفت محمداً بالله فأجاب لو عرفت الله بمحمد ما عبدته ولكان محمد أوثق فى نفسى من الله تعالى ولكن الله عرفنى بنفسه فعرفت محمداً ﷺ بالله لأن معنى كلام ذى النون المصرى والصديق أن الخالق للمعرفة فى العبد والموجد لها بقدرته هو الله دون غيره وأنه لولا إيجاده تعالى لها وخلقها فى

العبد ما قدر على معرفته أصلاً وهذا مما لا شك فيه ولا إشكال ولا ينفى ما أشرنا إليه بحال وكذا كلام سيدنا على معناه أن خلق المعرفة فى سيدنا على وإيجادها فيه أو فى غيره من الخلائق هو من الله لا من سيدنا محمد ولو انعكس الحال لانعكست العبادة وكان سيدنا محمد ﷺ هو المعبود لكونه على هذا التقدير الفاسد المتصف بالإيجاد والأفعال والخلق والإيصال ولكن الله تعالى خلق معرفته فيه وهداه إليها ودله بفضله عليها فعرفها سيدنا محمداً بالله يعنى بهدايته وتوفيقه وهذا أيضاً لا ينفى ما ذكرناه ولا يخدش فى شىء مما أصلناه لأن الخالق للأشياء كلها من المعرفة أو غيرها هو الله تعالى والواسطة [٣٨٩] فيها والسبب فى حصولها وهو الذى لأجله كانت وبسببه حصلت هو سيدنا ونبينا محمد ﷺ فالكلام الأول مرجوع فيه إلى اعتبار الوسائط والنظر إليها والثانى مرجوع فيه إلى الأصل والحقيقة التى يعول عليها ولكل منهما مقام يقتضيه فيتكلم المتكلم بحسبه وينتحيه فاعرف ذلك وإياك أن يلبس عليك الأمر هنالك وعلى لسان هذين المقامين قيل:

فلولاكم ما عرفنا الهوى ... ولولا الهوى ما عرفناكم

وقد ذكر ابن غانم المقدسى فى حل الرموز كلام سيدنا على بلفظ آخر وهو قوله لو عرفت الله بمحمد ما عبدته ولكان محمد أوثق فى نفسى من الله تعالى ولو عرفت محمداً بالله لما احتجت إلى رسول الله ولكن الله عرفنى نفسى بلا كيف كما شاء وبعث سيدنا محمد ﷺ بتبليغ أحكام القرآن وبيان معضلات الإسلام والإيمان وإثبات الحجة وتقويم الناس على منهج الإخلاص فصدقته بما جاء به انتهى. وهذا اللفظ رافع للإشكال ومبين لما عليه الحال والله أعلم.

وقد سئل الشيخ أبو العباس أحمد التيجانى ﷺ حسبما فى جواهر المعانى فى الفصل الثالث من الباب الخامس وحسبما ذكره ابن المشرى أيضاً فى الجامع.

أما السبب فى كون أحوال الشيخ تارة يجمع المريدين على نفسه وتارة يجمعهم على النبى ﷺ وتارة على الله تعالى فأجاب بما نصه الجواب أنه لا منافاة بين أحوال

الشيخ فى هذه الثلاثة [٣٩٠] فإنه إن دل على الله كان ذلك غاية المطلوب وإن دل على النبى ﷺ فالجمع عليه كان ذلك جمعا على الله لأنه ﷺ الخليفة المطلق عن الله ظاهرا وباطنا بالجمع عليه مشتمل على الله تعالى وإن دل الشيخ فالمشتمل على نفسه فهو خليفة النبى ﷺ فى الدلالة على الله تعالى والدعوة إليه فجمع الناس على نفسه جمعا على الله تعالى لأنه خليفة صحيح انتهى جوابه بلفظه.

قلت الدعاء إلى الله تعالى هو الأصل وله بعثة الرسل وجميع الدعاة قال تعالى خطابا لنبيه ﷺ ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ** ﴾ [النحل:١٢٥] الآية وقال ﴿ **ادْعُ إِلَى رَبِّكَ** ﴾ [الحج:٦٧] وقال ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّه بِإِذْنِه وَسِرَاجاً مُّنِيراً** ﴾ [الأحزاب:٤٥،٤٦] وقال ﴿ **قُلْ هَذِه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّه عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ [يوسف:١٠٨] وقال ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّه** ﴾ [فصلت:٣٣].

وفى الحديث بعثت داعيا ومبلغا وليس إلى من الهدى شيء وخلق إبليس مزينا وليس إليه من الضلالة شيء أخرجه العقيل وابن عدى وابن عساكر وابن النجار والديلمى عن عمر مرفوعاً والدعاء إلى النبى ﷺ لكونه الواسطة العظمى والمعرف بالجناب الأحمى ولقوله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** ﴾ [الفتح:١٠] وقوله ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء:٨٠] وقوله ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ [النور:٥٤] وقوله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْه وَسَلِّمُوا تسليماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦] وقوله ﴿ **لِتُؤْمِنُوا بِاللَّه وَرَسُولِه وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ** ﴾ [الفتح:٩] ولأن حضرته [٣٩١] عليه السلام كلها دالة على الله وجمع عليه فالداعى إليها داع إلى الله تعالى بلا مرية ودعاء الشيخ إلى نفسه كأنه دعاء إلى قصده وصحبته ثم إلى جمع الهمة عليه وقطع النظر عمن سواه من المشايخ حتى لا يتشتت فكر المريد عنه فيزول انتفاعه به وإلى استحضار وساطته ونيابته عن الرسول ﷺ فى الدعاء إلى الله تعالى والتوصيل إليه واعتقاد أنه أجل أو من أجل نوابه فى ذلك الوقت والعصر وهذا الأمر مطلوب من كل

مريد وإن لم يصرح له الشيخ به وبه يكون انتفاعه ولا منافاة بينه وبين اعتقاد وساطته ﷺ له ولعموم الخلق وأنه الداعى إلى الله حقيقة والموصل له أصالة ولا بين كون المدلول عليه والذى يتطلب قربه والوصول إليه هو الله تعالى وحده لا شريك له والذى يغلب عليه من المشايخ الدعاء إلى الله هو لغلبة شهود الحضرة الإلهية عليه والذى يغلب عليه الدعاء إلى النبى ﷺ هو لغلبة شهود الحضرة النبوية عليه ومنهم من يغلب عليه فى الابتداء الدعاء إلى نفسه لاستشعاره من مريديه الالتفات إلى غيره فيردهم عن ذلك وينصحهم والكل على هدى وأكملهم من يدع إلى الله مراعيا فى ذلك وفى أثنائه الدعاء إليه ﷺ ومنبها على ملاحظة وساطته والقيام دائما وأبدا بما يجب لجنابه من أنواع خدمته ثم لا يغفل مع ذلك من نصح المريد بما ينفعه [٣٩٢] فى طريقه أو يترقى به ويزيد والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

خصائص هذه الأمة المحمدية

تتمة أخرى فى خصائص هذه الأمة المحمدية والحمد لله إن الله تعالى جمع لأوليائها ومشايخها أقدام النبيين والمرسلين وأعاظم الملائكة المكرمين فما من ولى من الأولياء أو أحد من مشايخ الطرق الحقيقية إلا وهو على قدم نبى من الأنبياء أو رسول من الرسل أو أحد من أعاظم الملائكة الكرام على نبينا وعليهم جميعا أرفع الصلوات وأزكى السلام أى تابع لها وماش على أثرها بحيث أنه يتقلبها فى المعارف الإلهية والواردات الصمدية على نحو تقلب ذلك النبى أو ذلك الرسول أو ذلك الملك ومنه يستمد ومن بحاره يغترف وليس هناك أحد على قدم النبى ﷺ وقلبه فى نشأته كلها أعنى نشأة حقيقته وروحه وجسده إلا الختم المحمدى الخاص فقط أو هو وبعض الأفراد.

قال فى "الفتوحات" فى جواب السؤال الثامن والخمسين من أسئلة الحكيم الترمذى ما نصه: قال شيخنا محمد بن قائد رأيت فى دخولى عليه أى على الله تعالى أثر قدم أمامى فغرت فقيل لى هذه قدم نبيك فسكن ما بى.

فاعلم أن هذه الدولة المحمدية جامعة لأقدام النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فأى ولى رأى قدما أمامه فتلك قدم النبى الذى هو له وارث وأما قدم محمد ﷺ فلا يطأ أثره ﷺ أحد كما لا يكون أحد على قلبه [٣٩٣] فالقدم التى أو يراها محمد بن قائد ورآها كل من يراها فتلك قدم النبى الذى هو له وارث ولكن من حيث هو محمدى لا غير ولهذا قيل له قدم نبيك ولم يقل له هذه قدم محمد ﷺ فإن كان الشيخ فهم منه ما ذكرناه فهو من أهل الحديث والكمال وإن كان فهم منه قدم محمد ﷺ فذلك صدع أصاب عين فهمه انتهى منه بلفظه.

وانظره مع ما يؤخذ فى كلامهم وقولهم أكمل الأولياء من كان على قدمه ﷺ أو على قلبه ومع قوله هو فى نفسه فى الكلام على رجال الهيبة والجلال الأربعة الذين يمدون الأوتاد أحدهم على قلب محمد ﷺ وقوله فى الكلام على ختم الولاية المحمدية فى جواب السؤال الثالث عشر من أسئلة الحكيم وكما أن الله ختم بمحمد ﷺ نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدى الولاية التى تحصل من الورث المحمدى لا التى تحصل من سائر الأنبياء فإن من الأولياء من يرث إبراهيم وموسى وعيسى فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدى وبعده فلا يوجد ولى على قلب محمد ﷺ انتهى.

فظاهره أو صريحه أن هذا الختم على قدمه ﷺ وقلبه وقوله وقوله آخر الباب السابع وثلاثمائة حين وصفه لحال بعض أفراد العارفين من هذه الأمة وما ثم قلب بهذه المثابة من هذا العالم إلا قلوب الأفراد من رجال الله كالخضر وأمثاله وهم على قدم محمد ﷺ انتهى.

وقوله فى الباب الثالث [٣٩٤] والستين وأربعمائة وليس فى الأقطاب من هو على قلب محمد ﷺ وأما المفردون فمنهم من هو على قلب محمد ﷺ والختم منهم أعنى خاتم الأولياء الخاص انتهى.

وقوله بعد هذا فى الكلام على بعض الأقطاب ولو كان ثم قطبا على قدم محمد ﷺ لكان هذا القطب إلا أنه ما ثم أحد على قدم محمد ﷺ إلا بعض الأفراد الأكابر ولا يعرف لهم عدد انتهى.

وقول ولى الله الدهلوى فى رسالة فيوض الحرمين إن أكمل الأولياء من كان على قلبه ﷺ فى نشآته الثلاث كلها يعنى نشأة حقيقته ونشأة روحه ونشأة جسده ويمكن التوفيق باستثناء الختم المحمدى الخاص فإنه على قدمه ﷺ وقلبه فى نشآته الثلاثة ويستثنى مع بعض الأفراد الأكابر دون استثناء جميعهم لأن محمد بن قائد الأوانى كان أحد الأفراد ولم يسلم له الشيخ هذه القدمية وهو وإن أطلق فى الأفراد فى محل فقد قيد فى محل آخر ببعضهم والله أعلم.

نفيسة

قال العارف بالله الشيخ حفناوى فى حواشيه على الجامع الصغير فى الكلام على حديث الأبدال ما نصه: ومعنى كون الولى على قلب نبى أن نور ولاية النبى الذى كان ينـــزل عليه ينـــزل على ذلك الولى قال أى الأسرار التى تنـــزل على قلب ذلك النبى تنـــزل على قلب ذلك الولى وإن اختلفت كيفا وهو معنى قولهم فى سيدى أحمد البدوى عيسوى وأما ما اشتهر من أن معنى عيسوى أنه [٣٩٥] كلما قدم الزمان زاد المدد فليس مرادا وإن كان صحيحا فى نفسه قال وبهذا تعلم معنى كلام أهل التصوف فلان مقامه محمدى وفلان عيسوى انتهى منه بلفظه.

وقال ابن المشرى فى جامعه نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى قال إن كل ولى قدمه على قدم نبى أى يذوق ذوق ذلك النبى ويتوجه توجه ذلك النبى من غير إحاطة بما كان عليه ذلك النبى بل يحصل له قسط ونصيب.

وقال فى الفتوحات فى الكلام على الآدميين من أهل الله وهم ثلاثمائة نفس على قلب آدم عليه السلام ما نصه: فاعلم أن معنى قول النبى ﷺ فى حق هؤلاء الثلاثمائة أنهم على قلب آدم وكذلك قوله عليه السلام فى غير هؤلاء ممن هو على قلب شخص من

أكابر البشر أو الملائكة إنما معناه أنهم يتقلبون فى المعارف الإلهية تقلب ذلك الشخص إذ كانت واردات العلوم الإلهية إنما ترد على القلوب فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من ملك أو رسول فإنه يرد على هذه القلوب التى هى على قلبه وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان وهو بهذا المعنى نفسه انتهى منه بلفظه والله أعلم.

وليكن هذا آخر هذه الرسالة الفريدة والمجموعة الغريبة الجديدة الفائقة فى حسنها وكمالها المتنوعة فى شكلها وأحوالها المحبوبة لدى كل محب حقيقى وصوفى وعالم المبغوضة عند كل جاهل ومتعنت وظالم واقف مع ما له ظان أن العلم محصور فيما ناله تقبلها الله [٣٩٦] تعالى بأحسن قبول وجعلتها لراقمها ولكل مسلم كفيلة بأعظم سول.

وقد قدمتها هدية إلى صاحبها عليه الصلاة والسلام هدية الفقير للأمير والسوقى للإمام فإن قبلت فيا حبذا المطلوب والمرام وإن ردت فالعفو عن الزلل والخطأ شيمة الكرام وأنا أستغفر الله وأتوب إليه من كل ما جنيته أو اقترفته أو تجرأت عليه وأسأله وهو الكريم الوهاب أن يحسن عاقبتنا فى الدنيا ويوم المآب وأن يكرمنا فى الدارين بأعظم الرضى ويمن علينا بمحبته الكاملة ومحبة حبيبه المرتضى سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله عليه وعلى آله كل الصلوات وأجمع التسليمات من الله ما حن مشتاق إلى رؤيته ففاز وظفر من منيته العظيمة بغاية الامتياز آمين ووافق الفراغ من تبيضها بالمدينة المنورة ذات المحاسن المشهورة المسطرة عشية يوم الخميس آخر يوم من جمادى الثانية عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف ثم خروجها من مبيضتها مع زيادات جمة وتغيرات كثيرة مهمة بدمشق الشام صبيحة يوم الاثنين سابع ربيع الثانى عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف من هجرة خير الورى وأجل من وطأ الثرى صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأقمار وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين انتهت وبالخير عمت [٣٩٧] الحمد لله يقول كاتبها العبد الفقير الراجى عفو ربه القدير المعترف بالعجز والتقصير أحمد بن الحسن بن أحمد البركة بن أحمد البدوى الشهير بزويتن قد تم بمعونة الله وتوفيقه الجزء الثالث الذى هو آخر هذا

الكتاب الجليل فى ثالث رمضان المعظم بفاس سنة سبع بموحدة وخمسين وثلاثمائة وألف على زمة الشريف العالم النبيل الأديب الشاب الزكى الأريب سيدى المنتصر حفيد المؤلف المذكور ضاعف الله له الأجور والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

يقول أبو على محمد المنتصر بن محمد الزمزمى بن محمد بن جعفر الكتانى أتممت دراسة هذا الكتاب الخطير الشأن الرفيع المقام الجامع للعلم الإلهى الصفاتى والعلم المحمدى وعلوم الحقائق الصوفية بجميع مجلداته الثلاثة فى ليلة فاتح رجب الفرد سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف بمدينة سكفاى تغرسلا مهجر محنق واختبارى والحمد لله على حال أولاً وآخرا لا رب غيره ولا معبود سواه وصلوات الله وسلامه على سيد العالم محمد وعلى آله والتابعين.

المراجع

١- القرآن الكريم، كلام رب العالمين.

٢- الأحاديث المختارة، طبعة مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

٣- الأدب المفرد للبخاري، طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.الإرشاد للخليل بن عبد الله القزويني أبو يعلى، طبعة دار مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، تحقيق د/ محمد سعيد عمر إدريس.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، طبعة دار اتلجيل بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق علي محمد البيجاوي.

٥- الزهد لهناد بن السري، طبعة دار الخلفاء للكتاب، الكويت، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي.

٦- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

٧- الطبقات الكبرى لابن سعد، طبعة دار صادر، بيروت الطبعة الثانية، تحقيق محمد زياد منصور.

٨- طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ بن حيان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، تحقيق عبد الغفور عبد الحق البوشي.

٩- الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق يحيى مختار غزاوي.

١٠- كشف الخفاء للعجلوني، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، تحقيق أحمد القلاش.

١١- مجمع الزوائد للهيثمي، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.

١٢- المعجم الأوسط للطبراني، طبعة دار الحرمين القاهرة، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

١٣- المعجم الصغير للطبراني، طبعة المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى، محمد شكور محمد الحاج أمرير.

١٤- المعجم الكبير للطبراني، طبعة مكتبة العلوم والحكم الموصل، الطبعة الثانية، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

١٥- معجم شيوخ أبو بكر الإسماعيلى، لأحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي أبو بكر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، تحقيق زياد محمد منصور.

١٦- المحلى لابن حزم، طبعة دار الآفاق، بيروت، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي.

١٧- المستدرك على الصحيحين، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

١٨- موطأ الإمام مالك، طبعة دار إحياء التراث العربي مصر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

١٩- مسند الإمام أحمد، طبعة جمعية المكنز الإسلامى.

٢٠- مسند الإمام أحمد، طبعة مؤسسة قرطبة مصر.

٢١- مسند عبد بن حميد، طبعة مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، تحقيق صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي.

٢٢- مسند أبي يعلى، طبعة دار المأمون للتراث دمشق،الطبعة الأولى، تحقيق حسين سليم أسد.

٢٣- مسند الطيالسي، طبعة دار المعرفة بيروت.

٢٤- مسند الشاشي، لأبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله.

٢٥- مصباح الزجاجة لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني البوصيرى، دار العربية، بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق محمد المنتقي الكشناوي.

٢٦- مصنف عبد الرزاق، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

٢٧- مصنف ابن أبي شيبة، طبعة مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، تحقيق كمال يوسف الحوت.

٢٨- موسوعة ديوان الشعر القطرية.

٢٩- سنن الترمذى، طبعة جمعية المكتر الإسلامى.

٣٠- سنن الترمذى، طبعة الحلبى، تحقيق أحمد شاكر وآخرين.

٣١- سنن النسائى، طبعة جمعية المكتر الإسلامى.

٣٢- سنن النسائي (المجتبى)، طبعة مكتب المطبوعات حلب، الطبعة الثانية، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

٣٣- السنن الكبرى للنسائي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن.

٣٤- سنن البيهقي الكبرى، طبعة مكتبة دار الباز مكة المكرمة، تحقيق محمد عبد القادر عطا.

٣٥- سنن أبى داود، طبعة جمعية المكتر الإسلامى.

٣٦- سنن أبي داود، طبعة دار الفكر بيروت، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٣٧- سنن ابن ماجه، طبعة جمعية المكتر الإسلامى.

٣٨- سنن ابن ماجه، طبعة دار الفكر بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٩- سنن الدارمى، طبعة دار الكتاب العربى، بيروت تحقيق فواز أحمد زمرلي و خالد السبع العلمي.
٤٠- الفتن لنعيم بن حماد، طبعة مكتبة التوحيد، القاهرة، تحقيق سمير أمين الزهيري.
٤١- الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق السعيد بسيوني بن زغلول.
٤٢- فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى، طبعة دار المعرفة بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب.
٤٣- صحيح البخارى طبعة جمعية المكنز الإسلامى.
٤٤- صحيح البخارى، طبعة دار ابن كثير اليمامة، بيروت، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا.
٤٥- صحيح مسلم طبعة جمعية المكنز الإسلامى.
٤٦- صحيح مسلم، طبعة دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٧- صحيح ابن حبان، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، تحقيق شعيب الأرنؤوط.
٤٨- صحيح ابن خزيمة، طبعة المكتب الإسلامي بيروت، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي.
٤٩- شذرات الذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ابن العماد، دار بن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، تحقيق عبد القادر الأرنا ئـوط ومحمود الأرنائوط.
٥٠- شعب الإيمان للبيهقي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق محمد السعيد بسيوني.

٥١- تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، طبعة دار الفكر بيروت، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

٥٢- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣- التدوين في أخبار قزوين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق عزيز الله العطاري.

٥٤- الترغيب والترهيب للمنذري، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق، إبراهيم شمس الدين.

٥٥- تفسير القرطبي، طبعة دار الشعب، القاهرة.

٥٦- تفسير الطبرى، طبعة دار الفكر، بيروت.

٥٧- تفسير البيضاوي، طبعة دار الفكر بيروت، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة.

٥٨- تفسير ابن كثير، طبعة دار الفكر بيروت.

٥٩- تهذيب الأسماء، محيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق مكتب البحوث والدراسات.

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع

٢٠٠٤/١٠٥٧٥